# زبدة الحلب من تاريخ حلب

للصاحب كمال الدين
عمر بن أحمد بن أبي جرادة
المتوفى سنة ٦٦٠هـ

حققه وقدم له
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الأول





بسم الله الرحمن الرحیم

# زبده الحلب من تاريخ حلب

كاتب:

كمال الدين عمر بن احمد بن ابى جراده حلبى ( ابن العديم )

نشرت فى الطباعة:

دار الكتاب العربى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

# زبده الحلب من تاريخ حلب المجلد ۱

## اشاره

سرشناسه : ابن عديم، عمر بن احمد، ۵۸۸-۶۶۰ق.

عنوان و نام پديدآور : زبده الحلب من تاريخ حلب/ کمال الدين عمربن احمدبن ابی جراده؛ حققه و قدم له سهيل زکار.

مشخصات نشر : بيروت: دار الکتاب العربی، ۱۴۱۸ ق.= ۱۹۹۷ م.= ۱۳۷۶ -

مشخصات ظاهری : ج.: نمونه.

وضعيت فهرست نويسی : برون سپاری.

يادداشت : عربی.

يادداشت : ج. ۲( چاپ اول: ۱۴۱۸ ق.= ۱۹۹۷ م.= ۱۳۷۶).

يادداشت : کتابنامه.

يادداشت : نمايه.

موضوع : حلب (سوريه) --تاريخ

موضوع : حلب (سوريه) -- اوضاع اجتماعی

شناسه افزوده : زکار، سهيل

رده بندی کنگره : DS۹۹/ح ۸الف ۲۴ ۱۳۷۶

رده بندی ديويی : ۹۵۶/۹۱۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۸-۲۶۸۰۷

ص: ۱

## اشاره

## [مقدمه المحقق]

بسم اللّه الرّحمن الرحيم

تقديم

تعدّ مدينه حلب من أعرق مدن بلاد الشام و أكثرها أهميه، و قد شغلت أعظم الأدوار فى تاريخ هذه البلاد فى الاسلام، و على محورها و محور دمشق دارت الأحداث الرئيسيه لتاريخ الشام الاسلامى، و منها استردت الشخصيه الشاميه الثقافيه ذاتها بعد ما لحق بها التدمير أثر سقوط الدوله الأمويه.

و صحيح أن الأدوار السياسيه و العسكريه لحلب عاليه جدا، لكن دورها الحضارى أكثر تميزا و تأثيرا و شموليه، و كان التاريخ بين أبرز الحقول الثقافيه التى أسهم فيها الحلبيون، و لا أعنى سكان المدينه فقط بل سكان الشام الشمالى، لأن حلب غدت منذ القرن الرابع للهجره/ العاشر للميلاد مركزا لإماره، غالبا ما امتدت حدودها جنوبا حتى بلده الرستن على العاصى.

و كان أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب المعرى، أهم مؤرخى القرن الخامس ه/ الحادى عشر م، هذا و لم أستطع الوقوف على ترجمه منفصله له، و لكن ابن العديم الذى نقل أجزاء كبيره جدا من تاريخه

فی کتابه بغیه الطلب، قد ذکره بین تلامیذ أبی العلاء المعری [ت ۴۴۹ ه/ ۱۰۵۷ م] و توحی النقول الطویله التی قام بها ابن العدیم بطبیعه کتابه، حیث یبدو أنه کان یتألف من تاریخ حولی عام رکز علی تدوین أخبار الأحداث التی وقعت فی معره النعمان و حلب، و تعلقت المعلومات المنقوله بتأسیس الدوله المرداسیه فی حلب من قبل صالح بن مرداس، ثم بحکم ثمال بن صالح بن مرداس و علاقاته بالخلافه الفاطمیه، و ببدایات استیلاء السلاجقه علی بلاد الشام بعد العراق، مع حمله السلطان ألب أرسلان ضد حلب.

و کان من معاصری ابن المهذب الطبیب المسیحی أبو الخیر المبارک بن شراره، و کان ابن شراره کاتبا بالاضافه إلی کونه طبیبا، و قد عاش فی مدینه حلب حتی أیام رضوان بن تتش (۱۰۹۵- ۱۱۱۳ م)، و قد هجر مدینته و ذهب أولا إلی أنطاکیه و من هناک إلی صور بسبب سوء معامله رضوان له و طغیانه، و فی صور توفی حوالی سنه ۴۹۰ ه/ ۱۰۹۶ م، و کتب المبارک تاریخا روی فیه بشکل أساسی الحوادث التی وقعت فی أیامه، لا سیما الوقائع التی شهدتها حلب، و کان من شهودها. و یبدو أن هذا التاریخ لم یرج کثیرا، و لذلک فقدت نسخه بعد وفاه مؤلفه بأمد قصیر، ذلک أن القفطی [ت ۶۴۶ ه/ ۱۲۴۸ م] قال إنه أخفق فی الحصول علی نسخه منه، و أنه تلقی من مصر نسخه سیئه و مختصره من هذا التاریخ، کان قد اختصرها مصری غیر معروف.

و من معاصری ابن شراره کان منصور بن تمیم بن الزنکل، الذی کان شاعرا من سرمین، شهد أحداث وفود الترکمان إلی الشام الشمالی، و دوّن بعضها لکن لا نعرف وفق أی منهج، و الذی نعرفه أن ابن العدیم نقل عنه بعض الأخبار فی کتابه بغیه الطلب فی تاریخ حلب.

و قام فی القرن السادس ه/ الثانی عشر/ م علی الأقل ثلاثه من الحلبیین بکتابه تواریخ خاصه بمدینه حلب و هم: حمدان بن عبد الرحیم الأثاربی [ت ١١٤٧ م] و علی بن عبد الله بن أبی جراده [ت ١٥٥١ م] و محمد بن علی العظیمی المتوفی حوالی سنه ١١٦١ م، و من المؤسف أنه لم یتعد ما وصلنا مما کتبه هؤلاء عن حلب بعض النقول الموجوده لدی ابن العدیم فی کتابه بغیه الطلب.

کان حمدان طبیبا و شاعرا، و قد امتلک ذخیره کبیره من معارف عصره، و قد خدم فی حقب متفاوته فی إداره کل من المسلمین فی حلب (أیام زنکی بشکل خاص) و إدارات الصلیبیین فی أنطاکیه و المناطق المحیطه بها، و قد سفر لزنکی حیث بعثه إلی الصلیبیین فی أنطاکیه و إلی مصر و دمشق و لربما إلی بغداد، و قابل فی القاهره الخلیفه الفاطمی الآمر [١١٠١- ١١٣٠ م] و لکن بعد ما برهن أنه شیعی إمامی، و أنه لم یکن من أفراد الاسماعیلیه الحشیشیه، و تمنحنا سیره حیاه حمدان بعض المعلومات المفیده حول حیاه کل من المسلمین و الصلیبیین فی الشام الشمالی، و حول العلاقات بینهما فی النصف الأول من القرن الثانی عشر.

أرخ حمـدان لقـدوم الفرنجه إلى بلاد الشام، كما و حمل واحـد من كتبه عنوان المفوف، و يرجح أنه أوقفه على تاريخ حلب، و اهتم فيه بشكل خاص بالأحداث التى وقعت بعد سنه ۴۹۰ ه/ ۱۰۹۶ م.

و كان من معاصرى حمدان على بن عبد اللّه بن أبى جراده، و كان مثله مثل حمدان شاعرا و عالى الثقافه، و أيضا أمامى العقيده، و قد كتب بالتاريخ كتابا دعاه «تاريخ ملوك حلب»، و عن هذا الكتاب نقل ابن العديم بعض المعلومات المتعلقه بسقوط الاماره المرداسيه، و حول الأوضاع الداخليه فى مدينه حلب آنذاك.

و كان أيضا من معاصـرى حمدان و ابن أبى جراده محمد العظيمى، الذى كان بدوره شاعرا و معلم مدرسه، و قد كتب العظيمى عـده كتب بالتاريخ، أوقف واحدا منها على تاريخ حلب، و حمل واحد منها اسم «الموصل على الأصل المؤصل» و قد كتب هذا الكتاب على شـكل حوليات عامه لتاريـخ الاسـلام، و قـد وصـلنا ما يمكن عـده مختصـرا له، أو هو نفسه فى نسـخه خطيه وحيده (مكتبه بيازيد اسـتانبول رقم ۳۹۸، و نشـر محققا مؤخرا فى دمشق سـنه ۱۹۸۵ باسم تاريـخ حلب). و على الرغم من سـيطره طابع الاختصـار و العموميـات على هـذا الكتـاب، فـإنه يحتـوى فى أواخره على معلومـات ثمينه جـدا تتعلـق بحلب خلالـل أواخر القرن الحادى عشر م، هـذا و نقل ابن العـديم فى كتابه بغيه الطلب من كتب العظيمى الأخرى موادا تتعلق بعصـر الـدوله المرداسـيه ثم بدايات الحكم السلجوقى لحلب.

و مع أن بعض مؤرخى القرن الثانى عشر م قد صنف كتبا تعالج تاريخ حلب فقط، فإن العدد الأكبر منهم قد تابع السير على مذاهب الأوائل فى كتابه حوليات عامه، و كان من بين هؤلاء يحيى بن على التنوخى، و يعرف عاده بابن زريق، و قد ولد عام ١٠٥١ م فى معره النعمان، و لعله مات فى العقد الأول من القرن الثانى عشر.

و كتب ابن زريق تاريخا حوليا، أوقف أخباره بشكل أساسى على الاحتلال السلجوقى لبلاد الشام، ثم على الغزو الصليبى، و عنه نقل ابن العديم فى كتابه بغيه الطلب، و من خلال ابن العديم تعرفنا عليه، لأن كتابه بحكم المفقود.

و كانت الأسره المنقذيه قد تأسست فى قلعه شيزر، حيث انتقلت إليها من بلده كفر طاب، و فى شيزر أنجبت الأسره المنقذيه عددا من الفرسان و الشعراء و الكتاب، شهر منهم بشكل خاص أسامه بن مرشد [ت ١١٨٨ م]، و مع أسامه أسهم أثنان من أخوانه بكتابه التاريخ هما: على و منقذ، فقد صنف منقذ تاريخا حوليا جعله ذيلا لتاريخ ابن المهذب المتقدم الذكر، و كتب أخوه على أيضا تاريخا حوليا حمل اسمه، أما أسامه صاحب كتاب الاعتبار، فقد صنف عددا كبيرا من الكتب وصلنا بعضها لكن لم يصلنا ما كتبه بالتاريخ العام إلا من خلال النقول التى احتفظ بها ابن العديم فى كتابه بغيه الطلب.

و مثلما نقل ابن العديم عن الأخوه الثلاثه من آل منقذ، نقل عن أبى غالب عبد الواحد ابن مسعود بن الحصين، الذى يرجح أنه كان من أهالى معره النعمان، و قد صنف تاريخا حوليا، و مثله كان من بين مؤرخى معره النعمان عبد القاهر بن علوى، و قد ذكره العماد الأصفهانى الكاتب، و بيّن أنه كان شاعرا، شغل منصب قاضى معره النعمان، و أنه قد لقيه فى مدينه حماه فى آذار ١١٧٦ م، و كتب ابن علوى كتابا بالتاريخ اسمه «نزهه الناظر و روضه الخاطر»، و كان هذا الكتاب أيضا بين مصادر بغيه الطلب لابن العديم.

و نقل ابن العديم عن مؤرخ حلبى آخر اسمه أبو منصور هبه الله بن سعد الله بن الجبرانى، و لا نعرف تاريخ ميلاد أو وفاه هذا المؤرخ، لكننا نعلم أن واحدا من أولاده و اسمه أحمد قد توفى سنه ۶۲۸ ه/ ۱۲۳۱ م.

مما تقدم عرضه بايجاز نعلم أن المؤرخين الذين أنجبتهم اماره حلب كثير عددهم خصب انتاجهم، و لقد تأوجت أعمال التدوين التاريخى فى الشام الشمالى فى القرن السابع للهجره/ الثالث عشر للميلاد، و أبرز الذين خلفوا لنا العديد من المؤلفات هم: ابن أبى طى ء (يحيى بن حميده- توفى سنه ۶۳۰ ه/ ۱۲۳۱ م)، و القفطى (على بن يوسف- توفى سنه ۶۴۶ ه/ ۱۲۴۸ م) ابن العديم (عمر بن أحمد- توفى سنه ۶۶۰ ه/ ۱۲۶۱- ۱۲۶۲ م) و ابن شداد (محمد بن على- توفى سنه ۶۸۴ ه/ ۱۲۸۵ م).

و يمكن أن نضيف إلى هؤلاء بهاء الدين بن شداد صاحب سيره صلاح الدين لأنه أمضى سنوات حياته الأخيره فى حلب.

و كـان القفطى، الـذى شـغل منصب الوزير بحلب، مصـنفا لعـدد من الكتب تتضـمن عـده موضوعـات منهـا واحـد حمـل عنوان «الاستئنـاس فى أخبار آل مرداس» لا نعرف نسـخه عنه، و فيما عـدا ما يوحيه عنوانه لا نعرف شـيئا عن محتوياته و لا الطريقه التى كتب بها.

و كتب ابن أبى طى ء عده كتب معظمها بحكم المفقود، و قد ذكر له حاجى خليفه كتابا اسمه «معادن الذهب» فى تاريخ حلب، كما و يرجـح أنه كتب سـيره لصـلاح الـدين الأيوبى، و أتى بتفاصـيل حوله لا نجـدها عنـد سواه، فقد كان والد هذا المؤرخ من زعماء الشـيعه الاماميه بحلب، و قد اضـطر إلى مغادره مدينته أيام نور الدين محمود بسـبب السـياسه الدينيه التى اتبعها و لضـغطه الشديـد على الشـيعه، و لـذلك جاءت أخبار ابن أبى طى ء مشايعه لصـلاح الـدين مضاده لنور الدين، و مع ذلك هى هامه جدا اعتمدها و استفاد منها كل من ابن العديم و أبو شامه فى الروضتين.

هـذا و كتب ابن شـداد كتاب الأعلاق الخطيره، و جل مواده عن حلب نقلها عن ابن العديم، و ابن العديم هو أعظم مؤرخ أنجبته بلاـد الشـام فى تاريخهـا الاسـلامى كـان غزير الانتـاج موسوعى المعارف، و هو خير ممثل للحضاره العربيه و الثقافه الشاميه قبيل الاجتياح المغولى المدمر.

و ابن العديم هو الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبه الله ...

ابن أبى جراده، ولـد فى مـدينه حلب فى ذى الحجه سـنه ثمان و ثمانين و خمسـمائه للهجره و عند ما بلغ السابعه من عمره حمل إلى المكتب للدراسه، و هناك

ظهرت استعداداته مما بشر بنبوغه المبكر، و قد كان نحيف البنيه لذلک عنی به أبوه عنايه كبيره، فحدب على رعايه صحته، و سهر على تربيته و تعليمه، و نظرا لمنزله والده و لما تمتعت به أسرته من مكانه نال ابن العديم حظه وافيا من معارف عصره الدينيه و الدنيويه، و يروى بأن اباه حضه على اتقان قواعد الخط، ذلک أنه- أى الأب- كان ردی ء الخط، فأراد أن يجنب ابنه هذه الخله، و نجح فی هذا المجال نجاحا كبيرا جدا، و قد وصف ياقوت اتقان ابن العديم لقواعد الخط العربی بقوله: «و اما خطه فی التجويد و التحرير و الضبط و التقيد فسواد ابن مقله، و بدر ذو كمال عند على بن هلال»، و يؤكد شهاده ياقوت هذه المجلدات العشره من كتاب بغيه الطلب التی وصلتنا بخط ابن العديم، حيث نرى واحدا من المع النساخ فی تاريخ العربيه و أكثرهم ضبطا و براعه و أمانه و يقظه و درايه.

و فی باب العنايه فی إنشاء ابنه و تثقيفه صحب أحمد بن هبه الله ولده عمر فی رحلاته و أسفاره، حيث زار دمشق أكثر من مره كما زار بيت المقدس و رحل إلى العراق و الحجاز.

و عندما بلغ سن الشباب وجد ابن العديم السبل أمامه كلها مفتوحه لمستقبل لامع، و كان لمواهبه و ثقافته و أسرته الفضل الأكبر فی تحقيق نجاحاته، و هنا يحسن التوقف قليلا للتعرف إلى اسره ابن العديم، و ذلک قبل متابعه الحديث عن مراحل حياته:

يعرف الجد الأعلى للصاحب كمال الدين باسم ابن أبی جراده، و كان

صاحبا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب، ينتسب إلى ربيعه من عقيل إحدى كبريات قبائل عامر بن صعصعه العدنانيه، و كان يقطن مدينه البصره، و فى هذه المدينه عاش أولاد آل أبى جراده و أحفادهم، و فى مطلع القرن الثالث للهجره قدم أحد أفراد أسره أبى جراده إلى الشام فى تجاره و كان اسمه موسى بن عيسى و حدث أنئذ أن ألم بالبصره طاعون، لهذا قرر موسى البقاء فى الشام، و استوطن مدينه حلب، و فى هذه المدينه التى كانت عاصمه شمال بلاد الشام، و مفتاح الطريق إلى العراق و بلاد المشرق الاسلامى مع آسيا الصغرى و الأراضى البيزنطيه، فيها خلف موسى بن عيسى أسره نمت مع الأيام عددا و مكانه و ثروه و شهره، و تملكت هذه الأسره الأملاك، كما ساهمت فى جميع ميادين الحياه فى حلب من سياسه و علم و قضاء و اداره و تجاره و غير ذلك، و بهذا غدت أسره آل أبى جراده من أبرز أسر حلب، و ظلت هكذا حتى حل بحلب الدمار على أيدى جيوش هولاكو، كما ظلت محتفظه باسمها ذاته طوال تاريخها، إنما فى القرن الأخير من حياتها كسبت اسما اضافيا، أخذ رويدا يعم فى الاستعمال أكثر من الاسم الأصيل، لكنه لم يلغه و كان الاسم الجديد هو «العديم»، و نحن لا نملك تعليلا لسبب هذه التسميه، فقد قال ياقوت: «سألته أولا لم سميتم ببنى العديم؟ فقال:

سألت جماعه من أهلى عن ذلك فلم يعرفوه و قال: هو اسم محدث لم يكن آبائى القدماء يعرفون بهذا».

و دانت أسره ابن أبى جراده بالتشيع حسب مذهب الاماميه، و ظلت هكذا حتى بدأ التشيع بالانحسار فى حلب، و ذلك منذ النصف الثانى للقرن

الخامس/ الحادی عشر، هذا و ان کنا لا نعرف بالتحدید تاریخ أخذ هذه الأسره بمذاهب السنه أمکننا أن نقدر ذلک، بحکم سقوط سلطه الشیعه فی حلب مع عصر السلطان السلجوقی الب ارسلان (و هو أمر بحثته بالتفصیل فی کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه) و نظرا لعلاقات أسره آل أبی جراده الخاصه مع سلطات حلب، لابد أن الحال اقتضی المسایره و التحول إلی السنه، و لربما حسب المذهب الحنفی.

و فی عوده نحو سیره الصاحب کمال الدین نجده یحدثنا بأن والده خطب له و زوجه مرتین، فقد اخفق فی الزواج الأول، لذلک طلق زوجته و تزوج ثانیه بابنه الشیخ الأجل بهاء الدین أبی القاسم عبد المجید بن الحسن بن عبد الله- المعروف بالعجمی، و کان شیخ أصحاب الشافعی، و من أعظم أهل حلب منزله و قدرا و ثروه و مکانه سیاسیه و دینیه و اجتماعیه، و من زواجه الثانی رزق الصاحب کمال الدین أولاده، و لم یمت والده حتی کان ابنه أحمد طفلا یدب علی الأرض، و یمکننا التعرف إلی هذا الابن من خلال استعراضنا لکتاب بغیه الطلب حیث سمع الکتاب علی أبیه و قام بعد وفاه والده باستدراک بعض المواد التی حالت المنیه بین والده و بین تدوینها فی کتابه، فمن المقرر أن ابن العدیم مات دون أن یقوم باعاده النظر فی مؤلفه «بغیه الطلب» و لم یقم بتبییضه، و الذی وصلنا هو مسوده الکتاب، إنما نظرا لبراعه المؤلف و حسن طریقته و جوده خطه، نری أن مکانه الکتاب و أهمیته هی هی، ذلک أن أهمیه الکتاب نابعه مما حواه من مواد تاریخیه نهلها ابن العدیم من وثائق و مصنفات غیبها الزمن عنا، فابن العدیم کان مصنفا ممتازا

و لم يكن «مؤرخا» حسب مصطلحات أيامنا هذه، فهو قد جمع فى كتابه المواد الاخباريه و نسقها، لكنه لم يحاول تعليلها و معالجتها كما يفعل الباحث فى التاريخ فى جامعات أيامنا هذه ...

و منذ أن بلغ الصاحب كمال الدين سن الشباب أخذ يشارك فى الحياه السياسيه و العلميه لمدينه حلب، فقد كان يحضر مجلس الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين- صاحب حلب- فيكرمه و يقربه و يقبل عليه أكثر من أقباله على غيره على الرغم من صغر سنه، و فى ذى الحجه سنه ست عشره و ستمائه ولى ابن العديم أول عمل رسمى، لقد ولى التدريس فى مدرسه شاذبخت، و كانت من أجل مدارس حلب و ارقاها، كل «هذا و حلب اعمر ما كانت بالعلماء و المشايخ، و الفضلاء الرواسخ، إلا أنه رئى أهلا لذلك دون غيره، و تصدر، و ألقى الدرس بجنان قوى، و لسان لوذعى، فأبهر العالم و أعجب الناس» و يبدو أنه تولى بعد هذه المدرسه التدريس بالمدرسه الحلاويه، التى كانت أجل مدارس حلب، و هى مدرسه ما زالت قائمه حتى الآن، تعلو واحدا من جدرانها لوحه حجريه كتبها ابن العديم بخطه.

و مع مرور الأيام علت مكانه ابن العديم، فسفر عن ملوك حلب إلى ملوك الدول المجاوره فى بلاد الشام و الجزيره و آسيه الصغرى، و إلى سلاطين القاهره و خلفاء بغداد، و كانت خزائن كتب و وثائق كل بلد زارها تحت تصرفه، فنهل منها ما لم ينهله سواه، و اودع جل ذلك فى كتابه بغيه الطلب، و من هذه الزاويه يمكن أن نرى أهميه هذا الكتاب، و من ناحيه أخرى يمكننا

أن نرى المدى الذى وصلت إليه خزائن المشرق العربى قبيل وقوع الطامه الكبرى على يد المغول بسنوات.

و فى كل مكان زاره ابن العديم كان يلقى الحفاوه من رجال السلطه، و كان فى الوقت نفسه يلتقى بالعلماء و شيوخ العصر فيأخذ عنهم، و لقد أودع ما أخذه عن علماء عصره، و ما رآه من أحداث أو شارك به، أودعه فى كتابه بغيه الطلب، حتى غدا هذا الكتاب أشبه بمنجم للمعلومات لا ينضب معينه.

و ظل نجم ابن العديم يصعد فى سماء السياسه فى حلب و سواها حتى وصل إلى مرتبه الوزير، و لكن مشاغل السياسه و الحياه العامه لم توقف العمل الفكرى و لم تعطله، و هكذا صنف ابن العديم عددا كبيرا من الكتب، غلب على معظمها سمه التاريخ، و لعل أشهر كتبه «كتاب زبده الحلب من تاريخ حلب» و «كتاب الانصاف و التحرى فى دفع الظلم و التجرى عن أبى العلاء المعرى» و كتابه بغيه الطلب الذى أشرنا إليه حتى الآن كثيرا، و قد طبع كتاب زبده الحلب فى أجزاء ثلاثه فى دمشق، و أعدت الآن تحقيقه، أما كتاب الانصاف فقد طبعت قطعه منه للمره الأولى بحلب ثم اعيد طبعها فى القاهره، و أقول قطعه ذلك أن الكتاب لم يصلنا كاملا بشكل مباشر.

و عندما قلت بشكل مباشر اردت أن أقول بأن الكتاب وصلنا بشكل غير مباشر، فقد روى لى منذ سنوات أن واحدا من أحفاد ابن العديم ممن عاش بعد جده فى القاهره، صنف كتابا حول القاضى الفاضل دعاه باسم

«سوق الفاضل فی ترجمه القاضی الفاضل»، و توجد من هذا الکتاب نسخه خطیه فی مکتبه شیخ الإسلام عارف حکمت بالمدینه المنوره، و قیل لی إن فی ثنایا الکتاب ورد فی احدی رسائل القاضـی الفاضل بیت شعر من شعر المعری، و اراد حفید ابن العدیم أن یعرف بالمعری، فقال: قال جدی فی کتابه الانصاف و التحری: و أثبت نص الکتاب بکماله، و یوجد هذا الکتاب مصورا علی شریط فی معهد المخطوطات التابع لجامعه الدول العربیه بالقاهره، و مضیت إلی المدینه المنوره للتأکد من هذا الخبر، فتیقنت من عدم دقته و ان حفید ابن العدیم نقل قلیلا من کتاب جده الانصاف و التحری.

و یعود سـبب انتقال ابن العدیم إلی القاهره، إلی تعرض مدینه حلب إلی الدمار سـنه ۶۵۷ ه علی یـد جیوش هولاکو، و کان ابن العـدیم غـادر مـدینته إلی دمشق، ثم منها إلی غزه فالقاهره، و یبـدو أنه عاد بعـد عین جالوت إلی دمشق، و ربما اراد التوجه إلی حلب، أو توجه إلیهـا فعلاـ لیعاین الـدمار الـذی لحقها، و فی أثناء ذلک عرض علیه هولاکو منصب قاضـی حلب، فرفض، و عاد إلی القاهره، حیث أمضی بقیه حیاته، و قد وافته منیته فی مصر فی العشرین من جمادی الأولی سنه ستمائه و ستین للهجره.

و کنت فی عـام ۱۹۸۸ قـد حققت الموجود من کتاب بغیه الطلب و نشـرته بـدمشق، و کنت من قبل قـد تعاملت مطولا مع کتاب «زبده الحلب من تاریخ حلب» الذی انتزعه ابن العدیم و اسـتخلصه من مواد کتاب «بغیه الطلب»، و جاء هذا التعامل لدی اعدادی لرساله الدکتوراه فی جامعه لندن عن اماره

حلب فی القرن الخامس ه/ الحادی عشر میلادی، و عندما بدأت بعملی باعداد اطروحتی کان المنشور من کتاب زبده الحلب الجزء الأول [نشر فی دمشق 1951] و الثانی [نشر فی دمشق ١٩٥۴] لذلک قمت بتصویر المتبقی من المخطوط من باریس [نشر الجزء الثالث فی دمشق ١٩۶٨].

لقد تولی المرحوم الدکتور سامی الدهان تحقیق کتاب زبده الحلب، و نشره فی/ ١٠۵۴/ ص وزعها علی ثلاثه أجزاء، و قدم لنشرته بمقدمه مسهبه عن حیاه ابن العدیم و عن مؤلفاته، و لا شک أنه بذل جهودا طیبه فی تحقیق الکتاب الزبده، لکن یؤخذ علی عمله الاطاله، لا بل الاسراف بالاطاله، فهو کان مغرما بالحواشی و باقحام العناوین، و أقحم العناوین فی نص الکتاب و کأنها منه، و لم یضعها بین حواصر للأمانه، و فی هذا العمل تدلیس و تزییف.

أما الحواشی فأکثر من تکرارها فضلا عن أنه اختلق بعضها بلا سبب، حتی أنه کان یدعی وجود طمس بالمخطوط، و من ثم اجتهاده بالقراءه و الضبط، هذا و أخفق الدکتور الدهان فی عده أماکن فی قراءه النص إلی حد أن «عین الجر» جاءت عنده «عبر الجسر».

و کان المرحوم الدهان قد وصف المخطوطات التی اعتمدها خاصه الأساسیه منها و هی مخطوطه المکتبه الوطنیه فی باریس (رقم ١۶۶۶- الرقم القدیم ٧٢٨ مخطوطات عربیه) و هی تقع فی ٢۶٨ ورقه بحجم ٢۵* ۵، ١٧ سم، و کتبت هذه النسخه «لإحدی عشره لیله خلت من ربیع

الآخر سنه ست و ستين و ستمائه» أى بعد وفاه ابن العديم بست سنوات، و قد اعتمد ناسخها على نسخه ابن العديم التى كتبها بخط يده.

و كنت قد اشتريت منذ أكثر من عامين بعض مصورات مكتبه المرحوم الدكتور الدهان من ذلك مصوره كتاب زبده الحلب، و على هذا اعتمدت المصوره نفسها التى اعتمدها.

و من المرجح أن ابن العديم انتزع مواد زبده الحلب من مواد بغيه الطلب لكن قبل اكماله لتصنيف كتاب البغيه، و لهذا نلاحظ وجود بعض الفوارق بين روايات الكتابين أحيانا حول الخبر نفسه، و صنف ابن العديم الزبده تلبيه لرغبه الملك العزيز بن الظاهر الأيوبى [٦١٣- ٦٣۴ ه] لكنه لم يقيد نفسه بتاريخ عهده، بل زاد عليه، و من المؤكد أنه لم يبيض كتابه بغيه الطلب، بل إن بعضهم يرى إنه لم يكمل تصنيفه.

و كتاب زبده الحلب يختلف فى منهجه عن كتاب البغيه، و هو يشبه من بعض الوجوه تاريخ دمشق لابن القلانسى، و كتب الحوليات، و لا شك أنه أهم مصدر فى بابه، ظهر فيه ابن العديم بمظهر المؤرخ الأصيل.

و انصب اهتمامى لدى تحقيقى لهذا المصدر الهام على ضبط النص و اخراج جميع الشوائب منه، و خففت من الحواشى قدر الامكان، لكن اضطررت لأسباب فنيه إلى اضافه بعض العناوين، فوضعت ما أضفته بين حاصرتين و نبهت على ذلك، و لعل مما ساعدنى فى عملى أننى أعمل فى تاريخ

حلب منـذ أكثر من ثلاـثين سـنه، و أننى حققت كتـاب بغيه الطلب، و توفر لى مصـادر جديـده، ثم إن اختصاصـى الأساسـى هو التاريخ الإسلامى.

و الله الموفق إلى السداد و الصلاه و السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

دمشق ۵ جمادى الأولى ۱۴۱۷ ه

۱۷ أيلول ۱۹۹۶ م

الصفحه الأولى من زبده الحلب- نسخه باريس-

الصفحه الغلاف لمخطوط زبده الحلب- نسخه باريس-

ص: ٢٥

الصفحه الأخيره من مخطوط زبده الحلب- نسخه باريس-

الصفحه الأولى من الدرارى بخط ابن العديم

ص: ٢٧

نموذج من خط ابن العديم بغيه الطلب

زبده الحلب من تاريخ حلب تأليف المولى الصاحب سفير الخرقه النبويه كمال الدين أبى حفص عمر بن أحمد بن هبه اللّه(۱)

---

۱- جاء على هـذه الصـفحه من مخطوط باريس: - قرى فى هذا الكتاب بطرس بن ديب الحلبى من طائفه الملكيه رحمه اللّه عليه و على أهله، و على قارى ء ذا الخط فى باريس فى بيت الوزير كولبيرت سنه ألف و ستميه و ثمانين مسيحيه. - رأيت بخيل صان سنـداس دارهى و لم نر قبله شـخص يحرس الخلاـ و مـا ذاك إلاـ النهر ضن النهر يعود طعامك مثل ماكان. رمت أمرءا فاحـذر عـداوته. من يزرع الشوك لا يحصـد به مـدو و إن أبدى مسالمه إذا رأى منك يوما فرصه و غيره. فى سـبع و عشـرين ليله بشـهر هلال شباط أتى فيها أن يكون فإنه صيام النصارى فاعلمن ذاك و ادرين.

## [حلب فی قدیم الزمان]

### اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و ما توفیقی إلا باللّه الحمد للّه مقلّب الأمور. و مصرّف الدّهور. و مالک الأمیر و المأمور.

و الصّلاه علی نبیّه محمّد المصطفی الصّبور. الذی نسخ بدینه سائر الأدیان و قمع به کلّ کفور. و علی آله و أصحابه صلاه دائمه إلی یوم النّشور.

و بعد فإنّ بعض من یتعیّن علیّ امتثال أمره. و یجب علیّ الانقیاد إلی موالاته و برّه. التمس منّی تعلیق ما وقع إلیّ من ذکر أمراء حلب و ولاتها.

و ملوکها و رعاتها. فسارعت إلی تحصیل غرضه. و قمت من تلبیته بمفترضه.

و علّقت فی هذه الأوراق ذکر من ملکها من الولاه. و بعض من عثرت علیه من الوزراء و القضاه.

و أضفت إلی ذلک ذکر من بناها فی قدیم الزّمان. و معنی اسمها المختصّه هی به من بین سائر البلدان.

و رسمته: «بزبده الحلب من تاریخ حلب»؛ لأنّه منتزع من تاریخی الکبیر للشهباء. المرتّب علی الحروف و الأسماء.

و أرجو أن يكون وصل إليّ من ذلک ما لم يصل إلی سواى. و أن أبلغ من عفو اللّه و رحمته نهايه سؤلی و أقصی مناى. و باللّه أستهدى. و إلی فضله و کرمه أستعدى.

و أقول:

اسم حلب عربیّ لا شک فيه(۱). و کان لقبا لتل قلعتها(۲). و إنّما عرف بذلک لأن إبراهيم الخليل- صلوات اللّه عليه- کان إذا اشتمل من الأرض المقدّسه؛ ينتهی إلی هذا التلّ فيضع به أثقاله، و يبث رعاءه إلی نهر الفرات

---

۱- حلب مدينه عربيه موغله بالقدم، قامت علی ضفه نهر قويق اليسری، وسط منطقه زراعيه، تنتج الحبوب و الزيتون، فی موقع استراتيجی هام جدا، فقد شکلت صله وصل بين بلاد الشام و بلاد ما بين النهرين و الهضبه الايرانيه و البلدان الآسيويه الشرقيه، من جهه الشرق و آسيه الصغری فأوربا الشرقيه من جهه الشمال، و شواطی ء البحر المتوسط من جهه الغرب. حافظت علی اسمها دونما تبديل، فقد وردت فی نصوص ماری باسم حالاب، و خلاب و خالايا و حلبا، و فی النصوص المصريه القديمه خرب، و فی رسائل تل العمارنه حلب، و فی نصوص أوغاريت حلب، و فی النصوص الآراميه الصيغه نفسها، و وردت فی النصوص الحثيه باسم خلب و خالاب و حلباس، و سماها الهلنستيون بيروا، و استردت اسمها الأصيل بعد الفتح العربی، و تعاظمت مکانتها فکانت حاضره الشمال الشامی، و شغلت دوما أهم الأدوار السياسيه و الحضاريه و الاقتصاديه، و تميزت بتل قلعتها و بنشاط سکانها و عبقريتهم و امکاناتهم المتميزه.

۲- هناک اجتهادات جعلت إبراهيم الخليل من ايبلا، و هنا يمکن ربطه بتاريخ مدينه حلب، و لا نقيم وزنا للدعاوی الصهيونيه التوراتيه بشأن الانتماء إلی إبراهيم الخليل، فبنو اسرائيل اندثروا منذ عده آلاف من السنين، و ماورد بالتوراه من معلومات تاريخيه لم تثبته أعمال الکشف الأثری، و الصهاينه الذين جاءوا من أوربا هم من أصل خزری.

و إلى الجبـل الأسود(۱). و كـان مقـامه بهـذا التـلّ يحبس به بعض الرّعـاء؛ و معهم الاغنـام، و المعز، و البقر. و كان الضّعفاء إذا سمعوا بمقـدمه أتوه من كلّ وجه، من بلاد الشـمال. فيجتمعون مع من اتبعه من الأرض المقدسه، لينالوا من برّه؛ فكان يأمر الرّعاء بحلب مـا معهم طرفى النّهـار. و يأمر ولـده و عبيـده باتخاذ الطّعام فإذا فرغ له من ذلك أمر بحمله إلى الطرق المختلفه بازاء التلّ، فيتنادى الضّعفاء: «إنّ إبراهيم حلب»، فيتبادرون إليه.

فنقلت هذه اللّفظه كما نقل غيرها، فصارت اسما لتلّ القلعه. و لم يكن فى ذلك الوقت مدينه مبنيّه.

قيل: إنّ «بيت لاها»(۲) كان يقيم به أيضا إبراهيم- صلّى اللّه عليه- و رعاؤه تختلف إليه. و كان يفعل فيه أيضا، كما يفعل فى تلّ القلعه. لكنّ الاسم غلب على تلّ القلعه دون غيره.

---

۱- « جبل دون اللكام من شـرقيه، و يقال إن إبراهيم صـلى اللّه عليه و سلم كان إذا أقام بحلب يبث رعاءه إليه ليرعوا غنمه فيه، و فيه أشجار كثيره غير مثمره» بغيه الطلب لابن العديـم- تحقيقى ط. دمشق ۱۹۸۸ ص ۴۳۸، و المراد هنا جبال الأمانوس.
۲- بهامش الأصل:« و بيت لاها هذا المشار إليه هو جبل اللكام، و يقال له بيت لاها الغربى و بيت لاها الشـرقى هو ليلون، و يقال لكـل منهما الغربى». و فى بغيه الطلب ص ۴۲۰ لدى الحديث عن جبل سـمعان قال ابن العديم:« و فى وسط هذا الجبل جبل عال شـاهق على الجبـال التى حوله، يقـال له بيت لاهـا، و هو بيت لاهـا الشـرقى، لأـن جبـل اللكـام يقـال له بيت لاها الغربى، و معناه بالسـريانيه بيت اللّه، و يقـال إن إبراهيم عليه السـلام لمـا هاجر إلى الشام، كان يرعى غنمه من أرض حلب إلى بيت لاها، و يقال لما حوله من الجبال جبل ليلون، و قيل فيه لولون».

و قیل: إنّ إبراهیم- صلی اللّه علیه- لمّا قطع الفرات من حرّان(۱) أقام ینتظر ابن أخیه «لوطا»، فی کثیر ممّن یتبعه فی سنه شدیده المحل. و کان الکنعانیون یأتون إبراهیم- علیه السلام- بأبنائهم فیهبونهم منه؛ و یتصدّق علیهم بأقواتهم من الطّعام، و الغنم. و صار إبراهیم- علیه السلام- إلی أرض حلب فاتخذ الرکایا، و کرا الأعین؛ و منها: عین إبراهیم- علیه السلام- و هی التی بنیت علیها مدینه حلب.

و کان للکنعانیین بتلّ القلعه فی رأسه بیت للصّنم؛ فصار إلیه ابراهیم- علیه السلام- فأخرج الصنم؛ و قال لمن حضره من الکنعانیین: أدعوا إلهکم هذا أن یکشف عنکم هذه الشّده. فقالوا: و هل هو إلا حجر؟ فقال لهم:

فإن أنا کشفت عنکم هذه الشّدّه، ما یکون جزائی؟ فقالوا له: نعبدک فقال لهم: بل تعبدون الّذی أعبد؛ فقالوا: نعم.

فجمعهم فی رأس التلّ؛ و دعا اللّه، فجاء الغیث. و ضرب إبراهیم- علیه السلام- برأس ظلّه حین أقلع الغیث. و توافت إلیه رعاؤه؛ فکان یأمر أصحابه بإصلاح الطّعام، و یضعه بین أوعیه اللّبن؛ و یأمر بعضهم فینادی:

«ألا- إنّ إبراهیم قد حلب فهلمّوا» فیأتون من کلّ وجه، فیطعمون، و یشربون، و یحملون ما بقی إلی بیوتهم. فکان الکنعانیون یخبرون عن مقام

---

۱- حران الآن قریه مهمله داخل الحدود الترکیه، قریبه من أطراف محافظه الرقه، و کانت دوما من أهم مدن بلاد الشام لاسیما فی الجوانب الفکریه و العقائدیه.

إبراهيم بما كان يفعله. و صار قولهم «حلب» بطول هذا الاستعمال لقبا لهذا التلّ؛ فلما عمرت المدينه تحته سميت باسمه.

و ذكر بعضهم: أنها إنما سميت «حلب» باسم من بناها، و هو:

حلب بن المهر بن حيص بن عمليق من العمالقه. و كانوا إخوه ثلاثه: بردعه، و حمص، و حلب؛ أولاد المهر. فكلّ منهم بنى مدينه سميت باسمه.

و كان اسم حلب باليونانيه «باروا» و قيل «بيرؤأا».

و ذكر ارسطاطاليس(۱) فى كتاب الكيان(۲): أنه لما خرج الاسكندر لقصد دارا الملك، و مقاتلته، كان ارسطاطاليس فى صحبته؛ فوصل إلى حلب- و هى تعرف بلسان اليونانيه «بيرؤأا»- فلما تحقّق أرسطوطاليس حال تربتها، و صحّه هوائها، استأذن الإسكندر فى المقام بها، و قال له: إنّ بى مرضا باطنا، و هواء هذه البلده موافق لشفائى. فأقام بها فزال مرضه.

و قيل: إنّ الذى بنى مدينه حلب أولا ملك من ملوك الموصل يقال له:

---

۱- لأرسطو ترجمه وافيه فى بغيه الطلب ص ۱۳۴۱- ۱۳۴۵.
۲- قال ابن العديم فى بغيه الطلب أثناء الحديث عن كتب أرسطو:« و أما الكتب التى فى العلوم الطبيعيه فمنها ما يتعلم منه الأمور التى تخص كل واحد من الطبائع، فالأمور التى يتعلم منها الأمور التى تعم جميع الطبائع و هو كتابه المسمى« بسمع الكيان» فهذا الكتاب يعرف بعدد المبادى ء لجميع الأشياء الطبيعيه، و بالأشياء التوالى للمبادى ء. و بالأشياء المشاكله للتوالى، فأما المبادى ء فالعنصر و الصوره، و أما التوالى فالزمان، و أما المشاكله للتوالى: فالخلاء، و الملاء، و ما لا نهايه له ...».

بلوکوس الموصلی(۱). و یسمیه الیونانیون: «سردینبلوس». و کان أول ملکه فی سنه ثلاثه آلاف و تسعمائه و تسع و ثمانین سنه لآدم- صلوات اللّه علیه- و ملک خمسا و أربعین سنه. و فی سنه تسع و عشرین من ملکه و هی سنه أربعه آلاف و ثمانی عشره سنه لآدم، ملکت ابنته «أطوسا» المسماه «سمیرم»(۲) مع أبیها بلوکوس.

و ذکر أبو الرّیحان البیرونیّ(۳) فی کتاب القانون المسعودیّ، و قال: بنیت

---

۱- نقل ابن شداد فی کتابه الأعلاق الخطیره- ط. دمشق ۱۹۸۸ ق ۱ ج ۱ ص ۴۲:« قال کمال الدین ابن العدیم: قرأت فی الکتاب الجامع للتاریخ، المتضمن ذکر مبدأ الدول، و منشأ الممالک، و موالید الأنبیاء، و أوقات بناء المدن، و ذکر الحوادث المشهوره، مما عنی بجمعه أبو نصر یحیی بن جریر الطبیب، التکریتی النصرانی، من عهد آدم إلی دوله بنی مروان، و نقلت ذلک من خطه قال: ذکر أن فی دوله المواصله أن بلوکوس الموصلی ملک خمسا و أربعین سنه، و أول ملکه فی سنه ثلاثه آلاف و تسعمائه و تسع و ثمانین لآدم علیه السلام، قال: کان فی سنه تسع و عشرین من ملکه، و هی سنه أربعه آلاف و ثمانی عشره لآدم ملکت أطوسا المسماه سمیرم مع بلوکوس أبیها، و بلوکوس هذا هو الذی یسمیه الیونانیون سردنیبلوس، و هو الذی بنی مدینه حلب».

۲- هی سمیرامیس، بطله أسطوره آشوریه انتشرت فی ایطالیا و بلاد الاغریق، قیل کانت أمها دیر کیتوربه عسقلان التی کانت تجمع بین وجه امرأه جمیله و جسم سمکه. انظر تفاصیل الاسطوره فی معجم الأساطیر الیونانیه و الرومانیه لسهیل عثمان و عبد الرزاق الأصفر، ط. دمشق ۱۹۸۲ ص ۲۹۳- ۲۹۴.

۳- البیرونی هو أبو الریحان محمد بن أحمد ۳۶۲- ۴۴۱ ه/ ۹۷۳- ۱۰۵۰] کان قد عاش فی البلاط الغزنوی، بعد سقوط الدوله السامانیه، و صنف بالعربیه فی الجغرافیه، و الفلک، و اللغه و الفلسفه، انظر کتابی مائه أوائل من تراثنا- ط. دمشق ۱۹۸۹ ص ۴۹۶- ۴۹۹.

حلب فی أیام بلقورس(۱) من ملوک نینوی، و کان ملکه لمضی ثلاثه آلاف و تسعمائه و اثنتین و ستین سنه لآدم- علیه السلام- و مده مقامه فی الملک ثلاثون سنه.

و شاهدت علی ظهر کتاب عتیق من کتب الحلبیین بخطّ بعضهم:

رأیت فی القنطره الّتی علی باب أنطاکیه، من مدینه حلب، فی سنه عشرین و أربعمائه للهجره کتابه بالیونانیه، فسألت عنها، فحکی لی أبو عبد اللّه الحسین بن إبراهیم الحسینی الحرّانیّ- أیده اللّه- أنّ أبا أسامه الخطیب بحلب حکی له: أنّ أباه حدّثه: أنه حضر مع أبی الصّقر القبیصی، و معهما رجل یقرأ بالیونانیه، فنسخوا هذه الکتابه و أنفذ إلیّ نسختها فی رقعه و هی:

«بنیت هذه المدینه، بناها صاحب الموصل، و الطّالع العقرب و المشتری فیه، و عطارد یلیه، و للّه الحمد کثیرا».

و هذا یدل علی ما ذکرناه، و هو أن بلوکوس الموصلی هو الذی عمرها.

و کان قبل الاسکندر.

و ذکر یحیی بن جریر التکریتی(۲) فی کتاب له ضمّنه أوقات بناء المدن،

---

۱- نقل ابن شداد ابن العدیم قوله:« و بلقوریس هذا هو بلوکوس الذی قدمنا ذکره، غیر أن هذه الأسماء الأعجمیه لا یکاد المسمون لها یتفقون فیها علی صوره واحده لاختلاف ألسنتهم». الأعلاق الخطیره ق ۱ ج ۱ ص ۴۴.
۲- أبو نصر یحیی بن جریر التکریتی، شهر بصناعه الطب، توفی بعد سنه ۴۷۲ ه، و صنف عده کتب. عیون الأنباء فی طبقات الأطباء لابن أبی أصیبعه- ط. القاهره ۱۳۰۰ ه ج ۱ ص ۲۴۳.

ما یـدل علی أن حلب بعـد بناء بلوکوس خربت، و جـدد عمارتها غیره، بعد موت الاسـکندر فانه قال بعد ذکر دوله الاسـکندر و موته باثنتی عشره سنه:

«بنی سلوقوس(۱) اللاـذقیه، و سـلوقیه، و أفامیه، و باروّا و هی حلب، و اداسا و هی الرّها؛ و کمّل بناء أنطاکیه و زخرفها و سـمّاها علی اسم ولده انطیوخوس و هی أنطاکیه، و کان شـرع فی بنائها قبله أنطیغنوس فی السنه السادسه من موت الاسکندر. و ذکر أنه بناها علی نهر أورنطس و سماها: «انطوغینا».

و قال: «کان الملک الأول علی سوریا، و بابل، «سلوقوس نیقطور»(۲) و هو سریانی؛ و ملک فی السنه الثالثه عشره لبطلمیوس ابن لاغوس، بعد موت الاسکندر؛ و ألزم الیهود أن یقیموا فی المدن التی بناها و قرّر علیهم الجزیه».

و سوریا هی الشام الأولی و هی: حلب و ما حولها من البلاد(۳)- علی

---

۱- الاشاره هنا إلی سـلوقس الثانی کالینیکوس ملک سوریه و بابل ابن أنطیوخوس الثانی، خاض عـده حروب و توفی سـنه ۲۲۶ ق. م. الموسوعه العربیه المیسره.

۲- کان سلوقس نیکاتور ت ۲۸۰ ق. م] من أبرز قاده الاسـکندر المقدونی، أسـهم فی حروب خلفاء الاسکندر و ملک سوریه و بابـل، و تولی تأسـیس عـدد من المـدن، و سـعی إلی التشـبه بالاسـکندر، و بعـد وفاته خلفه أنطیوخوس الأول. الموسوعه العربیه المیسره.

۳- کانت بلاد الشام مقسمه فی عصور ما قبل الفتح العربی الاسلامی إلی عده مناطق إداریه هی:

ما ذکره بعض الرواه- و فی طرف بلد حلب، بناحیه الأحص، مدینه عظیمه، و بها آثار قدیمه، یقال لها سوریه و إلیها ینسب القلی السوریانی، فلعلّ الناحیه کلّها ینسب إلیها، و یطلق علیها اسمها، کما أطلق بعد ذلک علی جمیع الکوره اسم قنسرین.

و قال بعض المؤرّخین من المسیحیه: الذی ملک بعد الاسکندر بطلیموس الأریب(۱) و هو الذی بنی مدینه حلب، و سماها «أشمونیت»: و ذلک

---

۱- کان بطلیموس الأول( سوتر) المنقذ واحدا من کبار قاده الاسکندر الأکبر، أقیم عقب وفاته والیا علی مصر، عمل علی تفکیک عری الامبراطوریه المقدونیه، و أسس فی مصر حکم أسره البطالمه، اعتنی بالاسکندریه وود جعلها عاصمه الحضاره الاغریقیه، جعل عباده الاسکندر دیانه رسمیه و هی العباده التی تطورت إلی عباده أسره البطالمه، و حمل بعض ألقاب الفراعنه، أشرک ابنه بطلیموس معه بالحکم قبل وفاته، و کانت وفاته سنه ۲۸۳/ ۲۸۲ ق. م. الموسوعه العربیه المیسره.

أنه اختار بناء المدينه فی موضع، و أراد أن یکون بها الماء، فخرج و دار حولها، حتی رأی الأعین التی «بحیلان»(۱)؛ فأمر المهندس أن یبنی علیهنّ بناء، و یحکمه، و أن یجریهنّ إلی المکان الذی هو مرسوم بمنزله الملک. و جمع الناس للعمل فی عماره المدینه، فاحتفر فی وسط المدینه حفیره بثقها إلی النهر الذی أجراه؛ و أمر بالقساطل أن تعمل فاختلّت، فاتخذت من الحجاره؛ فتمّ ما أراد و بنی به بناء فی موضع الریحانیین یومنا هذا؛ و اتخذ علیه قصرا، و بنی المدینه.

و آخر ما بناه «باب أنطاکیه» ورّتب فیها ابنته «أشمونیت»؛ و سمّی المدینه باسمها و أضاف لها جندا و زوجّها «بإیلیاوس»، أحد أبناء ملوکهم؛ و کان قائد جیش الأریب؛ و صار إلی أنطاکیه؛ و لیست من بناء الیونان فإنّ رسمّها قدیم؛ فتمم بناءها، و أضافها إلی إیلیاوس زوج أشمونیت(۲).

و ملک الأریب تسعا و عشرین سنه. و ملک بعده ابنه بطلیموس، و لقب بالیونانیه: «محب أخته»(۳)؛ و کانت أخته أشمونیت نائبه عنه؛ فبقی فی

---

۱- حیلان: قریه بهضبه حلب، تبعد عنها ۸ کم نحو الشمال، تصلها بحلب طریق مزفته، و هی تتبع اداریا قری مرکز و منطقه جبل سمعان. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

۲- لم یهتم البطالمه باعمار الجزء الجنوبی الذی حکموه من سوریه، و علی عکسهم کانت الدوله السلوقیه، حیث یبدو أن سلوقس قام بالدور الرئیسی فی هذا المجال، فإلیه تنسب المدن الأربع: أنطاکیه، و أفامیه، و سلوقیا، و لاذقیه. مدن بلاد الشام حین کانت ولایه رومانیه- ط. عمان ۱۹۸۷ ص ۳۶- ۴۱.

۳- وقعت حلب فی ظل حکم البطالمه و هم: بطلیموس الثانی محب أخته( ۳۰۸- ۲۴۶ ق. م) و قد جاء بعد بطلیموس، و حافظ علی استقلال مصر و خلفه بطلیموس الثالث الخیر یورجتیس] ۲۴۶- ۲۲۱ ق. م] و جاء من بعده بطلیموس الرابع فیلوباتور] المحب لأبیه، و خلفه بطلیموس الخامس ۲۰۳- ۱۸۰ ق. م] و جاء بعده بطلیموس السادس فیلومنور]

الملک ستا و عشرین سنه. و ملک بعده ابنه بطلیموس الاورجاتیس [و لقّب بالیونانیه بالفاعل فبقی فی الملک أربعا و عشرین سنه. و ملک بعده بطلیموس فلیفاطر] و لقّب بالیونانیه محب أبیه، و أشمونیت و زوجها و ولدها یتولون حلب. و ملک بعده «بطلیموس محب أمه»(۱) و هو ابن أشمونیت و کان ینزل حلب، و عمّر علی صخرتها قلعه، و حصّنها، فخرج علیه فی آخر أیامه «انطیاخوس» ملک الروم؛ و استنجد علیه فلم یکن لمحب أمه به طاقه، فخرج عنها مع أمه، فأسرهما أنطیاخوس، و عذبهما، و استصفی أموالهما، و شرع فی هدم ما جدّدت أشمونیت من بناء حلب. فقیل له إنّ الذی یفعله لیس من عاده الملوک، فکفّ عن هدمها؛ و توّعد من یسکن بحلب، فصار الناس إلی غیرها. و عاد إلی أنطاکیه فاستحدث بها أبنیه لنفسه. فلذلک یزعم قوم أن أنطاکیه من بنائه، و لیس الأمر کذلک؛ و إنما له فیها مثل ما لبطلیموس الأریب من التتمیم. و یقال: إن أشمونیت و هی حلب تجاوزت عمارتها مارسمه الأریب، حتی صارت العماره إلی جمیع الجوانب. و قیل: إن أشمونیت نصبت حوالیها مائه ألف نصبه من الزیتون، و من التین مائه ألف نصبه و غیر ذلک من الأشجار الجبلیه الشامیه. و لم یبق بحلب موضع ینسب إلی أشمونیت غیر العین المعروفه بأشمونیت. و ماتت أشمونیت و ولدها فی أسر أنطیاخوس تحت العقاب.

---

۱- المحب لأمه ۱۸۰- ۱۴۵ ق. م] و کان فی السابعه من عمره، فتولت الوصایه علیه أمه کلیوبترا الأولی، و بعد وفاتها غزا أنطیوخوس الرابع ۱۷۰ ق. م] مصر. الموسوعه العربیه المیسره.

و قيل هو الـذى بنى قنسـرين، و أجرى المـاء إليهـا فى قنـاه من عين المبـاركه، و قيـل: بناها غيره، و عرف انطياخوس ببطليموس الرابع.

و قيل: إنّ أشمونيت حال محاربتها أنطياخوس أتتها نجده من مصر، فهزمته فصار إلى الشرق فمات.

ثم ملك حلب بعد أشـمونيت «بطليموس ابيفانيس»(۱) و هو قائـد العسـكر؛ و فى زمـانه اشترت اليهود منه موضع القلعه المعروفه اليوم بقلعه الشريف فتحصّنوا بها؛ و كانوا يعينون الملك فى القتال و يحملون له الأموال.

ثم ملـك بعـده بطليموس فيلو بطر(۲)، و هلـك انطيـاخوس فى أيـامه. ثم ملـك بعـده جمـاعه من ملوك اليونـان؛ إلى أن صار الملك إلى القياصـره ملوك الروم؛ فملك منهم عده ملوك إلى أن ملك أوغسطس قيصر بن مويوخس، فاستولى على الدنيا، و قهر الملوك، و قصد مصـر ليسـتولى عليها، فلما بلغ حلب و كان أمره قد عظم، قال: إنّ بطليموس الأريب لم يرض أن ينزل منزلا لغيره. فسـار إلى موضع مـدينه قنسـرين فـأمر القواد أن يـأمروا من قبلهم بتحويط منازلهم، و أخـذ كلّ واحـد ببناء ما حوّطه، فبنى قنسرين و سمّاها «مدينه العسكر»(۳). و نقل الأسواق من حلب إليها، و لم يبق بحلب إلا من لا

---

۱- كذا، و بطليموس أبيفانس هو الرابع ۲۰۳- ۱۸۰ ق. م] فى أيامه فقدت مصر امبراطوريتها. الموسوعه العربيه الميسره.

۲- هذا بطليموس الرابع- المحب لأبيه، و سلفت الاشاره إليه.

۳- تبعد بقايا قنسـرين عن حلب ۷ كم و يضم الموقع تلا فيه بقايا مـدينه مسوره، هذا و كان يطلق على المنطقه ما بين العاصـى و الفرات اسم خالدين Chalcidene و كانت قنسـرين Chalcis حاضـره هذه المنطقه .. A classical Dictionary ۱۸۶۶ ,London

حـاجه للعسـكر به. و كـانت هـذه أعظم من فعل انطياخوس. و قيل: إنه أمر أن ينفق على القناه إليها فأنفق نائبه مالا على القناه، و أجرى الماء فيها من عين المباركه، و ساقها إلى القناطر إلى قنسـرين؛ و بنى بها ثلاث بركـ على شـكل المثلث، و فايضها ينحدر إلى الأرضين التى تحتها.

و صـار الملـك بعـده إلى جمـاعه من القياصـره ملوك الروم. و صـارت أنطـاكيه دار الملـك، و بهـا مقام ملوك الروم؛ و كانوا يـدعونها مـدينه اللّه، و مـدينه الملك، و أم المـدن، لأنّها أول بلد ظهر فيه دين النصـرانيه(۱). و معظم سور مـدينه حلب من بنـاء الروم.

و ملك منهم ملك يقال له: فوقاس(۲) فسـفك الدماء، و تتبع حاشيه كسرى، فقتلهم؛ فتوجه كسرى أنو شروان إلى الشّام فافتتح حلب، و أنطاكيه، و منبج، و رمّ ما استهدم من سور مدينه حلب بالقرميد الكبار، و هو ظاهر فى سور المدينه الكبير، فيما بين بابى اليهود و الجنان. و جدّد كسرى بناء منبج و سمّاها منبه؛ و هو بالفارسيه: أنا اجود، فعرّبت فقيل منبج.

و اسـتحسن أنطاكيه فلما عاد إلى العراق بنى مـدينه على صورتها، و سـماها ريـد خسـره، و هى التى تسـمى روميه، و أدخل إليها سبى أنطاكيه، فقيل إنهم

---

۱- فى هـذه العباره دقه كبيره، فبعـد ما نجـح بولس الرسول( شاول) فى مزج تعاليم السـيد المسـيح بالغنوصـيه، بات اسم العقيده الجديـده النصـرانيه، و على هـذا قـال بولس لأتبـاعه فى أنطـاكيه إثر نجـاحه: أنتم آخر الجليليين و أول النصارى. انظر الموسوعه العربيه الميسره.

۲- وصل فوقاس إلى عرش الامبراطوريه البيزنطيه سنه ۶۰۲ م، إثر مقتل الامبراطور موريس، و قد عزل سنه ۶۱۰ م من قبل هرقل الذى قدم من قرطاج و نصب نفسه امبراطورا.

لم ينكروا من منـازلهم شيئا فـانطلقوا إليها إلا رجل اسـكاف، كان على باب داره بأنطاكيه شـجره فرصاد(۱)، فلم يرهـا على بابه ذلك؛ فتحيّر ساعه؛ ثم دخل الدار، فوجدها مثل داره.

و لمـا عـاد كسـرى عن الشـام، قام هرقل بن فوق بن مروقس و جمع بطارقه الروم، و أولى المراتب؛ و ذكر لهم سوء آثار فوقاس ملك الروم؛ و غلبه الفرس على ملكهم بسوء تـدبيره، و إقـدامه على الدماء؛ و دعاهم إلى قتله فقتلوه؛ و وقع اختيارهم على هرقل فملّكوه.

و فى أول سـنه من ملكه كانت هجره نبيّنا محمّد- صـلى اللّه عليه و سلّم- من مكه إلى المدينه(۲)؛ و استولى على حلب، و على جميع البلاد، التى استولى عليها أنو شروان و كان جلّ مقامه بأنطاكيه.

فلما افتتح المسلمون أجناد الشام(۳)، و كانت وقعه اليرموك، و قتل

---

۱- الفرصاد شجر التوت، و توسع ابن العديم فى كتابه بغيه الطلب فى هذا الباب انظر ج ۱ ص ۶۵، ۹۱- ۹۲، ۱۰۶- ۱۰۷.

۲- اعتلى هرقل العرش فى بيزنطه سـنه ۶۱۰ م، و يقابل سـنه الهجره الأولى سنه ۶۲۲ م. انظر الدوله البيزنطيه فى عصـر الامبراطور هرقل تأليف د. ليلى عبد الجواد اسماعيل- ط. القاهره ۱۹۸۵ ص ۶۱- ۷۴.

۳- أشـرت من قبـل إلى تقسـيمات بلاـد الشـام اداريا قبل الفتـح العربى الاسـلامى، و بعـد الفتـح قام العرب باعاده النظر فى هـذا التقسـيم فى ضوء تبدل الجغرافيه السياسيه لبلاد الشام. فهذه البلاد باتت جزءا من دوله الخلافه التى مركزها الآن المدينه المنوره. و لم تعد تتبع روما الغربيه أو الشـرقيه بل تعاديها. لذلك قسم العرب البلاد أولا إلى أربعه أجناد هى: جند دمشق، و جند حمص، و جنـد الأردن، و جند فلسـطين، و فى العصـر الأموى أيام يزيد بن معاويه قسم جند حمص إلى قسـمين هما: جند حمص و جند قنسـرين.- و جنـد دمشق، حاضـرته دمشق، و فيه من الكور: بعلبك قاعـده البقاع، و حوران و مـدينته بصـرى، و البثنيه و مـدينتها أذرعـات، و الجولاـن و مـدينته بانيـاس، و كوره الشـراه و مـدينتها أذرح و منـاطق أخرى، على رأسـها المنـاطق الساحليه لعرقه و طرابلس و جبيل و بيروت و صـيدا. و كانت الغالبيه العظمى لسـكان جنـد دمشق من العرب من قبائل أصل يمانى. و جند حمص كان يضم وسط بلاد الشام مع الشـمال. من أهم مدنه حماه و شـيزر و أفاميا، و تدمر و معره النعمان، و حلب و الباره، و قنسرين و أنطاكيه، مع اللاذقيه و جبله و بانياس و أنطرطوس على الساحل، و كانت تنوخ و طى ء تسـكن هـذه المناطق قبل الفتح و انضاف إليهـا بعـد الفتـح القبائـل اليمـانيه التى شـاركت فى اليرموك و بقيه المعارك. جنـد الأردن و قصـبته مـدينه طبريه على شاطى ء البحيره التى حملت الاـسم نفسه. و من مـدن هـذا الجنـد فى الـداخل بيسـان و فحـل و جرش، و فى الساحل صور و عكا. و جند فلسـطين و قاعدته مدينه اللد و من مدن هذا الجند القدس و عمواس و نابلس و سبسـطيه و بيت جبرين. و بات لكل جند خراجه و نواه اداره مستقله و وال و حاميه. فقد تمركزت غالبيه القوات التابعه لجند فلسطين فى عمواس. و آثر كبار الصحابه سكنى هذه المدينه لوقوعها على مقربه من بيت المقدس. مختصـر كتاب البلدان لابن الفقيه: ۱۰۲- ۱۰۵ كتاب البلدان لليعقوبى: ۲۲۵- ۲۲۷. المسالـك و الممالـك لاـبن خرداذبه: ۷۵- ۷۶- الأعلاـق الخطيره قسم دمشـق: ۴۱. معجم البلـدان مـواد: عرقه. صـيدا، بيروت، طرابلس. الأنس الجليل: ۲۶۶.

المسلمون فيها معظم الرّوم، و أمير المسلمين عليهم أبو عبيده بن الجرّاج- رضى اللّه عنه- انتقل هرقل من أنطاكيه، و عبر الفرات إلى «الرها»؛ و جعل بقنّسرين ميناس الملك،- و كان أكبر ملوك الروم بعد هرقل.

فسار أبو عبيده بعد فراغه من اليرموك إلى حمص ففتحها؛ ثم بعث خالد بن الوليد على مقدمته إلى قنّسرين؛ فلما نزل بالحاضر زحف لهم الروم؛

و ثـار أهـل الحاضـر بخالـد بن الوليـد، و عليهم «ميناس»- و هو رأس الرّوم و أعظمهم فيهم بعـد هرقـل- فالتقّوا بالحاضـر؛ فقتل «ميناس» و من معه مقتله لم يقتلوا مثلها. و مات الروّم على دمه حتى لم يبق منهم أحد.

و أما أهل الحاضر فكانوا من تنوخ، منذ أول ماتنخوا بالشّام، و نزلوه و هم فى بيوت الشعر؛ ثم ابتنوا المنازل؛ فأرسلوا إلى خالد: أنّهم عرب؛ و انهم لم يكن من رأيهم حربه؛ فقتل منهم، و ترک الباقين.

فـدعاهم أبو عبيده بعد ذلک إلى الإسـلام فأسـلم بعضـهم، و بقى البعض على النصـرانيه؛ فصالحهم على الجزيه. و كان أكثر من أقام على النصرانيه بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه(۱).

و يقال: إنّ جماعه من أهل ذلک الحاضر أسلموا فى خلافه المهدىّ، فكتب على أيديهم بالخضره: قنّسرين.

ثم إنّ خالدا سار فنزل على قنّسرين، فقاتله أهل قنّسـرين، ثم لجؤوا إلى حصنهم، فتحصنوا فيه، فقال: «إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا اللّه عليكم أو لأنزلكم إلينا» ثم إنهم نظروا فى أمرهم، و ذكروا ما لقى أهل حمص فطلبوا منه الصلح؛ فصالحوه على صلح حمص، فأبى إلا على إخراب المدينه فأخربها.

---

۱- لمزيـد من التفاصـيل- انظر البلـدان للبلاذرى- تحقيقى- ص ۱۷۰- ۱۷۲. مغـازى ابن حـبيش- تحقيقى- ص ۲۲۵- ۲۲۶. و مفيد أن نشير إلى أن نظام الحواضر فى بلاد الشام قد اندثر الآن، اللهم إلا فى مدينه حماه حيث ما يزال الجزء العلوى- الشمالى- منها يعرف باسم الحاضر، و تتركز علاقات هذا الجزء مع أهل الباديه.

و كـان صـلح حمص على دينار و طعام على كل جريب(۱) أيسـروا أو أعسـروا. و غلب المسـلمون على جميع أرضها و قراها؛ و ذلك فى سنه ست عشره للهجره.

## فتح حلب

فتح حلب(۲)

ثم إنّ خالدا- رضـى اللّه عنه- سار إلى حلب، فتحصن منه أهل حلب. و جاء أبو عبيده- رضـى اللّه عنه- حتى نزل عليهم؛ فطلبوا إلى المسلمين الصلح و الأمان، فقبل منهم أبو عبيده و صالحهم، و كتب لهم أمانا(۳).

و دخل المسـلمون حلب من «باب أنطاكيه»(۴) و حفّوا حولهم بـالتراس داخل الباب؛ فبنى ذلك المكان مسـجدا، و هو المسـجد المعروف بالغضائرى، داخل باب أنطاكيه، و يعرف الآن بمسجد شعيب(۵).

و لما توّجه أبو عبيده إلى حلب بلغه أن أهل قنّسرين قد نقضوا فرد

---

۱- الجريب: مكيال قدر أربعه أقفزه، و قيل هو من الأرض ما يساوى ثلاثه آلاف و ستمائه ذراع، أو عشره آلاف ذراع. القاموس.

۲- نقل هذا العنوان من هامش الأصل.

۳- لمزيد من التفاصيل انظر بغيه الطلب ج ۱ ص ۵۶۹- ۵۸۷.

۴- عدد ابن العديم فى بغيته أبواب حلب بعدما وصف أسوارها ج ۱ ص ۵۵- ۵۷.

۵- اسـمه الآـن جـامع النوته فى محله العقبه، لم يبق من بنائه الأول إلا الجهه الغربيه لرواق. الآثار الاسـلاميه و التاريخيه فى حلب لمحمد أسعد طلس، ط. دمشق ۱۹۵۶ ص ۶۳- ۶۴.

إليهم السمط بن الأسود الكندى، فحصرهم ثم فتحها، فوجد فيها بقرا و غنما؛ فقسم بعضها فيمن حضر، و جعل الباقى فى المغنم.

و كان حاضر قنّسرين [لطى ء] قديما نزلوه بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزل الجبلين(۱) من نزل منهم؛ فلما ورد أبو عبيده عليهم أسلم بعضهم، و صولح كثير منهم على الجزيه؛ ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذّ منهم.

و كان بقرب مدينه حلب حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ و غيرهم؛ فصالحهم أبو عبيده على الجزيه، ثم إنهم أسلموا بعد ذلك؛ و جرت بينهم و بين أهل حلب حرب أجلاهم فيها أهل حلب، فانتقلوا إلى قنّسرين(۲).

و كانت قنّسرين و حلب إذ ذاك مضافتين إلى حمص فأفردهما يزيد بن معاويه فى أيّامه. و قيل: أفردهما معاويه أبوه.

و لما بلغ عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- ما فعل خالد فى فتح قنسرين و حلب، قال: أمّر خالد نفسه؛ يرحم اللّه أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال منّى. يعنى أنّ خالدا كان أمير المسلمين من جهه أبى بكر- رضى اللّه عنه- على الشام؛ فلما ولىّ عمر عزله وولّى أبا عبيده(۳).

---

۱- الاشاره هنا إلى جبلى طى ء: أجأ و سلمى انظرهما فى معجم البلدان لياقوت.

۲- انظر بغيه الطلب ج ۱ ص ۵۶۲- ۵۶۴.

۳- لمزيد من التفاصيل انظر بغيه الطلب ج ۱ ص ۵۷۳- ۵۸۲.

ثم ولاه عمر- رضی اللّه عنه- علی قنّسرین فأدرب خالد و عیاض بن غنم أول مدربه کانت فی الإسلام، سنه ست عشره(۱).

و رجع خالد، فأتته الاماره من عمر- رضی اللّه عنه- علی قنّسرین، فأقام خالد أمیرا، تحت ید أبی عبیده علیها، إلی أن أغزی هرقل أهل مصر فی البحر؛ و خرج علی أبی عبیده فی عساکر الروم، و أبو عبیده بحمص بعد رجوعه من فتح حلب.

فاستمدّ أبو عبیده خالدا فأمدّه بمن معه؛ و لم یخلف أحدا، فکفر أهل قنّسرین بعده؛ و بایعوا هرقل و کان أکفر من هناک تنوخ.

و اشتور المسلمون فأجمعوا علی الخندقه و الکتاب إلی عمر- رضی اللّه عنه- بذلک. و أشار خالد بالمناجزه فخالفوه، و خندقوا. و کتبوا إلی عمر- رضی اللّه عنه- و استصرخوه.

و جاء الرّوم بمددهم؛ فنزلوا علی المسلمین؛ و حصروهم. و بلغت أمداد الجزیره ثلاثین ألفا، سوی أمداد قنّسرین، من تنوخ و غیرهم؛ فنالوا من المسلمین کل منال.

و کتب عمر- رضی اللّه عنه- إلی سعد بن أبی وقاص یخبره بذلک؛ و یأمره أن یبثّ المسلمین فی الجزیره، لیشغلهم عن أهل حمص. و أمدّه عمر-

---

۱- روی ابن العدیم فی بغیته ج ۱ ص ۵۶۹- ۵۷۲. أن أول من أدرب إلی الأراضی البیزنطیه کل من میسره بن مسروق العبسی و الاشتر النخعی.

رضی اللّه عنه- بالقعقاع بن عمرو، فتوغلوا فی الجزیره؛ فبلغ الروم؛ فتقوضوا عن حمص إلی مدائنهم.

و ندم أهل قنّسرین و راسلوا خالدا، فأرسل إلیهم: «لو أن الامر إلیّ ما بالیت بکم، کثرتم أم قللتم؛ لکنّی فی سلطان غیری؛ فإن کنتم صادقین، فانفشوا کما نفش أهل الجزیره». فساموا سائر تنوخ ذلک، فأجابوا؛ و أرسلوا إلی خالد: «إنّ ذلک إلیک، فإن شئت فعلنا و إن شئت أن تخرج علینا فنهزم بالرّوم». فقال: «بل أقیموا؛ فإذا خرجنا، فانهزموا بهم».

فلما علم أبو عبیده و المسلمون بذلک قالوا: «اخرج بنا»! و خالد ساکت، فقال أبو عبیده: «مالک یا خالد، لا تتکلم» فقال: «قد عرفت الذی علیه رأیی، فلم تسمع من کلامی». قال: «فتکلم فإنی أسمع منک، و أطیع». فأشار بلقائهم.

فخرج المسلمون و التقوهم، فانهزم أهل قنّسرین، و الروم معهم فاحتوی المسلمون علی الروم، فلم یفلت منهم أحد(۱).

و ما زال خالد علی إماره قنّسرین حتی أدرب خالد و عیاض، سنه سبع عشره، بعد رجوعهما من الجابیه(۲)، مرجع عمر إلی المدینه، فأصابا أموالا عظیمه.

---

۱- لمزید من التفاصیل انظر بغیه الطلب ج ۱ ص ۵۷۶- ۵۷۸.

۲- یقع تل الجابیه علی مقربه من بلده نوی فی حوران- سوریه.

و قفل خالـد سالما، غانما، و بلغ الناس ما أصابوا تلك الصائفه؛ و قسم خالد فيها ما أصاب لنفسه؛ فانتجعه رجال من أهل الآفاق، و كان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالدا بقنسرين، فأجازه بعشره آلاف درهم.

و كـان عمر لاـ يخفى عليه شـى ء فى عمله؛ فكتب إليه من العراق بخروج من خرج منها، و من الشام بجائزه من أجيز فيها. فـدعا البريـد، و كتب معه إلى أبى عبيـده: أن يقيم خالـدا، و يعقله بعمـامته، و ينزع عنه قلنسوته. حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث؟ أمن ماله؟ أم من إصابه أصابها؟ فان زعم أنّها من إصابه أصابها فقد أقرّ بخيانه؛ و إن زعم أنّها من ماله، فقد أسرف.

و اعزله على كل حال، و اضمم إليك عمله.

فكتب أبو عبيـده إلى خالـد فقـدم عليه؛ ثم جمع الناس؛ و جلس لهم على المنبر، فقام البريـد فقال: «يا خالـد، أمن مالك أجزت بعشره آلاف، أم من إصابه»؟ فلم يتكلم حتى أكثر عليه، و أبو عبيده ساكت لا يقول شيئا.

فقام بلال إليه فقال: «إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا و كذا». ثم تناول عمامته، فنقضـها، لا يمنعه سمعا و طاعه. و وضع قلنسوته، ثم أقـامه فعقله بعمامته، ثم قال: «ما تقول أمن مالك أم من إصابه»؟ قال: «لابل من مالى» فأطلقه، و أعاد قلنسوته، ثم عمّمه بيـده. ثم قال: «نسمع و نطيع لولاتنا، و نفخم و نحترم موالينا».

و أقام خالـد متحيرا، لا يدرى أمعزول أم غير معزول. و جعل أبو عبيده يكرمه و يزيده تفخيما و لا يخبره؛ حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذى قد كان. فكتب إليه بالوصول.

فأتی خالد أبا عبیده فقال: «رحمک اللّه ما أردت إلی ما صنعت؟ کتمتنی سرّا کنت أحب أن أعلمه قبل الیوم». فقال أبو عبیده: «إنی و اللّه ما کنت لأروعک ما وجدت من ذلک بدّا؛ و قد علمت أن ذلک یروعک».

قال: فرجع خالد إلی قنسرین، فخطب أهل عمله، و ودعهم. و قال خالد: «إنّ عمر ولانی الشام حتّی إذا ألقی بوانیه و صار بثنیّه(۱) و عسلا عزلنی، و استعمل غیری».

و تحمّل و أقبل إلی حمص فخطبهم، و ودعهم. و سار إلی المدینه حتی قدم علی عمر فشکاه؛ و قال: «لقد شکوتک إلی المسلمین و باللّه إنّک فی أمری غیر مجمل یا عمر». فقال عمر: «من أین هذا الثّراء؟ فقال: «من الأنفال و السّهمان». فقال: «مازاد علی الستین ألفا فلک». فشاطره علی ما فی یده و قوّم عروضه، فخرجت علیه عشرون ألفا؛ فأدخلها بیت المال، ثم قال: «یا خالد! و اللّه إنّک لعلیّ الکریم، و إنّک إلیّ الحبیب؛ و لن تعاتبنی بعد الیوم علی شی ء». ثم إنّه عوّضه بعد ذلک عما أخذه منه(۲).

و استعمل أبو عبیده علی قنسرین حبیب بن مسلمه بن مالک.

---

۱- بهامش الأصل: البثنیه: الحنطه التی تنبت فی البثنیه و هی السهل. و جاء فی النهایه لابن الأثیر: فی حدیث خالد: فلما ألقی الشام بوانیه عزلنی و استعمل غیری؛ أی خیره و ما فیه من السعه و النعمه، و البوانی فی الأصل: أضلاع الصدر، و قیل الأکتاف و القوائم، الواحده بانیه.

۲- لخالد بن الولید ترجمه وافیه فی کتاب بغیه الطلب لابن العدیم، منها استخلص ما أورده هنا من معلومات ص ۳۱۲۰- ۳۱۷۳.

و أما هرقل فانه تأخر من الرّها إلى سميساط؛ و فصل عنها إلى القسطنطينيه؛ فلما فصل علا على شرف؛ و التفت؛ و نظر نحو سوريه، و قال: «عليك السّلام يا سوريه سلام لا اجتماع بعده؛ و لا يعود إليك رومىّ أبدا إلاّ خائفا، حتى يولد المولود المشئوم؛ و يا ليته لا يولد، ما أحلى فعله و أمرّ عاقبته على الروم.

و طعن(۱) أبو عبيده- رضى اللّه عنه- سنه ثمانى عشره؛ فاستخلف على عمله عياض بن غنم، و هو ابن عمه و خاله؛ و كان جوادا مشهورا بالجود، فقال عمر: «إنى لم أكن مغيرا أمرا قضاه أبو عبيده».

و مات عياض سنه عشرين، فأمّر عمر- رضى اللّه عنه- على حمص و قنسرين سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى و مات سنه عشرين. فأمّر عمر مكانه عمير بن سعد بن عبيد الأنصارى على حمص و قنسرين.

و مات عمر- رضى اللّه عنه- مقتولا فى ذى الحجه سنه ثلاث و عشرين؛ و عمير بن سعد على حمص و قنسرين؛ و معاويه على دمشق و السواحل و أنطاكيه. فمرض عمير فى إماره عثمان مرضا طال به، فاستعفى عثمان؛ و استأذنه فى الرجوع إلى أهله، فأذن له.

---

۱- حدث فى سنه ۱۸ ه طاعون عرف باسم طاعون عمواس، و عمواس بلده قرب القدس، سكن فيها عدد كبير من الصحابه، و المسلمين و قيل كان عدد الذين ماتوا من المسلمين يتجاوز الخمسه و العشرين ألفا من أبرزهم: أبو عبيده عامر بن الجراح، و شرحبيل بن حسنه، و معاذ بن جبل. طبقات ابن سعد ج ۷ ص ۳۸۷. الأنس الجليل ص ۳۶۶.

و ضمّ حمص و قنسرين إلى معاويه سنه ست و عشرين؛ فاجتمع ولايه الشام جميعه على معاويه لسنتين من خلافه عثمان؛ فولى معاويه حبيب بن مسلمه بن مالک الفهرى على قنسرين، و كان يسمى حبيب الروم لكثره غزوه لهم.

و مات عثمان- رضى اللّه عنه- مقتولا فى ذى الحجه سنه خمس و ثلاثين، و الشام مع معاويه؛ و حبيب على قنسرين، من تحت يده.

فجرى بين على- عليه السلام- و بين معاويه اختلاف إلى أن سار كلّ منهما إلى صاحبه؛ و التقيا بصفّين(۱)؛ و ذلک بعد سنه و شهر من خلافه علىّ، فى سنه سبع و ثلاثين.

و كان علىّ فى تسعين ألفا و معاويه فى مائه ألف و عشرين ألفا(۲)، و قتل بها من أصحاب على خمسه و عشرون ألفا، و من أصحاب معاويه خمسه و أربعون ألفا. و كان مقامهما بصفّين مائه يوم و عشره أيام. و كانت الوقائع تسعين وقعه؛ ثم اتفقا على التحكيم؛ و التقى الحكمان أبو موسى و عمرو بن العاص بأذرح(۳) فى شهر رمضان سنه ثمان و ثلاثين.

---

۱- المرجح أن موقع صفين هو موقع أبى هريره، القريب من الرقه حاليا.

۲- أخبار صفين مجموعه بشكل ملحمى مفصل فى كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى، و فى الفتوح لابن الأعثم الكوفى و غيره من المصادر المبكره، و استخلص ابن العديم جمله من الروايات المتنوعه أودعها فى الجزء الأول من بغيه الطلب ص ۲۷۹- ۳۲۰.

۳- أذرح معروفه الآن بالمملكه الأردنيه.

و مـات علیّ- کرم اللّه وجهه- مقتولاـ بـالکوفه، فی سـنه أربعین، و معـاویه متغلب علی الشـام جمیعه، فصالـح الحسن بن علیّ- علیهمـا السـلام- و بویع بالخلافه، فی ربیع الأول سـنه إحـدی و أربعین؛ فمصـرّ معاویه قنسـرین، و أفردها عن حمص، و قیل إنّما فعل ذلک ابنه یزید. و صار الذکر فی ولایه قنسـرین، و وظّف معاویه الخراج علی قنسرین أربعمائه ألف و خمسین ألف دینار، و حلب للخلفـاء من بنی أمیه لمقـامهم بالشـام، و کـون الولاـه فی أیـامهم بمنزله الشـرط، لاـ یسـتقلون بالأـمور و الحروب؛ و ولاـه الصوائف ترد کل عام مع الجیوش الاسلامیه إلی دابق(۱).

و أقـام جمـاعه منهـم بنـواحی حلـب، فـإن سـلیمان بن عبـد الملـک رابـط بـدابق إلی أن مـات. و أقـام [عمر(۲) بـن عبـد العزیز بخناصره(۳) إلی أن مات].

---

۱- دابق الآـن قریه فی هضـبه حلب تتبع نـاحیه صوران، منطقه أعزاز، محـافظه حلب، فیها تل أثری فی شـمال القریه، تنتشـر علیه الکسـر الفخاریه، أقیم علیه ضریح الخلیفه الأموی سلیمان بن عبد الملک، و قربها جرت المعرکه الفاصله بین السلطان المملوکی قانصوه الغوری و السلطان العثمانی سلیم الأول. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

۲- فقد من الأصل- کما هو مرجح- ورقه جری اسـتدراک ما رجح أنها حوته، اعتمادا علی ما جاء فی مصادر التاریخ الاسلامی العامه مع کتاب الأعلاق الخطیره لابن شداد، و الجزء الأول من اعلام النبلاء للطباخ.

۳- هی الآن خناصـر، بلده فی الأطراف الجنوبیه لهضـبه حلب، مرکز لناحیه خناصـر، تتبع منطقه السفیره، محافظه حلب، تبعد عن السفیره ۴۵ کم، و هی قائمه عند نهایه السفح الجنوبی لجبل الأحص، فیها آثار ظاهر منها السور و القلعه. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

[و لم يزل حبيب بن مسلمه مع معاويه فى حروبه، و قد وجهه إلى أرمينيه و اليا، فمات بها سنه اثنتين و أربعين. و استعمل معاويه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على غزو الروم؛ و لشده بأسه خافه معاويه، و خشى منه؛ و أمر ابن أثال النصرانى أن يحتال فى قتله. و ضمن له أن يضع عنه خراجه ماعاش؛ و أن يوليه خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن من الروم دسّ إليه ابن أثال شربه مسمومه مع بعض مماليكه فشربها، فمات بحمص سنه ست و أربعين.

و قاد مالك بن عبد اللّه الخثعمى الصوائف أربعين سنه. و سير معاويه جيشا كثيفا إلى بلاد الروم، و جعل عليهم سفيان بن عوف و أمر يزيد ابنه بالغزاه معهم، فتثاقل، و اعتلّ، فأمسك عنه أبوه. فأصاب الناس فى غزاتهم جوع و مرض شديد، و ذلك فى سنه اثنتين و خمسين.

و شتا بأرض الروم بعده عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى و غزا المسلمون الصائفه فى سنه أربع و خمسين كذلك، و فتحوا قرب القسطنيطينيه.

فلما مات معاويه سنه ستين، و ولى ابنه يزيد أمرهم بالعود منها فعادوا.

و مات يزيد بن معاويه بحوارين(۱) من أرض الشام فى سنه أربع و ستين. و بويع بعده معاويه ابنه بالخلافه فى الشام و لكنه لم يمكث إلا أربعين يوما حتى خلع نفسه، ثم هلك.

---

۱- حوارين قريه فى هضبه حمص الجنوبيه الشرقيه، تتبع ناحيه مهين، منطقه مركز المحافظه- محافظه حمص، تتصل بحمص بطريق مزفته هى طريق حمص القريتين، فيها آثار من العصور التدمريه، و البيزنطيه و الاسلاميه، المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و بویع بعده مروان بن الحکم، و ذلک فی سنه أربع و ستین.

و تحارب مروان و الضحّاک بمرج راهط(۱) عشرین لیله، و اقتتلوا قتالا شدیدا، فقتل الضحّاک، قتله دحیه بن عبد اللّه، و قتل معه ثمانون رجلا من أشراف أهل الشام. و کانت الوقعه فی المحرم سنه خمس و ستین.

و لما بلغت الهزیمه زفر بن الحارث الکلابیّ بقنسرین هرب منها فلحق بقرقیسیا(۲). و استوثق الشام لمروان و استعمل عماله علیها. و لما مات مروان سنه خمس و ستین قام ابنه عبد الملک فی الیوم الذی مات فیه.

و أقام عبد الملک بدمشق بعد رجوعه من قنسرین ما شاء اللّه أن یقیم، ثم سار یرید قرقیسیا، و بها زفر بن الحارث الکلابی، ثم قفل إلی دمشق فدبر لعمرو بن سعید فقتله. و استعمل عبد الملک أخاه محمدا علی الجزیره و أرمینیه فغزا منها، و أثخن العدو، و ذلک فی سنه ثلاث و سبعین.

و أعاد الکره فی سنه خمس و سبعین حین خرجت الروم من قبل مرعش. و بعد سنتین غزا الصائفه الولید بن عبد الملک، و ظل علی الولایه إلی أن مات عبد الملک فی شوال سنه ست و ثمانین.

---

۱- کان الضحاک بن قیس الفهری قد بایع عبد اللّه بن الزبیر، و تزعم القیسیه فی الشام، و بالمقابل قامت القبائل الیمانیه بزعامه حسان بن بحدل الکلبی بعقد مؤتمر الجابیه، حیث بویع فیه مروان بن الحکم، و اثر ذلک کانت معرکه مرج راهط، شرقی بلده جوبر، خارج دمشق، و فی هذه المعرکه هزم الضحاک بن قیس، وترسخت بیعه مروان.

۲- هی البصیره حالیا( البوسرایا) حیث یلتقی الخابور بالفرات فی سوریه.

و ولی ابنه الولید بن عبد الملک و محمد بن مروان علی ولایته فما زال کذلک إلی أن عزله الولید بن عبد الملک فی سنه تسعین. و ولی مکانه أخاه مسلمه بن عبد الملک.

فدخل مسلمه حرّان و کان محمد بن مروان یتعمم للخطبه؛ فأتاه آت فقال: هذا مسلمه علی المنبر یخطب! فقال محمد: هکذا تکون الساعه بغته! و ارتعدت یده، فسقطت المرآه من یده؛ فقام ابنه إلی السیف فقال: مه یابنی؛ ولانی أخی و ولاه أخوه.

و کان أکثر مقام مسلمه بالناعوره، و بنی فیها قصرا بالحجر الأسود الصلد، و حصنا بقی منه برج إلی زماننا هذا(۱).

و کان عبد الملک بن مروان یقول للولید: کأننی- لو قد متّ- بک قد عزلت أخی و ولّیت أخاک.

و مات الولید بن عبد الملک فی سنه ست و تسعین.

و ولی سلیمان بن عبد الملک فسیّر أخاه مسلمه غازیا إلی القسطنطینیه و استخلف مسلمه علی عمله خلیفه؛ و رابط فیها سلیمان بمرج دابق إلی أن مات به سنه تسع و تسعین.

و ولی عمر بن عبد العزیز بن مروان، فکان أکثر مقامه بخناصره الأحصّ. و ولی من قبله علی قنسرین هلال بن عبد الأعلی. ثم ولی أیضا علیها الولید بن هشام المعیطی علی الجند، و الفرات بن مسلم علی خراجها.

---

۱- لمزید من المعلومات حول الناعوره انظر بغیه الطلب ج ۱ ص ۶۴.

و توفى عمر بدير سمعان(۱) من أرض معره النّعمان، يوم الجمعه لخمس بقين من رجب سنه إحدى و مائه.

و ولى يزيـد بن عبد الملك، و الوليد على قنسـرين؛ و كان مرائيا سأل عمر أن ينقص رزقه تقربا إليه؛ فعلم أنه إنما أراد أن يتزيّن عنده بذلك؛ فحطّ رزقه. و كتب إلى يزيد، و هو ولى عهده: «إنّ الوليد بن هشام كتب إلىّ كتابا أكثر ظنى أنه تزّين بما ليس هو عليه، فأنا أقسم عليك إن حدث و أفضى هذا الأمر إليك فسألك أن تردّ رزقه، و ذكر أنى نقصته فلا يظفر منك بهذا».

فلما استخلف يزيد كتب الوليد إليه: «إنّ عمر نقصنى و ظلمنى» فغضب يزيد، و عزله، و أغرمه كل رزق جرى عليه فى ولايه عمر و يزيد كلها؛ فلم يل له عملا حتى هلك.

و مات يزيد بن عبد الملك بالبقاء(۲) فى شعبان سنه خمس و مائه [فاستخلف هشام بن عبد الملك](۳).

و ولى على قنسرين و عملها خال أخيه سليمان و هو الوليـد بن القعقاع بن خليـد العبسـىّ و قيل إنّه ولّى عبـد الملك بن القعقاع على قنّسرين؛ و إليهم ينسب حيار بنى عبس(۴)، و إلى أبيهم ينسب القعقاعيه قريه من بلد الفايا(۵).

---

۱- على مقربه من معره النعمان أعيد ترميمه حديثا.

۲- كانت البلقاء كوره من أعمال دمشق، قصبتها عمان. معجم البلدان.

۳- زيد ما بين الحاصرتين لاستقامه السياق.

۴- هى أشهر باسم حيار بنى القعقاع، و كانت أيضا تعرف باسم كوره قنسرين الثانيه. بغيه الطلب ج ۱ ص ۱۲۵.

۵- الفايه كوره بين منبج و حلب كبيره. معجم البلدان.

و توفی هشام سنه خمس و عشرین و مائه.

و ولی الولید بن یزید بن عبد الملک، و کانت بینه و بین بنی القعقاع وحشه، فهرب الولید بن القعقاع و غیره من بنی أبیه من الولید، فعاذوا بقبر یزید بن عبد الملک. فولی الولید علی قنّسرین یزید بن عمر بن هبیره؛ و بعث إلی الولید بن القعقاع، فأخذه من جوار قبر أبیه؛ و دفعه إلی یزید بن عمر بن هبیره، و هو علی قنسرین، فعذبه و أهله. فمات الولید بن القعقاع فی العذاب.

و خرج یزید بن الولید علی الولید بن یزید، فقتله فی «البخراء»(۱) فی جمادی الآخره سنه ست و عشرین و مائه. و وثب علی عامله بدمشق فأخذه، و سیّر أخاه مسرور بن الولید، و ولاه قنّسرین؛ و قیل بل ولی قنسرین أخوه بشر بن الولید. و بویع یزید، و مات فی ذی الحجه من هذه السنه.

و بویع ابراهیم بن الولید؛ و خلع فی شهر ربیع الأول، سنه سبع و عشرین و مائه.

فولی مروان بن محمد بن مروان بن الحکم، و کان بحرّان(۲)، فسار منها

---

۱- البخراء: مدینه أثریه فی البادیه، ناحیه مرکز و منطقه تدمر. محافظه حمص تقع إلی الجنوب من مدینه تدمر، و علی بعد ۲۵ کم، اشتق اسمها من البخر، و هی الرائحه النتنه الصادره عن الینابیع الکبریتیه، أثارها تدل علی أنها کانت مدینه محصنه أبعادها ۲۰۰* ۱۶۰ م، یحیط بها سور من الحجاره المنحوته بعرض ۳ م، مدعم بأبراج نصف دائریه، یتجه بابها نحو الجنوب الشرقی، و یحیط به برجان مستدیران و فی وسطها باحه ذات أعمده، تیجانها کورنثیه، بناها التدمریون، و اتخذوها محطه رئیسه للقوافل. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

۲- حران الآن قریه مهمله داخل الحدود الترکیه مع محافظه الرقه السوریه.

فی سنه سبع و عشرین و مائه. و نزل بحلب؛ و قبض علی مسرور بن الولید الوالی بحلب، و علی أخیه بشر، بعد أن لقیهما فهزمهما و قتلهما بحلب. و کان معهما ابراهیم بن عبد الحمید بن عبد الرحمن، فقتله أیضا.

و استتب أمر مروان. و خرج علی مروان سلیمان بن هشام بن عبد الملک فالتقاه مروان بن محمد بخساف(۱) فاستباح عسکره فی سنه ثمان و عشرین و مائه.

و کان الحکم و عثمان ابنا الولید بن یزید حبسا بقلعه قنسرین؛ و کان یزید بن الولید حبسهما؛ فنهض عبد العزیز بن الحجاج و یزید بن خالد القسری؛ فقتلاهما و قتلا معهما یوسف بن عمر الثقفی بقنسرین؛ و أخذا بعد ذلک فقتلهما مروان و صلبهما.

---

۱- بریه خساف: المنطقه القائمه بین بالس- مسکنه حالیا- و حلب، و بین بالس و بین انقضاء بریه خساف خمسه عشر میلا. بغیه الطلب ج ۱ ص ۶۳- ۶۴.

## [ابتداء دوله العباسيين]

و بويع أبو العباس السفاح(۱)، فى شـهر ربيع الآخر من سنه اثنتين و ثلاثين و مائه، بالكوفه، فسيّر عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن العبّاس، فى جمع عظيم، للقاء مروان بن محمد؛ و كان مروان فى جيوش كثيفه، فالتقيا بالزّاب(۲) من أرض الموصل، فى جمادى الآخره من سنه اثنتين و ثلاثين و مائه.

فهزم مروان و استولى على عسكره؛ و سار مروان منهزما حتى عبر الفرات من جسر منبج(۳) فأحرقه.

فلمـا مرّ على قنّسـرين و ثبت به طى و تنوخ، و اقتطعوا مؤخره عسـكره و نهبوه، و قـد كـان تعصّب عليهم؛ و جفاهم أيام دولته، و قتل منهم جماعه.

و تبعه عبد اللّه بن علىّ؛ و سار خلفه، حتى أتى منبج، فنزلها. و بعث إليه أهل حلب بالبيعه مع أبى أميّه التغلبى.

---

۱- بهامش الأصل بخط مخالف: ابتداء دوله العباسيين سنه ۱۳۲. و منه استعير عنوان هذه الصفحه.

۲- الزاب الأعلى نهر بين الموصل و إربل. معجم البلدان.

۳- جسـر منبج: مدينه صـغيره لها زرع سقى و مباخس، و ماؤها من الفرات، حصينه، و زروعها سقى، نزهه ذات مياه و أشجار، و هى قريبه من الفرات. بغيه الطلب ج ۱ ص ۱۰۸.

و قدم عليه أخوه عبد الصّمد بن عليّ؛ فقلّده حلب و قنسرين. و سار عبد اللّه و عبد الصّمد أخوه معه إليها، فبايعه أبو الورد مجزأه بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابى- و كان من أصحاب مروان- و دخل فيما دخل فيه الناس من الطاعه.

و سار عبد اللّه إلى دمشق، ثم بلغ خلفه إلى نهر أبى فطرس(۱)، و أتبعه بأخيه صالح، حتّى بلغ إلى الديار المصريه، خلف مروان بن محمد، فأدركه ببوصير(۲) فقتله؛ ثم عاد إلى دمشق بعده.

و ذكر ابن الكلبى: و قدم بالس قائد من قوّاد عبد اللّه بن عليّ، فى مائه و خمسين فارسا؛ و تقدّم إلى الناعوره فعبث بولد مسلمه بن عبد الملك و نسائهم- و كانوا مجاورين أبا الورد بحصن مسلمه بالناعوره و ببالس- فشكا بعضهم ذلك إلى أبى الورد الكلابى، فخرج من مزرعته خساف فى عده من أهل بيته؛ و خالف و بيّض؛ و جاء إلى الناعوره، و القائد المذكور نازل بحصن مسلمه بها؛ فقاتله حتى قتله و من معه؛ و أظهر الخلع و التبييض(۳)؛ و دعا أهل حلب و قنسرين إلى ذلك فأجابوه.

فبلغ ذلك عبد اللّه بن على، و هو بدمشق؛ فوجه أخاه عبد الصّمد بن عليّ، فى زهاء عشره آلاف فارس، و معه ذؤيب بن الأشعث على حرسه،

---

۱- خارج مدينه الرمله فى فلسطين.

۲- بوصير قوريدس من كوره الأشمونين فى مصر. معجم البلدان.

۳- كان شعار بنى أميه البياض، و معروف أن العباسيين اتخذوا السواد شعارا.

و المخارق بن عفّان على شرطه؛ فسار أبو الورد إليه، و جعل مقدّم جيشه و صاحبه أبا محمد بن عبد اللّه بن يزيد بن معاويه بن أبى سفيان؛ و أبو الورد مدبر الجيش، و لقيهم فهزم عبد الصّمد و من معه.

فلما قدم عبد الصّمد على أخيه عبد اللّه أقبل عبد اللّه بن علىّ بعسكره لقتال أبى محمد و أبى الورد، و معه حميد بن قحطبه، فالتقوا فى سنه اثنتين و ثلاثين و مائه، فى آخر يوم من السنه؛ و اقتتلوا بمرج الأجم(۱)، و ثبت لهم عبد اللّه و حميد فهزموهم. و قتل أبو الورد(۲). و أمّن عبد اللّه بن علىّ أهل حلب و قنّسرين و سوّدوا و بايعوا. ثم انصرف راجعا إلى دمشق فأقام بها شهرا.

فبلغه أنّ العباس بن محمد بن عبد اللّه بن يزيد بن معاويه بن أبى سفيان السفيانى قد لبس الحمره، و خالف، و أظهر المعصيه بحلب؛ فارتحل نحوه حتى وصل إلى حمص، فبلغه أنّ أبا جعفر المنصور- و كان يومئذ يلى الجزيره، و أرمينيه، و أذربيجان- وجّه مقاتل بن حكيم العكّى من الرقّه، فى خيل عظيمه لقتال السفيانىّ؛ و أنّ العكى قد نزل منبج، فسار عبد اللّه مسرعا حتى نزل مرج الأجم، فبلغه أنّ العكّى واقع السفيانىّ و هزمه، و استباح عسكره، و افتتح حلب عنوه، و جمع الغنائم، و سار بها إلى أبى جعفر و هو بحرّان.

---

۱- فى بغيه الطلب ص ۳۹۲۷« فاقتتلوا بمرج الأخرم من ناحيه قنسرين».

۲- لأبى محمد السفيانى- زياد بن عبد اللّه الأسوار ترجمه وافيه فى بغيه الطلب ۳۹۲۷- ۳۹۳۲، فيها تفاصيل ما أوجزه ابن العديم هنا.

فارتحل عبد اللّه إلى دابق، و شتا بها، ثم نزل سميساط(۱)، و حصر فيها اسحاق بن مسلم العقيلىّ، حتى سلّمها؛ و دخل فى الطاعه.

ثم قدم أبان بن معاويه بن هشام بن عبد الملك، فى أربعه آلاف من نخبه من كان مع اسحاق بن مسلم. فسيّر إليه حميد بن قحطبه، فهزم أبانا، و دخل سميساط، فسار إليها عبد اللّه، و نازلها حتى افتتحها عنوه.

و كتب إليه أبو العباس يأمره بالمسير إلى الناعوره، و أن يترك القتال؛ و يرفع السّيف عن الناس، و ذلك فى النصف من رمضان سنه ثلاث و ثلاثين و مائه.

و هرب أبو محمد و من معه من الكلبيه إلى تدمر ثم خرج إلى الحجاز، فظفر به و قتل(۲). و كتب إليه السفّاح أن يغزو بلاد الروم، فأتى دابق، فعسكر بها، و جمع، و توجّه إلى بلاد الرّوم.

فلمّا وصل دلوك(۳) يريد الإدراب، كتب إليه عامله بحلب يخبره بوفاه

---

۱- سميساط: بلده على شاطى ء الفرات الغربى فى طرف بلاد الروم. معجم البلدان.
۲- قتل قرب أحد خارج المدينه المنوره. انظر ترجمته فى بغيه الطلب السالفه الذكر. و جاء بهامش الأصل بخط مخالف: و ذكر ابن الكلبى أن عبيد اللّه بن العباس بن يزيد من بنى حجر بن وهب بن ربيعه بن معاويه بن الحارث بن ثور بن مرتع الكندى ولى قنسرين لأبى السفاح، و أنه ولى بعد ذلك أرمينيه لأبى جعفر و بها مات.
۳- عرفها ابن العديم، و أوضح أن الرشيد كان قد أفردها مع غيرها و جعلها من العواصم، و شغلت المدينه هذه دورا فى الحروب الصليبيه حتى حررها نور الدين محمود بن زنكى، و إثر ذلك خربت المدينه و القلعه، و بقيت قريه مضافه إلى عين تاب. بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۶۱.

السفاح و بیعه المنصور؛ فرجع من دلوک، و أتی حرّان، و دعا إلی نفسه، و زعم أنّ السّفاح جعله ولیّ عهده.

و غلب علی حلب، و قنّسرین، و دیار ربیعه و مضر، و سائر الشّام. و لم یبایع المنصور. و بایعه حمید بن قحطبه و قوّاده الذین کانوا معه. و ولّی علی حلب زفر بن عاصم بن عبد اللّه بن یزید الهلالی أبا عبد اللّه، فی سنه سبع و ثلاثین و مائه.

فسیّر المنصور أبا مسلم الخراسانیّ صاحب الدعوه لقتال عبد اللّه بن علی؛ فسیّر عبد اللّه حمید بن قحطبه، و کتب له کتابا إلی زفر بن عاصم إلی حلب، و فیه: «إذا ورد علیک حمید فاضرب عنقه»(۱). فعلم حمید بذلک؛ فهرب إلی أبی مسلم الخراسانی، خوفا من عبد اللّه.

ثم سار أبو مسلم إلی عبد اللّه بن علیّ، فالتقیا، و انهزم عبد اللّه و عبد الصمد أخوه معه؛ فسار أبو مسلم خلفه فوصل إلی الرقه؛ و أخذ منها أموال عبد اللّه، و تبعه إلی رصافه هشام(۲) فانهزم عبد اللّه إلی البصره، و تواری عند أخیه سلیمان بن علیّ، فأخذ له أمانا من المنصور؛ و سیّره إلیه، فحبسه إلی أن سقط علیه الحبس، فمات(۳).

---

۱- لحمید ترجمه جیده فی کتاب بغیه الطلب ۲۹۷۳- ۲۹۷۵ فیها تفاصیل ما أوجزه ابن العدیم هنا.

۲- ماتزال بقایا رصافه هشام قائمه خارج مدینه الرصافه التی تبعد عن الرقه قرابه العشرین میلا.

۳- وجدت فی کتاب المقفی للمقریزی ترجمه وافیه لعبد اللّه بن علی نشرتها مع تراجم أخری ملحقه بکتاب تاریخ الخلفاء للوثابی، بیروت ۱۹۹۵.

و قبض أبو مسلم على عبد الصّمد بن علىّ، بالرّصافه، و أخذ أمواله، و سيّره إلى المنصور، فأمّنه و أطلقه.

و ورد كتاب المنصور على أبى مسلم بولايه الشّام جميعه، و حلب، و قنّسرين، و أمره أن يقيم له فى بلاده نوّابا، ففعل أبو مسلم ذلك.

و سار إلى المنصور، فالتقاه فى الطريق يقطين بن موسى، و قد بعثه المنصور إليه لاحصاء جميع ما وجدوا فى عسكر عبد اللّه بن علىّ. فغضب أبو مسلم و قال: «أنكون أمناء فى الدماء و خونه فى الأموال؟» ثم أقبل و هو مجمع على خلاف المنصور(۱). فاستوحش المنصور منه، و قتله فى سنه تسع و ثلاثين و مائه.

و لما عاد أبو مسلم من الشّام ولى المنصور حلب و قنسرين و حمص صالح بن علىّ بن عبد اللّه بن العبّاس سنه سبع و ثلاثين و مائه؛ فنزل حلب، و ابتنى بها خارج المدينه قصرا بقريه يقال لها بطياس(۲) بالقرب من النيرب؛

---

۱- أخبار أبى مسلم الخراسانى منتشره فى مختلف المصادر المبكره مثل أنساب الأشراف للبلاذرى، و تاريخ الطبرى، و غرر السير للمرعشى، و لأبى مسلم ترجمه متميزه فى تاريخ دمشق لابن عساكر تحت اسم عبد الرحمن بن مسلم.

۲- فى بغيه الطلب ج ۱ ص ۵۲۸- ۵۲۹: و ابتنى صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس« قصره المعروف ببطياس، و كان على الرابيه المشرفه على النيرب من جهه الغرب و الشمال، و كان عن يسار المتوجه من حلب إلى النيرب، و موضع اصطبله عن يمين المتوجه، و الطريق بينهما، و دثر القصر، و لم يبق منه إلا الآثار، و يجد الناس فى موضعه شيئا من الفسيفساء و كسور الرخام» و ما يزال موقع النيرب يحمل الاسم نفسه خارج حلب.

و آثاره باقيه إلى الآن. و معظم أولاده ولدوا ببطياس. و قد ذكرها البحترىّ و غيره فى أشعارهم.

و أغزى الصائفه مع ابنه الفضل فى سنه تسع و ثلاثين و مائه بأهل الشام، و هى أول صائفه غزيت فى خلافه بنى العباس. و كانت انقطعت الصوائف فى أيام بنى أميه قبل ذلك بسنين.

و ظهر فى سنه إحدى و أربعين و مائه قوم يقال لهم الراونديه(۱)، خرجوا بحلب و حرّان. و كانوا يقولون قولا عظيما. و زعموا أنهم بمنزله الملائكه.

و صعدوا تلا بحلب، فيما قالوا؛ و لبسوا ثيابا من حرير؛ و طاروا منه فتكدوا(۲) و هلكوا. و دام صالح فى ولايه حلب إلى أن مات فى سنه اثنتين و خمسين و مائه.

و رأيت فلوسا عتيقه، فتتبعت ما عليها مكتوب فإذا أحد الجانبين مكتوب عليه: «ضرب هذا الفلس بمدينه حلب سنه ست و أربعين و مائه».

و على الجانب الآخر: «مما أمر به الأمير صالح بن علىّ أكرمه اللّه».

و لما مات صالح بن علىّ تولّى حلب و قنسرين بعده ولده الفضل بن صالح، و اختار له «العقبه»(۳) بحلب، فسكنها و أقام بحلب واليا مدّه. ثم ولى المنصور بعده موسى بن سليمان الخراسانى. و مات المنصور سنه ثمان و خمسين،

---

۱- قالوا بتأليه الخليفه المنصور، خرجوا فى أيامه فى بغداد و أبيدوا.

۲- أى لحق بهم الأذى. القاموس.

۳- عرفت قديما باسم عقبه بنى المنذر، و سميت عقبه لارتفاعها عن المدينه. الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ۵۴- ۵۵.

و موسی علی قنسرين و حلب. و رأيت فلوسا عتيقه فقرأت عليها: «ضرب هذا الفلس بقنسرين سنه سبع و خمسين و مائه». و على الجانب الآخر: «مما أمر به الأمير موسى مولى أمير المؤمنين».

و لما ولى المهدى خرج عبد السلام بن هاشم الخارجى بالجزيره، و كثر أتباعه فلقيه جماعه من قواد المهدى، فهزمهم؛ فبعث المهدى إليه جنودا كثيره، فهرب منهم إلى قنسرين، فلحقوه فقتلوه بها فى سنه اثنتين و ستين و مائه؛ و كان مقدم الجيش شبيبا(١).

و عزم المهدى على الغزو فخرج حتى وافى حلب فى سنه ثلاث و ستين و مائه، و التقاه العباس بن محمد إلى الجزيره؛ و أقام له النزل فى عمله، و اجتاز معه على حصن مسلمه بالناعوره، فقال له العباس: «يا أمير المؤمنين إنّ لمسلمه فى أعناقنا منّه». كان محمد بن على مرّ به فأعطاه أربعه آلاف دينار، و قال له: «يابن عم، هذه ألفان لدينك و ألفان لمعونتك، فإذا نفدت فلا تحتشمنا». فقال المهدى: «أحضروا من ههنا من ولد مسلمه و مواليه»؛ فأمر لهم بعشرين ألف دينار و أمر أن تجرى عليهم الأرزاق.

ثم قال: «يا أبا الفضل كافينا مسلمه و قضينا حقه؟» قال العباس:

«نعم، وزدت».

و نزل المهدى بقصر بطياس ظاهر حلب. و ولى المهدى حين قدم

---

١- شبيب بن واج المروروذى، و تفاصيل ثوره عبد السلام بن هاشم اليشكرى فى سنه ستين و مائه موجوده فى تاريخ خليفه بن خياط- ط. دمشق ١٩٦٨ ج ٢ ص ٧٠٠- ٧٠٤.

قنسرين و حلب و الجزيره على بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن العباس حربا و خراجا و صلاه.

ثـم إن المهـدى عرض العسـكر بحلب و أغزى ابنه هـارون بلاـد الروم و سيّر محتسب حلب عبـد الجبـار فأحضـر له جمـاعه من الزنادقه فقتلهم بحلب.

و ولى حلب و الشام جميعه ابنه هارون. و أمر كاتبه يحيى بن خالـد أن يتولى ذلک كله بتدبيره؛ و كانت توليته فى سـنه ثلاث و ستين و مائه

و لما بويع الهادى أقر أخاه و يحيى على حالهما.

فلما أفضـى الأمر إلى الرشيد ولّى حلب و قنّسرين عبد الملك بن صالح بن على بن عبد اللّه، فأقام بمنبج، و ابتنى بها قصرا لنفسه و بستانا إلى جانبه، و يعرف البستان يومنا هذا ببستان القصر، و كانت ولايته سنه خمس و سبعين؛ ثم صرفه لأمر عتب عليه فيه.

ثم ولاها الرشيد موسى بن عيسى سنه ست و سبعين و مائه. و مرّ الرشيد على عبد الملک بمنبج فأدخله منزله بها. فقال له الرشيد: «هـذا منزلـک». قـال «هو لـک ولى بـک». قـال: «فكيف هو؟». قـال: «دون منـازل أهلى و فوق منـازل الناس». قال: «فكيف طيب منبج؟». قال: «عذبه الماء، عذبه الهواء، قليله الادواء». قال: «فكيف ليلها؟». قال: «سحر كله!».

و هـاجت الفتنه بالشام بين النزاريه و اليمانيه، فولى الرشـيد موسـى بن يحيى بن خالـد فى هـذه السـنه الشّام جميعه، فأقام به حتى أصلح بينهم.

ثم ولاها الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمک سنه ثمان و سبعين؛

و توجّه إليها سنه ثمانين، و استخلف عليها عيسى بن العكى.

ثم إنّ الرشيد ولى حلب و قنّسرين اسماعيل بن صالح بن علىّ لما عزله عن مصر سنه اثنتين و ثمانين و مائه؛ و أقطعه ما كان له بحلب فى سوقها و هى الحوانيت التى بين باب أنطاكيه إلى رأس الدلبه(١) و عزله و ولاه دمشق.

ثم ولى الرشيد بعده عبد الملك بن صالح بن على ثانيه، فسعى به ابنه عبد الرحمن إلى الرشيد، و أوهمه أنه يطمع فى الخلافه فاستشعر منه، و قبض عليه فى سنه سبع و ثمانين و مائه.

و ولّى على حلب و قنسرين ابنه القاسم بن هارون، و أغزاه الروم و وهبه للّه تعالى فى سنه سبع و ثمانين و مائه.

و رابط القاسم بدابق هذه السنه و التى بعدها. و قيل: إنّ الرشيد لما غضب على عبد الملك بن صالح ولى أخاه عبد اللّه بن صالح ثم عزله سنه ثمان و ثمانين و ولى القاسم بن هارون ابنه. و قيل: إن أحمد بن اسحاق بن اسماعيل بن على بن عبد اللّه بن العباس ولى قنسرين للرشيد، و قد كان ولى له مصر، و عزله عنها سنه تسع و ثمانين؛ فلا أتحقق ولايته فى أى سنه كانت.

و قد ذكر بعضهم: أن عبد اللّه بن صالح توفى ببغداد فى أيام المنصور.

و قال بعضهم: إنه توفى بسلميه فى سنه ست و ثمانين. فعلى هذا يكون الذى ولاه الرشيد ابن ابنه عبد اللّه بن صالح بن عبد اللّه بن صالح؛ و اللّه أعلم.

---

١- ترجم ابن العديم لاسماعيل بن صالح فى بغيه الطلب ص ١۶۴٨- ١۶۵۵، و ذكر ما أقطعه الرشيد فى حلب و زاد:« و قدرها قدر جليل جسيم».

ثم إنّ الرشید ولّی حلب و قنّسرین خزیمه بن خازم بن خزیمه، من قبل ابنه القاسم بن الرشید، فی سنه ثلاث و تسعین و مائه. و لم یزل القاسم بن الرشید فی ولایه حلب و قنسرین حتی مات أبوه الرشید فی سنه ثلاث و تسعین و مائه فی جمادی الآخره فأقره أخوه الأمین علیها؛ و جعل معه قمامه بن أبی زید؛ و ولی خزیمه بن خازم الجزیره.

ثم إن محمدا الأمین عزل أخاه القاسم بن الرشید عن حلب و قنسرین و العواصم و سائر الأعمال التی ولاه أبوه سنه أربع و تسعین و مائه؛ و ولیّها خزیمه بن خازم فی هذه السنه.

ثم ولّی الأمین حلب و قنسرین و الجزیره عبد الملک بن صالح بن علیّ؛ فخرج إلیها، و اجتمعت إلیه العرب فی سنه ست و تسعین و مائه(۱). و هذه الولایه الثالثه لعبد الملک. و کان الأمین قد أخرجه من حبس أبیه حین مات سنه ثلاث و تسعین و مائه فی ذی القعده.

و استمر عبد الملک فی هذه الولایه إلی أن مات فی سنه ست و تسعین و مائه بالرقه؛ و دفن فی دار من دور الإماره. و کان یری للأمین ما فعله به. فلما خلع الأمین حلف عبد الملک إن مات الأمین لا یعطی المأمون طاعه؛ فمات قبل الأمین فبقیت فی نفس المأمون إلی أن خرج إلی الغزاه؛ و وجد قبر عبد

---

۱- بهامش الأصل: و خرج أبو العمیطر علی بن عبد اللّه بن یزید بن معاویه السفیانی ... بالخلافه فی ذی الحجه سنه ... و بایعه أهل قنسرین، و خرج إبراهیم بن اسحق بن قضاعه الثویبی من بنی الفصیص فی جماعه من أصحابه، ثم هرب أبو العمیطر و استخفی». انظر بغیه الطلب ج ۱ ص ۵۶۳- ۵۶۵.

الملک فی دار الإماره فأرسل إلی ابن لعبد الملک: «حول أباک من داری» فنبشت عظامه و حوّل.

ثم ولی خزیمه بن خزیمه حلب و قنسرین فی سنه سبع و تسعین و مائه.

و قیل إن الولید بن طریف ولی حلب و قنسرین بعد عبد الملک بن صالح؛ و بعده و رقاء عبد عبد الملک ثم بعده یزید بن مزید، ثم استأمن إلی طاهر بن الحسین.

فلما قتل الأمین و بویع المأمون ولی حلب و الشام جمیعه طاهر بن الحسین؛ و جعل إلیه حرب نصر بن شبث فتحصن بکیسوم(۱) فقصده طاهر فلم یظفر به ولقیه، فکسر طاهر و عاد مفلولا؛ و ذلک فی سنه ثمان و تسعین و مائه.

ثم أضاف إلیه ولایه مصر و إفریقیه فی سنه أربع و مائتین.

ثم ولاه خراسان سنه ست. و ولی ابنه عبد اللّه مصر و الشام جمیعه؛ و أمره بمحاربه نصر بن شبث فی سنه ست و مائتین.

و توفی طاهر بخراسان سنه سبع و مائتین؛ فأضاف المأمون ولایته إلی ابنه عبد اللّه مع الشام. فسار عبد اللّه بن طاهر إلی الشام من الرقه و احتوی علی الشام جمیعه. و هدم سور معره النعمان. و هدم معظم الحصون الصغار مثل

---

۱- کانت کیسوم مدینه کبیره قدیمه، و ولایه واسعه عظیمه، و کان حصنها حصینا و بناؤها قویا رکینا، و بینها و بین الحدث سبعه فراسخ. بغیه الطلب ج ۱ ص ۲۶۵.

حصن الکفر و حصن حناک(۱) و غیر ذلک. و نزل بکیسوم و بها نصر بن شبث فحصره إلی أن ظفر به، و خرج إلیه بأمان. و خرّب حصن کیسوم بعد وقائع کثیره جرت بینه و بین نصر بن شبث؛ و سار إلی مصر؛ و ذلک کله فی سنه تسع و مائتین.

و لما فتح مصر فی سنه إحدی عشره و مائتین کتب المأمون إلیه:

أخی أنت و مولای و من أشکر نعماه

فما أحببت من أمرفإنی الدهر أهواه

و ما تکره من شی ءفانی لست أرضاه

لک الله علی ذاک لک الله لک الله

و دامت ولایه عبد اللّه بن طاهر إلی سنه ثلاث عشره و مائتین؛ و وجهه المأمون إلی خراسان، و عزله عن الشام؛ و ولی ابنه العباس بن المأمون حلب و قنسرین و العواصم و الثغور؛ و أمر له بخمسمائه ألف دینار فی سنه ثلاث عشره و مائتین.

ثم ولاها المأمون إسحاق بن ابراهیم بن مصعب بن زریق و عزل ابنه العباس فی سنه أربع عشره و مائتین. ثم إنّ المأمون عزل اسحاق بن ابراهیم فی هذه السنه و ولاه مصر، و أعاد ابنه العباس إلیها ثانیه.

ثم ولی المأمون حلب و قنسرین ورقه الطریفی، و أظنه مع العباس

---

۱- لعله أراد بالکفر، بلده کفر طاب، علما بأنه یوجد علی مقربه من خربه حناک قریه اسمها کفر رومه، تبعد عنها ۳ کم. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

و كانت لورقه حركه أيام الفتنه.

فلما قـدم المأمون حلب للغزاه و نزل بـدابق، في سـنه خمس عشـره و مائتين، لقيه عيسـي بن علي بن صالح الهاشـمي فقال له: «يا أمير المؤمنين أيلينا أعداؤنا في أيام الفتنه و في أيامك؟» فقال: «لا و لا كرامه». فصرف ورقه.

و ولي عيسـي بن علي بن صالح نيابه عن ولده العباس فيما أري، فوجد عنده من الكفايه و الضبط و حسن السيره ما أراد فقدّمه و كبر عنده و أحبه.

و كان المأمون كلما غزا الصائفه لقيه عيسي بن علي بالرقه و لا يزال معه حتي يدخل الثغور، ثم يرد عيسي إلي عمله.

و ولي المأمون في سـنه خمس عشره و مائيين قضاء حلب عبيد بن جناد بن أعين مولي بني كلاب، فامتنع من ذلك، فهدده علي الامتناع فأجاب.

ثم ولي المأمون عبيد اللّه بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح لما غزا الصائفه في سنه ثمان عشره و مائتين العواصم.

و فيهـا مات المأمون و إنما وليها عبيـد اللّه عن العباس بن المأمون في غالب ظني فان العباس ولي حلب و قنسـرين و الجزيره من سنه أربع عشره و مائتين إلي أن توفي أبوه المأمون بالبذندون من أرض طرسوس(۱).

---

۱- للمأمون ترجمه وافيه في المقفي للمقريزي ألحقتها بكتاب تاريـخ الخلفاء للوثابي، و البذنـدون قريه بينها و بين طرسوس يوم، ثم نقل إلي طرسوس و دفن فيها، و أودع ابن العديم ماده رائعه عن طرسوس. بغيه الطلب ج ۱ ص ۱۷۵- ۲۰۴.

و بويع أبو اسحاق المعتصم فأقر العباس بن المأمون على ولايته، و كان الجند قد شغبوا و طلبوا العباس و نادوه باسم الخلافه؛ فأرسل المعتصم إليه، و أحضره فبايعه؛ و خرج إلى الناس و قال لهم: «ما هذا الحب البارد قد بايعت عمى» فسكنوا.

و سار المعتصم إلى بغداد و العباس معه؛ فلما توجه المعتصم إلى الغزاه و مرّ بحلب، فى سنه ثلاث و عشرين و مائتين، و دخل إلى بلاد الروم اجتمع به بعض الجند و وبّخه على ما فعل من إعطاء المعتصم الخلافه، و حسّن له تدارك الأمر، فاستمال جماعه من القواد و عزموا أن يقبضوا على المعتصم و هو داخل إلى الغزاه فلم يمكنهم العباس و قال: «لا أفسد على الناس غزاتهم».

فنمى الخبر إلى المعتصم فقبض على العباس، و على من ساعده على ذلك، و هو عائد من الغزاه، فلما وصل إلى منبج سأل العباس الطعام و كان جائعا فقدم إليه طعام كثير فأكل. فلمّا طلب الماء منع و أدرج فى مسح(۱) فمات بمنبج فى ذى القعده، من سنه ثلاث و عشرين و مائتين؛ و صلى عليه بعض إخوته و دفن بمنبج.

و ولى المعتصم حلب و قنسرين حربها و خراجها و ضياعها عبيد اللّه بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح بن علىّ الهاشمى؛ ثم إنه ولى أشناس التركى الشام جميعه و الجزيره و مصر، و توّجه و ألبسه و شاحين بالجوهر فى سنه خمس و عشرين و مائتين.

---

۱- المسح: الكساء من شعر. المعجم الوسيط.

و نظر فی صلات المعتصم لأشناس فوجد مبلغها أربعین ألف ألف درهم. و أظن أنه بقی فی ولایته إلی أن مات سنه ثلاثین و مائتین فی أیام الواثق.

و ولی الواثق عبید اللّه بن عبد العزیز بن الفضل بن صالح الهاشمی حلب و قنسرین حربها و خراجها و ضیاعها؛ و أظنه کان متولیا فی أیام المعتصم من جهه أشناس، فأقره الواثق علی ولایته.

و ولّی الواثق قنسرین و حلب و العواصم، بعد عبید اللّه، محمد بن صالح بن عبد اللّه بن صالح فکانت سیرته غیر محموده. و کان أحمر أشقر، فلقّب: «سمّاقه» لشده حمرته. و یقال: إنه أول من أظهر البرطیل بالشام، و أوقع علیه هذا الاسم؛ و کان لا یعرف قبل ذلک إلا الرّشوه علی غیر إکراه.

و کان أکثر الناس سکوتا و أطولهم صمتا؛ لا یکاد یسمع له کلام إلا فی أمر یأمر به، أو قول یجیب عنه.

و کان قاضی حلب فی أیامه أبا سعید عبید بن جناد الحلبی، توفی سنه إحدی و ثلاثین و مائتین؛ و کان المأمون ولاه قضاء حلب. و له یقول عمرو بن هوبر الکلبی فی قصیده یغضّ منه؛ أولها:

لا در درّ زمانک المتنکس الجاعل الأذناب فوق الأرؤس

ما أنت إلا نقمه فی نعمهأو أصل شوک فی حدیقه نرجس

یا قبله ذهبت ضیاعا فی یدضرب الإله بنانها بالنقرس

من سرّ أبطح مکه آباؤه وجدوده و کأنّه من قبرس

و هذا عمرو بن هوبر كان من معراثا البريديه من ضياع معرّه النعمان و ولى فى أيام المتوكل معرّه مصرين و قتل بها(۱).

و كان الواثق قد ولى الثغور و العواصم دون حلب و أعمالها أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبه، و أمره بحضور الفداء مع خاقان و صاحب الروم ميخائيل، فأمضى الفداء سنه إحدى و ثلاثين و مائتين.

ثم إنه غزا شاتيا فأصاب الناس شده فوجد الواثق عليه بسبب ذلك، و عزله و ولاها نصر بن حمزه الخزاعى.

و ولّى الشارباميان، فى أول أيام المتوكل على حلب و قنسرين و العواصم، و البين أنا ذاكرهما. و كان الشارباميان أحد قواد المتوكل و كان خصيصا عنده. فإما أن يكون المتوكل ولاه جند قنسرين و العواصم أو أنه كان السلطان فى أيام المتوكل فكان أمر الولايه إليه. فاننى قرأت فى كتاب نسب بنى صالح بن على قال: و ولى الشارباميان جند قنسرين و العواصم علىّ بن اسماعيل بن صالح بن على، أبا طالب؛ و إنما أراد أن يتزين به عند المتوكل فامتنع من قبول ولايته؛ فأعلمه إن لم يفعل كتب فيه إلى الخليفه فقبلها؛ و أقام على ولايه جند قنسرين و العواصم، حتى مات. فكانت أيامه أحسن أيام و سيرته أجمل سيره. و كان علىّ بن اسماعيل إذا خرج إلى العواصم استخلف ابنه محمد بن على على قنسرين و حلب فلا يفقد الناس من أبيه

---

۱- ما يزال هناك أكثر من معراثا على مقربه من معره النعمان، هذا و أفرد ابن العديم بابين لكل من معره النعمان و معره مصرين. ج ۱ ص ۱۲۷- ۱۳۵.

شيئا، قال: ولى الشارباميان جند قنسرين و العواصم عيسى بن عبيد اللّه بن الفضل بن صالح بن على الهاشمى.

قال: و ولى المتوكل طاهر بن محمد بن اسماعيل بن صالح على المظالم بجند قنسرين و العواصم، و النظر فى أمور العمال؛ و جاءته الولايه منه فألفاه الرسول فى مرضه الذى مات فيه، و جعل المتوكل ولايه عهده إلى ابنه محمد المنتصر؛ و ولاه قنسرين، و العواصم، و الثغور و ديار مضر، و ديار ربيعه، و الموصل، و غير ذلك فى سنه خمس و ثلاثين و مائتين؛ فاستمر فى الولايه إلى أن قتل أباه و كانت الولاه من قبله.

و فى أيام ولايته حلب فى سنه اثنتين و أربعين و مائتين وقع طائر أبيض دون الرخمه(۱) و فوق الغراب على دلبه بحلب لسبع مضين من رمضان، فصاح: «يا معشر الناس، اللّه اللّه» حتى صاح أربعين صوتا. ثم طار؛ و جاء من الغد فصاح أربعين صوتا. و كتب صاحب البريد بذلك و أشهد خمسمائه انسان سمعوه. و لا يبعد عندى أن تكون الدّلبه التى ينسب إليها رأس الدلبه(۲).

و سمع فى هذه السنه أصوات هائله من السماء، و زلزلت نيسابور،

---

۱- الرخم( الشوح) طائر يشبه النسر فى الخلقه، كانت له مكانه دوائيه منها أن يطلى بمرارته لسم الحيه و غيرها، و التبخير يجفف لحمه مخلوطا بخردل سبع مرات يحل المعقود عن النساء ... القاموس.

۲- بهامش الأصل: مقال الطائر. غريبه، إن اللّه على كل شى ء قدير.

و تقلعت جبال من أصولها، و نبع الماء من تحتها، و وصلت الزلزله إلى الشام و الثغور.

و أظن أن نائب المنتصر فى جند قنسرين فى حياه المتوكل كان بغا الكبير؛ فلمّا قتل المتوكل قدم بغا عليه. و سيّر المنتصر و صيفا إلى الثغر الشامى، فأقام به إلى أن مات.

و ولى المستعين فى سنه خمسين و مائتين قنّسرين و حلب و حمص موسى بن بغا؛ و توجه إليها حين عاث أهل حمص على الفضل بن قارن. ثم ولى حلب و العواصم أبو تمام ميمون بن سليمان حدقه بن عبد الملك بن صالح فى أيام المستعين، و كانت له حركه و بأس فى فتنه المستعين.

و عصى أهل حلب و أقاموا على الوفاء للمستعين ببيعتهم؛ فقدم عليهم أحمد المولد محاصرا لهم فلم يجيبوه إلى ما أراد من البيعه للمعتز. و كان السفير بينه و بينهم الحسين بن محمد صالح بن عبد اللّه بن صالح أبا عبيد اللّه الهاشمى.

فلما بايعوا بعد ذلك للمعتز و انقضى أمر المستعين ولاه أحمد المولد جند قنسرين و حلب، فى سنه اثنتين و خمسين و مائتين؛ فأقام مده يسيره؛ ثم انصرف إلى سلميه- أعنى الحسين بن محمد.

و ولى حلب و قنسرين و العواصم صالح بن عبيد اللّه بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح، فى فتنه المستعين؛ و كان له سعى و تقدم و رئاسه.

ثم ولی بعـده، فیما أری، أبو تمام میمون بن سـلیمان بن عبـد الملک بن صالح. و هذه ولایه ثانیه له؛ و مات بالرقه، ثم ولی بعده ثانیه صالح بن عبید اللّه بن عبد العزیز بن الفضل بن صالح الهاشمی و انقضت ولایه بنی صالح الهاشمیین.

ثم ولی حلب و قنسـرین فی أیام المعتز أبو الساج داود اذ فی شـهر ربیع الأول، سـنه أربع و خمسین و مائتین، و بقی والیا إلی أن تغلب أحمد بن عیسی بن شیخ علی الشامات فی أیام المهتدی.

فلما مات، و ولی المعتمد سیّر إلی ابن شـیخ بولایه أرمینیه، علی أن ینصـرف عن الشام آمنا؛ فأجاب إلی ذلک؛ و رحل عنها فی سنه ست و خمسین و مائتین.

## [عصر الدوله الطولونيه]

[عصر الدوله الطولونيه](١)

و وليها أحمد بن طولون مع أنطاكيه و طرسوس و غيرها من البلاد و كان أحمد بن طولون شهما شجاعا عاقلا، و كان على مربطه أربعه آلاف حصان، و كانت نفقته فى كل يوم ألف دينار(٢).

فعقد المعتمد لأخيه أبى أحمد الملقب بالموفق على حلب و قنسرين و العواصم، فى شهر ربيع الأول سنه ثمان و خمسين و مائتين. ثم ولاه بغداد، و اليمن، و خراسان؛ ولى الشام لابنه جعفر؛ و جعل له ولايه العهد، و هو صبى؛ و جعل الأمر بعده لأخيه أبى أحمد.

فولى أبو أحمد الموفق «سيما الطويل» أحد قواد بنى العباس و مواليهم حلب و العواصم. فابتنى بظاهر مدينه حلب دارا حسنه، و عمل لها بستانا.

و هو الذى يعرف الآن «ببستان الدّار» ظاهر باب أنطاكيه. و بهذه الدّار سميت المحله التى بباب أنطاكيه «الدّارين»؛ إحدى الدارين هذه؛ و الدار الأخرى

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- لأحمد بن طولون ترجمه وافيه فى بغيه الطلب ص ٨٢٦- ٨٣٥.

بناها قبله محمد بن عبد الملک بن صالح فعرفت المحله بالدّارین لذلک.

و إحدی الدارین تعرف بالسلیمانیه علی حافه نهر «قویق»؛ و حاضر السلیمانیه بها یعرف و هو حاضر حلب.

و جدّد سیما الطویل الجسر الذی علی نهر قویق قریبا من داره. و رکب علیه بابا أخذه من قصور بعض الهاشمیین بحلب یقال له: «قصر البنات».

و أظن أن «درب البنات» بحلب یعرف به؛ و أظن القصر یعرف بأم ولد کانت لعبد الرحمن بن عبد الملک بن صالح اسمها «بنات»؛ و هی أم ولده داود.

و سمی سیما الباب باب السلامه و هو الباب الذی ذکره الواسانی(۱) فی قصیدته المیمیه التی أولها:

یا ساکنی حلب العواصم جادها صوب الغمامه(۲)

و فی سیما الطویل یقول البحتری:

فردّت إلی سیما الطّویل أمورناو سیما الرّضا فی کلّ أمر یحاوله(۳)

فعصی أحمد بن طولون علی أبی أحمد الموفق، و أظهر خلعه و نزل إلی الشام، فانحاز سیما الطویل إلی أنطاکیه فحصره أحمد بن طولون بها فألقت

---

۱- الواسانی من شعراء یتیمه الدهر للثعالبی- ط. القاهره ۱۹۵۶ ج ۱ ص ۳۵۱.

۲- انظر بغیه الطلب ج ۱ ص ۵۷.

۳- لم ترد قصیده البحتری فی دیوانه المطبوع، و ذکر المرحوم سامی الدهان أنه رآها فی مخطوطه باریس من دیوان البحتری بالورقه ۳۱۱. و قال یمدح الموفق و یذکر ولایه سیما الطویل الشام: لقد وفق الله الموفق للذی أتاه و أعطی الشام ما کان یأمله أضاف إلی سیما الطویل أمورناو سیما الرضا فی کل أمر یحاوله

علیه امرأه حجرا و قیل قوفا(١) فقتلته. و قیل بل قتله عسکر ابن طولون، و کان ذلک فی سنه أربع و ستین أو سنه خمس و ستین و مائتین.

و استولی أحمد بن طولون علی حلب و الشام جمیعه منابذا لأبی أحمد الموفق؛ و کان قاضی حلب فی أیامه عبید اللّه بن محمد بن عبد العزیز بن عبد اللّه أبو بکر القاضی العمری. و دام علی قضائها إلی أن مات أحمد.

و کان سیما حین صارت له حلب قد قصد جماعه من الأشراف [من] بنی صالح بن علی بالأذی، و استولی علی أملاکهم، و أودع بعضهم السجن.

فلما ولی أحمد بن طولون قال صالح بن محمد بن اسماعیل بن صالح بن علی الهاشمی الحلبی، یمدحه و یشکره، و یذکر ظفره بسیما بقصیده یقول فیها:

و قد لبستنا من قذا الجور ذلهو دار بنا کید الأعادی فأحدقا

و حکّم فینا عاندا فجرت له أفاعیل غرّ تترک اللب أخلقا

إلی أن أتیحت بابن طولون رحمهأشار إلی معصوصب فتفرّقا

فدتک بنو العباس من ناصر لهاأنار به قصد السبیل فأشرقا

بنیت لهم مجدا تلیدا بناؤه فلم نر بنیانا أعزّ و أوثقا

منحتهم صفو الوداد و لم یکن سواک لیعطی الودّ صفوا مزوّقا

تجوز منک العبد لما قصدته و أسکن أشراف الأقاوم مطبقا

بلا تره أسدوا إلیه و إنّمایجازی الفتی یوما علی ما تحققا

---

١- القفه و القف: ما ارتفع من متون الأرض و صلبت حجارته. و القف حجاره غاص بعضها ببعض مترادف بعضها إلی بعض حمر لا یخالطها من اللین و السهوله شی ء. اللسان.

و هيهات ما ينجيه لو أنّ دونه ثمانين سورا فى ثمانين خندقا

ثم إنّ أحمد بن طولون توجه إلى مصر، و ولى مملوكه لؤلؤ حلب فى سنه ست و ستين؛ فخرج بكار الصالحى من ولد عبد الملك بن صالح، بنواحى حلب بينها و بين سلميه؛ و دعا إلى أبى أحمد الموفق فى سنه ثمان و ستين؛ فحاربه ابن العباس الكلابى فهزم الكلابى؛ و وجه إليه لؤلؤ قائدا يقال له أبو ذر، فرجع و ليس معه كبير أحد. ثم. إن لؤلؤ ظفر به فقبض عليه.

ثم إن لؤلؤ الطولونى خالف مولاه أحمد بحلب، و عصى عليه فى سنه تسع و ستين؛ و كاتب أبا أحمد الموفق فى المسير إليه فأجابه إلى ذلك. و قطع لؤلؤ الدعاء لمولاه أحمد فى مدنه جميعها: حلب، و قنسرين، و حمص، و ديار مضر؛ و ترك أهل الثغور الدعاء لابن طولون؛ و أخرجوا نائبه منها و هموا بقبضه، فهرب. فنزل أحمد بن طولون من مصر فى مائه ألف فقبض على حرم لؤلؤ و باع ولده و أخذ ما قدر عليه مما كان له؛ و هرب لؤلؤ منه و لحق بأبى أحمد طلحه بن المتوكل و هو على محاربه العلوى البصرى عميد الزنج.

و لؤلؤ هو الذى قتل علوى البصره فى سنه تسع و ستين و مائتين. و بقى لؤلؤ ببغداد إلى أن قبض عليه الموفّق؛ و قيّده فى سنه ثلاث و سبعين و مائتين، فوجد له أربعمائه ألف دينار. فذكر لؤلؤ الطولونى أنه لا يعرف لنفسه ذنبا إلا كثره ماله و أثاثه.

و لمّا انحدر لؤلؤ من الرقه كان معه من السفن و الخزائن زهاء ثلاثمائه خزانه.

و لما هرب لؤلؤ من مولاه إلى العراق فى جمادى الأولى من السنه، اجتاز ببالس، و بها محمد بن العبّاس بن سعيد الكلابى أبو موسى، و أخوه سعيد فأسرهما.

ثم إن ابن طولون وصل إلى الثغور، فأغلقوها فى وجهه، فعاد إلى أنطاكيه و مرض. فولى على حلب عبد اللّه بن الفتح، و صعد إلى مصر مريضا، فمات سنه سبعين و مائتين.

و ولى ابنه أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون؛ فولى فى حلب أبا موسى محمد بن العباس بن سعيد الكلابى، فى سنه إحدى و سبعين و مائتين.

و نزل أبو الجيش من مصر إلى حلب، و كاتب أبا أحمد بن المتوكل بأن يولى حلب و مصر و سائر البلاد التى فى يده، و يدعى له على منابرها، فلم يجبه إلى ذلك، فاستوحش من الموفق.

و ولى فى حلب القائد أحمد بن ذو غباش؛ و صعد إلى مصر فوصل إلى حلب اسحاق بن كنداج(1)، و كان يلى ديار ربيعه؛ و محمد بن أبى الساج، و كان يلى ديار مضر، فولاه الموفق حلب و أعمالها؛ و كتبا إلى العراق يطلبان نجده تصل إليهما، فان ابن جبغويه و غيره من قواد ابن طولون بشيزر.

فسيّر الموفق ابنه ابا العباس أحمد بن طلحه، و كان قد جعل إليه ولايه عهده، فوصل إلى حلب فى ربيع الآخر من سنه إحدى و سبعين

---

۱- لخمارويه ترجمه مفيده فى بغيه الطلب ص ۳۳۸۲- ۳۳۸۶، و فى هذه الترجمه« اسحق بن كنداجيق».

و مـائتين، و كان فيها محمـد بن ديوداذ بن أبى الساج، المعروف بالأفشـين حينئـذ واليا؛ و سار إلى قنسـرين، و هى يومئـذ لأخى الفصيص التنوخى و هى عامره و حاضر طى ء لطى ء و عليها أيضا سور، و قلعتها عامره.

و سار إلى شـيزر، فكسر العسكر المقيم، و سار إلى أن تواقع المعتضد و خمارويه على الطواحين(۱)، بقرب الرمله؛ و كانت الغلبه أولاـ لأـبى العبـاس المعتضـد، فهرب خمـارويه بمن خفّ معه إلى مصـر، و نزل أبو العبـاس بخيمه خمـارويه، و هو لاـ يشك فى الظفر، فخرج كمين لخمارويه، فشدّوا عليهم و قاتلوهم؛ فانهزموا؛ و تفرق القوم(۲).

و رجع الأـمير أبو العبـاس إلى أن انتهى إلى أنطـاكيه؛ و كـان محمـد بن ديوداذ المعروف بالأفشـين بن أبى السـاج قـد فـارق أبا العباس لكلام أغلظ له فيه أبو العباس، فجاء قبل وقعه الطواحين، و استولى على حلب، و معه اسحاق بن كنداج.

و سـار أبو العبـاس من أنطـاكيه إلى طرسوس فأغلقها أهلها دونه، و منعوه من دخولها؛ فسار إلى مرعش، ثم إلى كيسوم، ثم إلى سميساط، و عبر الفرات، و نكب عن حلب لاستيلاء الأفشين عليها؛ و كان قد جرت بينهما وحشه.

و نزل خمارويه إلى حلب، فصالحه الأفشين و صار فى جملته؛ و دعا له

---

۱- فى أحواز بلده الرمله فى فلسطين.

۲- لمزيد من التفاصيل، انظر بغيه الطلب ص ۸۰۸- ۸۰۹، ۳۳۸۲.

على منابر أعماله، و حمل إليه خمارويه مائتى ألف دينار و نيفا و عشرين ألف دينار لوجوه أصحابه؛ و عشرين ألف دينار لكاتبه؛ و ذلك فى سنه ثلاث و سبعين و مائتين. و أعطاه ابن أبى الساج ولده رهينه على الوفاء بعهده؛ فراسل خمارويه أبا أحمد الموفق، و سأله الصلح فأجابه إلى ذلك؛ و ولاه مصر، و أجناد الشام، و قنسرين، و حلب، و العواصم، و الثغور.

و صعد أبو الجيش إلى مصر، و كان أبو الجيش قد أعطى ابن أبى الساج يوم دفع ولده إليه ما مبلغه ثلاثون ألف دينار، فقال ابن أبّا(١): «خدعكم محمد بن ديوداذ، إذ أعطاكم بوله يبول مثلّها فى كل ليله مرات، و أخذ منكم ثلاثين ألف دينار».

ثم إن ابن أبى الساج نكث عهده مع أبى الجيش، و عاث فى نواحى الأعمال التى له، فى ذى القعده من سنه أربع و سبعين و مائتين؛ فخرج إليه أبو الجيش، و التقيا بالثنيه(٢)، من أعمال دمشق فانهزم ابن أبى الساج و استبيح عسكره قتلا و أسرا، ففى ذلك يقول البحترى:

و قد تدلت جيوش النّصر منزلهعلى جيوش أبى الجيش بن طولونا

يوم «الثّنيه» إذ ثنّى بكرّته خمسين ألفا رجالا أو يزيدونا(٣)

---

١- هو أحمد بن أبا، و كان من قواد خمارويه. انظر تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٣٤( ط. دار المعارف، القاهره).

٢- ثنيه العقاب، اسمها الآن« التنايا» خارج دمشق على الطريق الواصل بين حمص و دمشق.

٣- لم ترد القصيده فى ديوان البحترى المطبوع، و ذكر المرحوم د. دهان أنه رآها فى مخطوطه ديوان البحترى المحفوظه فى باريس الورقه ٣٩٨، حيث جاء: و قال يمدح أبا الجيش خمارويه بن- أحمد بن طولون: يكاد عاذلنا فى الحب يغرينافما لجاجك فى لوم المحبينا

و کتب إلی ابن أبی الساج یوبخه، و یقول له: «کان یجب یا قلیل المروءه و الأمانه، أن نصنع برهنک ما أوجبه غدرک! معاذ اللّه أن تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری(۱).

و رجع أبو الجیش إلی مصر فی سنه خمس و سبعین و مائتین. فعاد محمد بن دیوداذ، و عاث علیه فی أطراف بلاده، فقصده فانهزم بین یدیه؛ فوصل ابن طولون خلفه إلی الفرات. و هرب ابن أبی الساج؛ و لحق بأبی أحمد الموفّق، فانضم إلیه، فخلع علیه، و أخرجه معه إلی «الجبل»، و ذلک فی سنه ست و سبعین و مائتین. فولّی أبو الجیش علی حلب غلام أبیه طغج بن جف والد الإخشید أبی بکر محمد بن طغج.

و دعا یازمار والی الثغور لخمارویه بطرسوس و الثغور، و حمل إلیه خمارویه خمسین ألف دینار، و حمل إلیه قبل الدعاء له ثلاثین ألف دینار لینفقها فی سبیل اللّه و مائه و خمسین ثوبا و مائه و خمسین دابه و سلاحا کثیرا؛ و ذلک فی سنه سبع و سبعین و مائتین.

و رجع أبو الجیش إلی مصر، و مات المعتمد بعد ذلک فی سنه تسع و سبعین؛ فولی الخلافه أبو العباس أحمد بن طلحه المعتضد(۲) فبایعه أبو

---

۱- سوره الأنعام- الآیه: ۱۶۴.

۲- للمعتضد ترجمه وافیه فی بغیه الطلب ۸۰۸- ۸۲۶.

الجيش بن طولون و خطب له فى عمله. و سيّر إليه هديه سنيه مع الحسين بن الجصّاص(١). و طلب منه أن يزوج ابنته من علىّ بن المعتضد، فقال المعتضد:

«بل أنا أتزوجها»، فتزوجها المعتضد و هى قطر الندى.

و قيل: إنه دخل معها مائه هاون ذهب فى جهازها، و ان المعتضد دخل خزانتها، و فيها من المنائر و الأباريق، و الطاسات، و غير ذلك من الآنيه الذهب. فقال: «يا أهل مصر، ما أكثر صفركم». فقال له بعض القوم:

يا أمير المؤمنين، إنما هو ذهب».

و زفّت إلى المعتضد مع صاحب أبيها الحسين بن عبد اللّه بن الجصّاص. فقال المعتضد لأصحابه: «أكرموها بشمع العنبر»! فوجد فى خزانه الخليفه أربع شمعات من عنبر، فى أربعه أتوار(٢) فضه.

فلما كان وقت العشاء، جاءت إليه و قدّامها أربعمائه و صيفه، فى يد كل واحده منهن تور ذهب و فضه؛ و فيه شمعه عنبر. فقال المعتضد لأصحابه:

«أطفئوا شمعنا و استرونا».

و كانت إذا جاءت إليه أكرمها بأن يطرح لها مخده. فجاءت إليه يوما فلم يفعل ما كان يفعله بها. فقالت: «أعظم اللّه أجر أمير المؤمنين» قال:

---

١- الحسين بن عبد اللّه بن حسين بن منصور، أبو عبد اللّه الجوهرى، المعروف بابن الجصاص، كان من أعيان تجار عصره، ذوى الثروه الواسعه و اليسار. له ترجمه وافيه فى المقفى للمقريزى- ط. بيروت ١٩٨٩ ج ٣ ص ٥٢٠- ٥٣٤.
٢- آنيه صغيره توضع فيها الشمعه.

«فيمن؟». قالت: «فى عبده خمارويه»- تعنى أباها- فقال لها: «أو قد سمعت بموته؟» قالت: «لا و لكنى لمّا رأيتك قد تركت إكرامى علمت أنه قد مات أبى». و كان خبره قد وصل إلى المعتضد، فكتمه عنها. فعاد إلى إكرامه لها بطرح المخدّه فى كل الأوقات.

و قتل خمارويه بدمشق فى سنه [ثماني و] ثمانين و مائتين(١)، و حلب فى ولايه طغج بن جفّ من قبله.

و أظن أن قاضى حلب بعد أيام أحمد بن طولون حفص بن عمر قاضى حلب.

و ولى مكان خمارويه ولده جيش بن خمارويه(٢)، و طغج فى حلب على حاله.

و عزل القواد جيش بن خمارويه؛ و ولوا أخاه هارون بن خمارويه، فولى طغج بن جفّ حلب على حاله، و سيّر إلى المعتضد رسولا يطلب منه إجراءه على عاده أبيه فى البلاد التى كانت فى ولايته، فلم يفعل.

و سيّر رسولا إلى هارون، فاستنزله عن حلب و قنسرين، و العواصم، و سلّم لهارون مصر و بقيه الشام، و اتفق الصلح مع المعتضد و هارون على ذلك، فى جمادى الأولى من سنه ست و ثمانين و مائتين.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين من ترجمه خمارويه فى بغيه الطلب ص ٣٣٨٦.

٢- لجيش بن خمارويه ترجمه مفيده فى المقفى للمقريزى ج ٣ ص ١١٦- ١١٧.

و كان هارون قد ولى قضاء حلب و قنسرين أبا زرعه محمد بن عثمان الدمشقى، فقلد المعتضد حلب و قنسرين ولده أبا محمد على بن أحمد فى هذه السنه.

و ولى بحلب من قبل ابنه الحسن بن علىّ المعروف بكوره الخراسانى، و إليه تنسب دار كوره؛ التى داخل باب الجنان(۱) بحلب، و الحمام المجاوره لها. و قد خربت الآن و لم يبق لها أثر.

و كان كاتب على بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النصرانى، فقلده النظر فى هذه النواحى.

و سار المعتضد، فى سنه سبع و ثمانين و مائتين، خلف و صيف خادم ابن أبى الساج إلى الثغور إلى أن لحقه. فضم عمل الثغور أيضا إلى كوره، و عاد إلى أنطاكيه، و وصيف(۲) معه.

ثم رحل إلى حلب، فأقام بها يومين؛ و وجد لوصيف بعد أسره فى بستان بحلب مال كان دفنه و هو بها مع مولاه مبلغه سته و خمسون ألف دينار، فحمل إلى المعتضد؛ ثم رحل إلى بغداد، فمات فى شهر ربيع الآخر سنه تسع و ثمانين و مائتين.

و تولى الخلافه ولده أبو محمد، و لقب بالمكتفى؛ فصرف الحسن بن على

---

۱- سمى بذلک لأنه يخرج منه إلى البساتين التى لحلب، بغيه الطلب ج ۱ ص ۵۵.

۲- لمزيد من التفاصيل انظر ترجمه المعتضد فى بغيه الطلب ص ۸۱۸- ۸۱۹.

کوره عن ولایته؛ و ولی حلب أحمد بن سهل البوشجانی(۱)، فی جمادی الآخره سنه تسع و ثمانین و مائتین. ثم صرفه عنها سنه تسعین و مائتین.

و ولی حلب فی هذه السنه أبا الأغر خلیفه بن المبارک السلمی(۲)، و وجهه إلیها لمحاربه القرمطی صاحب الخال- لعنه اللّه- فإنه کان قد عاث فی البلاد؛ و غلب علی حمص، و حماه، و معره النعمان، و سلمیه. و قتل أهلها و سبی النساء و الأطفال.

فقدم أبو الأغر حلب فی عشره آلاف فارس، فانفذ القرمطی سریه إلی حلب، فخرج أبو الأغر إلی وادی بطنان(۳)، فلما استقر و افاه جیش القرمطی، یقدمه المطوّق غلامه و کبسهم، و قتل عامه أصحابه و خادما جلیلا یقال له بدر القدامی(۴).

---

۱- کذا بالأصل، و لم یرد فی لباب الأنساب لابن الأثیر البوشجانی بل البوشنجی، و النوشجانی.

۲- ترجم ابن العدیم فی بغیه الطلب لکل من صاحب الخال و خلیفه بن المبارک( أبو الأغر السلمی) و سلف لی نشر هاتین الترجمتین فی کتابی الجامع فی أخبار القرامطه- ط. دمشق ۱۹۸۷ ج ۲ ص ۴۰۷- ۴۲۵.

۳- فی ترجمه أبی الأغر- الجامع فی أخبار القرامطه ج ۲ ص ۴۲۴:« و للنصف من شهر رمضان- سنه ۲۹۰ ه- مضی أبو الأغر إلی حلب، و نزل وادی بطنان، قریبا من حلب، و نزل معه جمیع أصحابه، فنزع- فیما ذکر- جماعه من أصحابه ثیابهم، و دخلوا یتبردون بمائه، و کان یوما شدید الحر، فبیناهم کذلک إذ وافاهم جیش القرمطی المعروف بصاحب الشامه، مقدمهم المعروف بالمطوق، فکبسهم علی تلک الحال، فقتل منهم خلقا کثیرا، و انتهب العسکر، و أفلت أبو الأغر و جماعه من أصحابه، فدخل حلب، و أفلت معه مقدار ألف رجل، و کان فی عشره آلاف رجل ما بین فارس و راجل».

۴- رسم هذا الاسم بالأصل دونما ضبط أو نقط، و لم یرد ذکره فی ترجمتی أبی الأغر و صاحب الخال.

و سلم أبو الأغر فى ألف رجل، فصار إلى قريه من قرى حلب؛ و خرج إليه ابنه فى جماعه من الرجّاله و الأولياء، فدخل إلى حلب. و أقام القرامطه على مدينه حلب على سبيل المحاصره.

فلما كان يوم الجمعه، سلخ شهر رمضان من سنه تسعين و مائتين، تسرّع أهل مدينه حلب إلى الخروج للقاء القرامطه فمنعوا من ذلك، فكسروا قفل الباب، و خرجوا إلى القرامطه، فوقعت الحرب بين الفئتين؛ و رزق اللّه الحلبيين النصر عليهم. و خرج أبو الأغر فأعانهم فقتل من القرامطه خلق كثير.

و خرج أبو الأغرّ يوم السبت يوم عيد الفطر إلى المصلى، و عيد بأهل حلب، و خطب الخطيب؛ و عادت الرعيه على حال سلامه؛ و أشرف أبو الأغر على القرامطه، فلم يخرج منهم أحد إليه؛ ثم أنهم رحلوا إلى صاحبهم، فى سنه ثلاثمائه.

ثم إن المكتفى ولى حلب الحسين بن حمدان بن حمدون عم سيف الدوله، فعاثت عليه العرب من كلب و اليمن و أسد و غيرهم، فاجتمعوا بنواحى حلب، فخرج للقائهم، فى شهر رمضان من سنه أربع و تسعين و مائتين؛ فهزموه حتى بلغوا به باب حلب؛ و جرى بينه و بين القرامطه، فى هذه السنه وقعه كسرهم فيها و استأصلهم.

ثم إنه عزل عن حلب، و ولى عيسى غلام النوشرى؛ و كان المكتفى قد صار إلى الرقه فى سنه إحدى و تسعين و مائتين؛ و كان وجّه بمحمد بن

سلیمان صاحب الجیش إلی حلب و الشام فی عشرین ألف فارس و راجل، لمحاربه الطولونیه و القرامطه، و فتح مصر. فقدم محمد بن سلیمان حلب فی أواخر سنه تسعین، و الوالی بها علی الحرب عیسی غلام النوشری، فدخلها محمد فی أحسن تعبئه وزی؛ و أقام بها أیاما و طالب عمال الخراج بحمل المال؛ و قصده رؤساء بنی تمیم و بنی کلاب.

فأمر عیسی والی حلب أن یستخلف علی عمله و یشخص معه إلی مصر؛ فامتثل أمره، و استخلف علی حلب ولده، و أنفق فی جنده؛ و رحل فی آخر شوال معه. فلما وافی معره النعمان خلع علیه، و حمله، و ولاه بلده إلی حدود حماه؛ و لقیهم القرامطه بین تل مَنّس(۱) و کفر طاب(۲)، فی عشره آلاف فارس، فنصره اللّه علیهم، و انهزموا و قتل الرّجاله، و أسر أکثر الخیّاله(۳).

و صار محمد بن سلیمان إلی مصر، و افتتحها من ید الطولونیه، عند قتل هارون بن خمارویه؛ و استولی علی أموالها. ثم ضمّ إلی طغج بن جفّ الطولونی أربعه آلاف رجل، و ولاه حلب، و أخرجه عن مصر.

فلما صار إلی حلب وجد بها ابن الواثقی، و قد أنفذه السلطان إلی حلب لعرض جیوش الواردین من مصر، و ذلک فی سنه اثنتین و تسعین

---

۱- تل منس: قریه فی سهول ادلب، تابعه لمنطقه معره النعمان و تبعد عنها مسافه ۶ کم، و ذلک إلی الشرق منها، فی شمالها الشرقی تل أثری فیه آثار تعود إلی العصور الکلاسیکیه و ما تلاها. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

۲- تبعد خرائب کفر طاب نحو ۳ کم إلی الغرب من بلده خان شیخون.

۳- لمزید من التفاصیل انظر الجامع فی أخبار القرامطه ص ۴۰۸- ۴۲۲.

و مائتين. فعرض ابن الواثقى جيشه لما وصل إلى حلب، و أمره بالنفوذ إلى بغداد، فرحل حتى وافى مدينه السلام.

و كذلك ورد حلب جماعه من القواد الطولونيه، فعرضهم و توجهوا إلى بغداد. و وافى وصيف البكتمرى و ابن عيسى النوشرى صاحب حلب بغداد، يوم الاثنين لثلاث عشره ليله بقيت من شعبان سنه اثنتين و تسعين و مائتين، و معهما طغج، و أخوه، و ابن لطغج، فخلع عليهم و طوّق منهم البكتمرى و ابن عيسى النوشرى.

ثم شخص عيسى النوشرى عن مصر إلى حلب، لأنه كان واليها. فلما كان بعد شخوصه إليها بأيام، ورد كتاب العباس بن الحسن الوزير بتوليه عيسى النّوشرى مدينه مصر، و يؤمر محمد بن سليمان بالشخوص إلى طرسوس للغزو، فوجه محمد بن سليمان من لحق عيسى بالرمله فردّه؛ و ورد إلى عيسى كتاب من السلطان بذلك فعاد واليا على مصر.

و ولى المكتفى فى هذه السنه أبا الحسن ذكا بن عبد اللّه الأعور حلب؛ و دام بها إلى سنه اثنتين و ثلاثمائه. و كان كريما يهب و يعطى و إليه تنسب «دار ذكا» التى هى الآن دار الزكاه. و إلى جانبها دار حاجبه فيروز فانهدمت، و صارت تلا يعرف بتل فيروز؛ فنسفه السلطان الملك الظاهر- رحمه اللّه- فى أيامه؛ و ظهر فيه بقايا من الذخائر مثل الزئبق و غيره؛ و هو موضوع سوق الصّاغه الآن. و لأبى بكر الصنوبرىّ الشاعر فيه مدائح كثيره.

و عاد محمد بن سليمان إلى حلب، و وافاه مبارک القمّى بكتب يؤمر فيها

بتسلیم الأموال، و رکب إلیه ذکا الأعور صاحب حلب، و أبو الأغرّ و غیرهما.

فاختلط بهم و سار معهم إلی المدینه، فأدخلوه إلی الدار المعروفه بکوره، بباب الجنان، و وکلوا به فی الدار.

و شخص ذکا عن حلب لمحاربه ابن الخلنج(۱) مع أبی الأغر إلی مصر؛ و وجّه بمحمد بن سلیمان مقبوضا إلی بغداد.

و توفی المکتفی سنه خمس و تسعین و مائتین؛ و ولی أخوه أبو الفضل المقتدر.

و عاثت بنو تمیم فی بلد حلب، و أفسدت فسادا عظیما، و حاصروا ذکا بحلب، فکتب المقتدر إلی الحسین بن حمدان فی إنجاد ذکا بحلب، فأسری من الرحبه(۲) حتی أناخ علیهم بخناصره، و أسر منهم جماعه، و انصرف و لم یجتمع بذکا. ففی ذلک یقول شاعر من أهل الشام:

أصلح ما بین تمیم و ذکاأبلج یشکی بالرماح من شکا

یدلّ بالجیش إذا ما سلکاکأنّه سلیکه بن السّلکا(۳)

و کان وزیر ذکا و کاتبه أبا الحسن محمد بن عمر بن یحیی النفری

---

۱- کذا بالأصل و فی ولاه مصر للکندی- ط. بیروت ۱۹۰۸ ص ۲۵۸- ۲۹۷« ابن الخلیج».

۲- ما تزال بقایاها قائمه علی مقربه من المیادین، و تعرف باسم الرحیبه.

۳- من الشعراء الصعالیک فی الجاهلیه، نشر دیوانه مع دراسه عنه فی بیروت ۱۹۹۴.

الكاتب؛ و إليه ينسب حمّام النفرى، و هى الآن داثره. و داره هى المدرسه النوريه؛ و مدحه الصنوبرى.

ثم إن المقتدر عزل ذكا عن حلب، و ولاه دمشق ثم مصر إلى أن مات.

و قيل إنّ المقتدر ولّى حلب مولاه تكين الخادم أبا منصور ثم عزله عنها.

و الصحيح أنه ولّى الشام و مصر مؤنس المظفر الخادم نيابه عن ابنه أبى العباس، فقدم إلى حلب و صعد إلى مصر.

و ولى مؤنس ذكا الأعور دمشق و مصر، و عزله عن حلب؛ و ولى الأمير أبا العباس أحمد بن كيغلغ حلب سنه اثنتين و ثلاثمائه. و كان على قضاء حلب سنه تسعين محمد بن محمد الجدوعى.

ثم ولى القضاء بحلب و قنسرين محمد بن أبى موسى عيسى الضرير الفقيه، فى سنه سبع و تسعين و مائتين. و شخص إلى عمله لأربع عشره ليله خلت من شهر ربيع الآخر.

ثم صرف محمد بن عيسى عن قضاء حلب و قنسرين، فى سنه ثلاثمائه بأبى حفيص عمر بن الحسن بن نصر الحلبى القاضى. و كانت داره بسوق السرّاجين. و عزل أبو حفيص عن القضاء فى حلب سنه اثنتين و ثلاثمائه. و وليها أبو عبد اللّه محمد بن عبده بن حرب.

و توفى عمر بن الحسن القاضى سنه سبع و ثلاثمائه؛ و كان محمد بن عبده بن حرب قاضيا بها سنه خمس و ثلاثمائه.

ثم تولى قضاء حلب و حمص ابراهيم بن جعفر بن جابر أبو اسحاق الفقيه، فى سنه ست و ثلاثمائه. و ولى الخراج من قبل المكتفى بحلب الحسن بن الحسن بن رجاء بن أبى الضحّاك. و توفى بحلب فى جمادى الأولى سنه إحدى و ثلاثمائه فجاءه.

و ولى الخراج بعده على بن أحمد بن بسطام و الانفاق عبد اللّه بن محمد بن سهل. ثم توفى سنه اثنتين و ثلاثمائه؛ و تولى مكانه محمد بن الحسن بن على الناظرى.

و كان أبو العباس بن كيغلغ أديبا؛ شاعرا، جوادا، و هو الذى مدحه المتنبى بقوله:

كم قتيل كما قتلت شهيد(١)

و من شعر الأمير أحمد بن كيغلغ قوله:

قلت له، و الجفون قرحى:قد أقرح الدمع مايليها

ما لى فى لوعتى شبيه قال: و أبصرت لى شبيها

ثم ولّى مؤنس المظفر حلب أبا قابوس محمود بن حبك الخراسانى؛ و كان جبارا، قاسيا، منحرفا عن أهل البيت. و قيل: هو محمود بن حمل، فدام واليا بها إلى سنه اثنتى عشره و ثلاثمائه.

و كان مؤنس المظفر بالشام، فاستدعى إلى بغداد لقتال القرمطى، فسار

---

١- ديوان المتنبى- ط. بيروت ١٩٦٩ ص ٧١.

إليها؛ و ولى حلب وصيف البكتمرى الخادم سنه اثنتى عشره و ثلاثمائه. ثم عزله عنها سنه ست عشره و ثلاثمائه.

و وليها فى هذه السنه هلال بن بدر أبو الفتح، غلام المعتضد؛ و كان أمير دمشق قبل ذلك؛ ثم عزل عن حلب؛ و ولى قطربّل(١) و سامرّا فى سنه سبع عشره، فوليها فى هذه السنه وصيف البكتمرى ثانيه.

و مات بحلب على ولايته يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذى الحجه من سنه سبع عشره و ثلاثمائه.

و كان كاتبه عبد اللّه والد أبى العباس أحمد بن عبد اللّه الشامر المعروف بابن كاتب(٢) البكتمرى، فوليها الأمير أحمد بن كيغلغ ثانيه إلى ثمانى عشره و ثلاثمائه.

ثم ولّى مؤنس المظفر غلامه طريف بن عبد اللّه السبكرىّ الخادم، فى سنه تسع عشره و ثلاثمائه، و كان ظريفا شهما شجاعا، و حاصر بنى الفصيص فى حصونهم باللاذقيه و غيرها، فحاربوه حربا شديدا حتى نفد جميع ما كان عندهم من القوت و الماء، فنزلوا على الأمان فوفّى لهم، و أكرمهم؛ و دخلوا معه حلب مكرمين معظمين، فأضيفت إليه حمص مع حلب.

---

١- قطربل: اسم قريه بين بغداد و عكبرا. معجم البلدان.

٢- لعله أبو الفتح البكتمرى الذى ترجم له الثعالبى فى يتيمه الدهر- ط. القاهره ١٩٥٦ ج ١ ص ١٢٠- ١٢٢.

ثم إن القاهر(۱) قبض على مولاه مؤنس المظفر، و تولى طريف قبضه، و أحضره إلى القاهر فى سنه إحدى و عشرين و ثلاثمائه، فرأى له ذلك.

و ولى القاهر بشرى الخادم دمشق و حلب؛ و سار إلى حلب ثم إلى حمص، فكسره ابن طغج و أسره، و خنقه. و وصل أبو العباس بن كيغلغ إلى حلب فاتفق مع محمد بن طغج و حالفه.

و ولى الخلافه الراضى بعد القاهر(۲). و كان الراضى قد خاف على بدر الخرشنى من الحجريه أن يفتكوا به؛ فقلده حلب و أعمالها؛ و هى بيد طريف سنه أربع و عشرين؛ و أمره بالمسير من يومه. فسار و بلغ طريف، فأنفذ صاحبا له إلى ابن مقله؛ و بذل له عشرين ألف دينار ليجدد له العهد، و أن لا يصرف من حلب. و وصل الخرشنى فدافعه طريف، رجاء أن يقضى ابن مقله و طره، فزحف بدر الخرشنى، و التقى طريف فى أرض حلب، فانهزم طريف من بين يديه.

و تسلم بدر حلب، و أقام بها مده يسيره، ثم كوتب من الحضره بالانصراف فرجع إلى الحضره، و قلد طريف حلب مره ثالثه؛ فقلد طريف السبكرى من جهته حلب و العواصم فأقام بها إلى سنه أربع و عشرين و ثلاثمائه.

و كان قاضى حلب عبيد اللّه بن عبد الرحمن ابن أخى الإمام.

---

۱- حكم القاهر من سنه ۳۲۰ ه/ ۹۳۲ م إلى ۳۲۲ ه/ ۹۳۴ م.

۲- حكم الخليفه الراضى من سنه ۳۲۲ ه/ ۹۳۴ م إلى ۳۲۹ ه/ ۹۴۰ م.

ثم ولى حلب أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابى؛ و مدحه أبو بكر الصنوبرى؛ و كان بها نائبا عن أبى بكر الإخشيذ محمد بن طغج بن جفّ- فى غالب ظنى- فان الأخشيذ استولى على الشام إلى سنه ثمان و عشرين و ثلاثمائه.

و فى ولايه أبى العباس الكلابى، وردت بنو كلاب إلى الشام من أرض نجد، و أغارت على معره النعمان، فخرج إليهم والى المعره معاذ بن سعيد بجنده، و تبعهم إلى البراغيثى، فعطفوا عليه، و أسروه و أكثر جنده. و أقام فيهم مده يعذبونه، فخرج إليهم أبو العباس أحمد بن سعيد الكلابى والى حلب، فخلصه منهم. و كان ورودهم فى سنه خمس و عشرين و ثلاثمائه(١).

ثم إن الراضى قدم الموصل، و كان أبو بكر محمد بن رائق ببغداد(٢)، و بينه و بين بجكم وحشه؛ فأنفذ الراضى أبا الحسين عمر بن محمد القاضى إلى أبى بكر محمد بن رائق يخيّره فى أحد البلدين: واسط، أو حلب و أعمالها؛ فاختار حلب؛ و أراد بذلك البعد عن بجكم، فأجابه الراضى إلى ذلك، و خلع عليه أبو جعفر و أبو الفضل ابنا الراضى و عقدا له.

و جعل بجكم يحثّ الراضى على الوصول إلى بغداد، و يتأسف على خروج ابن رائق منها ليشفى غيظه؛ فقال له الراضى: «هذا لا يصلح؛ و هذا رجل قد أمنته، و قلدته ناحيه من النواحى، فسمع و أطاع و ما أمكّنك منه».

---

١- لمزيد من التفاصيل انظر ترجمه أحمد بن سعيد الكلابى فى بغيه الطلب ص ٧٦٠- ٧٦١. و جاء فى هذه الترجمه أن معاذ بن سعيد لاحق كلاب« إلى مكان يعرف بمرج البراغيث».

٢- لابن رائق ترجمه جيده فى المقفى للمقريزى ج ٥ ص ٦٥٤- ٦٥٩.

فخرج أبو بكر بن رائق فی شـهر ربیع الآـخر من سـنه سـبع و عشـرین و ثلاثمـائه. و قیـل: دخـل حلب فی سـنه ثمان و عشـرین و ثلاثمائه. و سار عنها إلی قتال الأخشیذ محمد بن طغج بن جف(۱) الفرغانی؛ و ولی فی حلب نیابه عنه خاصه محمد بن یزداذ.

و جرت بین أبی بکر بن رائق و الإخشیذ وقعه انهزم فیها الإخشیذ؛ و سلّم دمشق إلی ابن رائق، و اقتصر علی الرمله و مصر.

ثم وقع بینهمـا وقعه أخری فی الجفار(۲)، أسـر فیها أبو الفتـح مزاحم بن محمد بن رائق، فرجع فی عده یسـیره حتی یخلّص ابنه، فقتـل أبو نصـر بن طغـج؛ فکفنه ابن رائق؛ و جعله فی تـابوت؛ و أنفـذه إلی أخیه الإخشـیذ مع ابنه مزاحم؛ و قـال: «مـا أردت قتل أخیک؛ و هذا ولدی قد أنفذته إلیک لتقیده به». فخلع الإخشیذ علیه؛ و أعطاه مالا کثیرا، ورده. و ذلک فی سنه تسع و عشرین و ثلاثمائه.

ثم أن أبـا بکر محمـد بن طغـج الإخشـیذ سـیّر کافورا الخادم من مصـر، و معه عسـکر و فی مقـدمته أبو المظفر مساور بن محمد الرومی، أحد قواد الإخشیذ؛ فوصل إلی حلب؛ فالتقی کافور و محمد بن یزداذ الوالی بحلب

---

۱- لابن طغج ترجمه واسعه فی کتاب المقفی للمقریزی ج ۵ ص ۷۴۵- ۷۵۲.

۲- فی روایه المقریزی أن المعرکه وقعت بـاللجون، و اللجون عنـد یـاقوت بلـد بالأـردن علی عشـرین میلا من طبریه، و جاء عند یاقوت أیضا: الجفار: أرض من مسیره سبعه أیام بین فلسطین و مصر.

من قبل ابن رائق، فكسره كافور، و أسره، و أخذ منه حلب؛ و ولّى بها مساور بن محمد الرومى؛ و عاد كافور إلى مصر.

و هذا أبو المظفر مساور بن محمد الرّومى مدحه المتنبى بقوله:

أمساور أم قرن شمس هذاأم ليث غاب يقدم الأستاذا(۱)

يريد بالأستاذ: كافورا الخادم. و ذكر فيها كسره ابن يزداذ فقال:

هبك ابن يزداذ حطمت و صحبه أترى الورى أضحوا بنى يزداذا

و مساور هو صاحب الدار المعروفه بدار ابن الرومى بالزّجاجين بحلب، و تعرف أيضا بدار ابن مستفاد، و هى شرقى المدرسه العماديه التى جددها سليمان بن عبد الجبار بن أرتق بحلب، و هى المنسوبه إلى بنى العجمى(۲).

و أظن أن قاضى حلب فى هذا التاريخ كان أبا طاهر محمد بن محمد بن سفيان الدباس أو قبل هذا التاريخ.

ثم اتفق الإخشيذ و محمد بن رائق على أن يخلى له الإخشيذ حمص و حلب و يحمل إليه مالا؛ و زوج الإخشيذ ابنته بمزاحم بن أبى بكر بن رائق.

و قتل ناصر الدوله أبو محمد الحسن بن عبد اللّه بن حمدان أبا بكر بن رائق، فى رجب سنه ثلاثين و ثلاثمائه بين يدى المتقى يوم الاثنين لتسع بقين منه.

---

۱- ديوان المتنبى ص ۱۱۳.

۲- انظر الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ۲۶۳.

و كان ابن رائق شهما مقداما سخيا جوادا، لكنه كان عظيم الكبر، مستبدا برأيه، منزوعا من التوفيق و العصمه و التسديد.

و كان أحمد بن على بن مقاتل بحلب من جهه أبى بكر بن رائق و معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق، فقلّد ناصر الدوله على بن خلف ديار مضر و الشام؛ و أنفذ معه عسكرا، و كاتب يانس المؤنسى أن يعاضده.

و كان يانس يلى ديار مضر من قبل ناصر الدوله فسار إلى «جسر منبج» و سار أحمد بن مقاتل و مزاحم إلى منبج، فالتقوا على شاطى ء الفرات.

و سيّر يانس كاتبه و نذيرا غلامه برساله إلى ابن مقاتل، فاعتقلهما و وقعت الحرب بين الفئتين؛ و لحق يانس جراح كادت تتلفه فعدل به إلى «قلعه نجم»(١) ليشده. و نظر نذير غلامه و هو معتقل فى عسكر ابن مقاتل، على بغل إلى شاكرى(٢) ليانس معه جنيبه من خيله، فأخذ سيف الشاكرىّ، و ركب الجنيبه؛ و صار إلى ابن مقاتل فقتله و انهزم عسكره.

و أفاق يانس المؤنسى، فسار و على بن خلف متوجهين إلى حلب و تلاوم قواد ابن مقاتل على هزيمتهم؛ فعادوا إلى القتال فى وادى بطنان، فانهزموا ثانيه؛ و ملك على بن خلف و يانس المؤنسى حلب فى سنه ثلاثين و ثلاثمائه.

ثم إنّ على بن خلف سار منها إلى الإخشيذ محمد بن طغج، فاستوزره و علا أمره معه، إلى أن رآه يوما، و قد ركب فى أكثر الجيش بالمطارد و الزىّ؛

---

١- قلعه حصينه قرب جسر منبج. معجم البلدان.

٢- الشاكرى: معرب جاكر، و هو الأجير أو التابع.

و محمـد جالس فی متنزه له، فأمر بالقبض علیه؛ فلم یزل محبوسا إلی أن مات محمد بن طغج. فأطلق و بقی یانس المؤنسـی والیا علی حلب فی سنه إحدی و ثلاثین و ثلاثمائه.

و کان یانس هذا مولی مؤنس المظفر الخادم، و تولی الموصل فی أیام القاهر، و کان یلی دیار مضر من قبل ناصر الدوله إلی أن کان من أمره ما ذکرناه. فاستأمن إلی الأخشیذ، و دعا له علی المنابر بعمله.

و اتفق ناصر الدوله بن حمدان و توزون، فی سنه اثنتین و ثلاثین و ثلاثمائه، علی أن تکون الأعمال من مدینه الموصل إلی آخر أعمال الشام لناصـر الدوله؛ و أعمال السن(۱) إلی البصـره لتوزون و مـا یفتحه من وراء ذلـک؛ و أن لا یعرض أحـد منهما لعمل الآخر.

فولی ناصـر الدوله حلب و دیار مضـر و العواصم أبا بکر محمد بن علی بن مقاتل صاحب ابن رائق فی شـهر ربیع الأول من سـنه اثنتین [و ثلاثین] و ثلاثمائه، و وافق ناصر الدوله أبا محمد بن حمدان علی أن یؤدی إلیه إذا دخل حلب خمسین ألف دینار.

فتوجّه أبو بکر من الموصل و معه جماعه من القواد، و لم یصل إلیها؛ فوقع بین الأمیر سیف الدوله بن حمدان و بین ابن عمه أبی عبد اللّه الحسین بن سعید بن حمدان کلام بالموصل و أراد القبض علیه.

---

۱- السن: مدینه علی دجله فوق تکریت. معجم البلدان.

فقلـد ناصـر الدوله أبا عبد اللّه الحسـين بن سـعيد بن حمدان، أخا الأمير أبى فراس، حلب و أعمالها، و ديار مضـر، و العواصم، و كلّمـا يفتحه من الشـام، فتوجه فى أول شـهر رجب سـنه اثنتين و ثلاـثين و ثلاثمـائه، و دخـل الرقه بالسـيف لأن أهلها حاربوه مع أميرها محمد بن حبيب البلزمى، فأسره و سلمه، و أحرق قطعه من البلد و قبض على رؤساء أهله، و صادرهم.

و توجه إلى حلب و معه أبو بكر محمـد بن على بن مقاتـل، و بحلب يانس المؤنسـى و أحمـد بن العباس الكلابى، فهربا من بين يديه من حلب، و تبعهما إلى معره النعمان ثم إلى حمص.

و هرب أمير حمص اسـحاق بن كيغلغ بين يديه، و ملك هذه البلاد و دانت له العرب، ثم عاد إلى حلب، و أقام بها إلى أن وافى الأخشيذ أبو بكر محمد بن طغج بن جفّ الفرغانى.

و إنما لقب بالأخشيذ لأن ملك فرغانه يتسمى بذلك؛ و كان أبوه من أهل فرغانه.

و قدمها الإخشـيذى فى ذى الحجه من سـنه اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائه. و لما دنا الإخشـيذ من حلب انصـرف الحسين بن حمدان عنها لضعفه عن محاربته إلى الرقه.

و كـان ابن مقاتـل مع ابن حمـدان بحلب؛ فلما أحس بقرب الأخشـيذ منها و تعويل ابن حمـدان على الانصـراف اسـتتر فى مناره المسجد الجامع إلى أن انصرف ابن حمدان.

و دخل الاخشيذ فظهر له ابن مقاتل، و استأمن إليه، و قلده الاخشيذ أعمال الخراج و الضياع بمصر.

و أما الحسين بن سعيد، فإنّه لما وصل إلى الرقه وجد المتقى للّه بها هاربا من توزون التركى و قد تغلب على بغداد، و سيف الدوله أبو الحسن على بن عبد اللّه بن حمدان مع المتقى بالرقه؛ و قد فارق أخاه ناصر الدوله لكلام جرى بينهما، فلم يأذن المتقى لأبى عبد اللّه الحسين فى دخول الرقه، و أغلقت أبوابها دونه؛ و وقعت المباينه بينه و بين ابن عمه سيف الدوله؛ و سفر بينهما فى الصلح، فتمّ، و مضى إلى حران و منها إلى الموصل.

و قدم الاخشيذ عند حصوله بحلب مقدمته إلى بالس(۱)، و سار بعدها بعد أن سيّر المتقى أبا الحسن أحمد بن عبد اللّه بن اسحاق الخرقى يسأل الإخشيذ أن يسير إليه ليجتمع معه بالرقه، و يجدد العهد به، و يستعين به على نصرته، و يقتبس من رأيه.

فلما وصل أبو الحسن إلى حلب تلقاه الإخشيذ، و أكرمه؛ و أظهر السرور و الثقه بقرب المتقى، و أنفذ من وقته مالا مع أحمد بن سعيد الكلابى إلى المتقى، و سار خلفه حتى نزل و بينه و بين المتقى الفرات، فراسله المتقى بالخرقى، و بوزيره أبى الحسين بن مقله؛ فعبر إليه يوم الخميس لثلاث عشره ليله خلت من المحرم سنه ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائه.

---

۱- هى مسكنه الآن فى سوريه على الطريق الذى يصل حلب بالرقه.

و وقف بين يدى المتقى للّه؛ ثم ركب المتقى للّه فمشى بين يديه؛ و أمره أن يركب فلم يفعل؛ و حمل إليه هدايا و مالا كثيرا، و حمل إلى الوزير أبى الحسين بن مقله عشرين ألف دينار؛ و لم يدع أحدا من أصحاب المتقى و حواشيه و كتابه إلا برّه و وصله.

و اجتهد بالمتقى للّه أن يسير معه إلى الشام و مصر؛ فأبى. فأشار عليه بالمقام مكانه، و ضمن له أن يمدّه بالأموال فلم يفعل(۱)، إلى أن كاتبه توزون، و خدعه، و قبض عليه و بايع المستكفى.

و كتب المتقى عهدا للإخشيذ بالشامات و مصر على أن الولايه له و لأبى القاسم أنوجور ابنه إلى ثلاثين سنه.

و كتب الإخشيذ فى هذه السفره إلى عبده كافور الخادم إلى مصر و قال له: «و مما يجب أن تقف- عليه- أطال اللّه بقاءك- أنّى لقيت أمير المؤمنين بشاطى ء الفرات فأكرمنى، و حبانى(۲)، و قال: كيف أنت يا أبا بكر أعزّك اللّه»، فرحا بأنّه كناه، و الخليفه لا يكنى أحدا.

---

۱- فى ترجمه الاخشيذ فى المقفى ج ۵ ص ۷۵۰:« و اجتهد المتقى أن يسير معه إلى مصر، فأشار عليه بالمقام مكانه و لا يرجع إلى بغداد، و أشار على ابن مقله أن يسير معه إلى مصر ليحكمه فى جميع البلاد فلم يجبه، فخوفه من طوزون فلم يوافقه».

۲- كذا بالأصل و يرجع أنها تصحيف:« و كنانى» فقد جاء فى ترجمه الاخشيذ فى المقفى ج ۵ ص ۷۵۰، أن الاخشيذ التقى المتقى بالرقه« فلما قدم عليه بالرقه وقف بين يديه و مشى عند ركوبه، فأمره المتقى بالركوب فلم يفعل، فألح عليه المتقى، و أكرمه و كناه و كنى ابنه و جعله خليفه له»، يضاف إلى هذا أن سياق الخبر يؤكد التصحيف.

## [عصر الدوله الحمدانيه]

### اشاره

[عصر الدوله الحمدانيه][(١)]

و عاد الإخشيذ من الرقه إلى حلب و سار إلى مصر. و ولى بحلب من قبله أبا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابى، و ولى أخاه أنطاكيه. فحسد أبا الفتح إخوته الكلابيون، و راسلوا سيف الدوله بن حمدان ليسلموا إليه حلب، و قد كان طلب سيف الدوله من أخيه ناصر الدوله ولايه، فقال له ناصر الدوله: «الشام أمامك؛ و ما فيه أحد يمنعك منه».

و عرف سيف الدوله اختلاف الكلابيين، و ضعف أبى الفتح عن مقاومته، فسار إلى حلب؛ فلما وصل إلى الفرات خرج إخوه أبى الفتح عثمان بن سعيد بأجمعهم للقاء سيف الدوله؛ فرأى أبو الفتح أنه مغلوب إن جلس عنهم، و علم حسدهم[(٢)] له، فخرج معهم.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- أفرد ابن العديم فى آخر الجزء الأول من بغيه الطلب بابا للحديث عن قبائل كلاب التى قطنت ديار حلب، ولدى بحثى فى تاريخ الدوله المرداسيه أدركت أن كلاب عانت دوما من التمزق و الصراعات الداخليه.

فلما قطع سیف الدوله الفرات، أکرم أبا الفتح دون إخوته، و أرکبه معه فی العماریه(۱)؛ و جعل سیف الدوله یسأله عن کل قریه یجتاز بها:

ما اسمها؟ فیقول أبو الفتح: هذه الفلانیه! حتی عبروا بقریه یقال لها «ابرم» و هی قریه قریبه من الفایا(۲). فقال له سیف الدوله: «ما اسم هذه القریه؟» قال أبو الفتح: «أبرم». فظن سیف الدوله أنه قد أکرهه بالسؤال. فقال له أبرم من الإبرام. فسکت سیف الدوله عن سؤاله. فلما عبروا بقری کثیره، و لم یسأله عنها علم أبو الفتح بسکوت سیف الدوله. فقال له أبو الفتح: «سیدی یا سیف الدوله، و حقّ رأسک، إنّ القریه التی عبرنا علیها اسمها ابرم، و اسأل عنها غیری». فعجب سیف الدوله من ذکائه. فلما وصل حلب أجلسه معه علی السریر.

و دخل سیف الدوله حلب، یوم الاثنین لثمان خلون من شهر ربیع الأول، من سنه ثلاث و ثلاثین و ثلاثمائه.

و کان القاضی بها أحمد بن محمد بن ماثل، فعزله و ولّی أبا حصین علی بن عبد الملک بن بدر بن الهیثم الرقی؛ و کان ظالما، فکان إذا مات إنسان أخذ ترکته لسیف الدوله. و قال: «کلّ من هلک فلسیف الدوله ما ترک، و علی أبی حصین الدّرک»(۳).

---

۱- العماریه هودج یجلس فیه.

۲- الفایا: کوره بین منبج و حلب کبیره، و هی من أعمال منبج فی جهه قبلتها قرب وادی بطنان، و لها قری عامره، فیها بساتین و میاه جاریه. معجم البلدان.

۳- بهامش الأصل:« هذه حکایه عجیبه من قاض ظالم یقول: کل من هلک فلسیف الدوله- ما ترک، و علی أبی حصین الدرک. بئس ما قال هذا القاضی من المقاله القبیحه، و بئس ما فعله من الفضیحه».

ثم إنّ الإخشيذ سيّر عسكرا إلى حلب مع كافور و يانس المؤنسى(١)؛ و كان الأمير سيف الدوله غازيا بأرض الروم قد هتك بلد الصفصاف(٢) و عربسوس(٣) فغنم؛ و رجع فسار لطيته إلى الإخشيذيه، فلقيهم بالرّستن.

فحمل سيف الدوله على كافور، فانهزم و ازدحم أصحابه فى جسر الرّستن، فوقع فى النهر منهم جماعه.

و رفع سيف الدوله السيف، فأمر غلمانه أن لا يقتلوا أحدا منهم.

و قال: «الدم لى و المال لكم». فأسر منهم نحو أربعه آلاف من الأمراء و غيرهم، و احتوى على جميع سواده.

و مضى كافور هاربا إلى حمص، و سار منها إلى دمشق؛ و كتب إلى الإخشيذ يعلمه بهزيمته؛ و أطلق سيف الدوله الأسارى جميعهم؛ فمضوا و شكروا فعله.

و رحل سيف الدوله بعد هزيمتهم إلى دمشق، و دخلها فى شهر رمضان

---

١- فى المقفى ج ٥ ص ٧٥١:« فبعث- الاخشيذ- فاتك و كافور بالجيوش إلى الشام، ثم خرج يوم السبت لخمس خلون من شعبان سنه ثلاث و ثلاثين يريد محاربه سيف الدوله».

٢- الصفصاف: كوره من ثغور المصيصه. معجم البلدان، و من أجل المصيصه انظر بغيه الطلب ج ١ ص ١٥٣- ١٦٥.

٣- هى مدينه أفسوس فى تركيه، و كان من الرائج أنها مدينه أهل الكهف. انظر ما جاء حولها فى بغيه الطلب ج ١ ص ٣٣٠- ٣٣٤.

سنه ثلاث و ثلاثین، و أقام بها. و كاتبه الإخشيذ یلتمس منه الموادعه، و الاقتصار علی ما فی یده؛ فلم یفعل.

و خرج سیف الدوله إلی الأعراب؛ فلما عاد منعه أهل دمشق من دخولها. فبلغ الإخشيذ ذلك فسار من الرمله؛ و توجه یطلب سیف الدوله؛ فلما وصل طبریه عاد سیف الدوله إلی حلب بغیر حرب، لأن أكثر أصحابه و عسكره استأمنوا إلی الإخشيذ. فاتبعه الإخشيذ إلی أن نزل معره النعمان فی جیش عظیم؛ فجمع سیف الدوله، و لقیه بأرض قنسرین، فی شوال من سنه ثلاث و ثلاثین و ثلاثمائه.

و كان الإخشيذ قد جعل مطارده و بوقاته فی المقدمه، و انتقی من عسكره نحو عشره آلاف؛ و سمّاهم الصابریه فوقف بهم فی الساقه.

فحمل سیف الدوله علی مقدمه الإخشيذ فهزمها، و قصد قبته و خیمه؛ و هو یظنه فی المقدمه؛ فحمل الإخشيذ و معه الصابریه فاستخلص سواده. و لم یقتل من العسكرین غیر معاذ بن سعید والی معره النعمان، من قبل الإخشيذ؛ فإنه حمل علی سیف الدوله لیأسره، فضربه سیف الدوله بمستوفی(۱) كان معه فقتله.

و هرب سیف الدوله فلم یتبعه أحد من عسكر الإخشيذ و سار علی حاله إلی الجزیره فدخل الرقه. و قیل: إنه أراد دخول حلب فمنعه أهلها.

---

۱- المستوفی: عمود حدید، طوله ذراعین، مربع الشكل، له مقابض مدوره.

و دخل الإخشيذ حلب، و أفسد أصحابه فى جميع النواحى، و قطعت الأشجار التى كانت فى ظاهر حلب و كانت عظيمه جدا. و قيل: إنها كانت من أكثر المدن شجرا. و أشعار الصنوبرى تدل على ذلك.

و نزل عسكر الاخشيذ على الناس بحلب؛ و بالغوا فى أذى الناس لميلهم إلى سيف الدوله.

و عاد الإخشيذ إلى دمشق بعد أن ترددت الرسل بينه و بين سيف الدوله، و استقر الأمر على أن أفرج الإخشيذ له عن حلب و حمص و أنطاكيه.

و قرّر عن دمشق مالا يحمله إليه فى كل سنه.

و تزوج سيف الدوله بابنه أخى الإخشيذ عبيد اللّه بن طغج(۱)؛ و انتظم هذا الأمر على يد الحسن بن طاهر العلوى(۲) و سفارته، فى شهر ربيع الأول، سنه أربع و ثلاثين و ثلاثمائه.

---

۱- فى المقفى ج ۵ ص ۷۵۱:« و عاد الاخشيذ إلى دمشق، فسار سيف الدوله إلى حلب و ملكها، و بعث إلى الاخشيذ و هو فى دمشق، فاصطلحا على مال يحمله للاخشيذ فى كل سنه، و زوجه الاخشيذ بابنه أخيه».

۲- ترجم ابن العديم للحسن بن طاهر فى بغيه الطلب ج ۵ ص ۲۴۰۸- ۲۴۱۳ و نقل عن ابن زولاق أنه بعدما هزم الاخشيذ سيف الدوله عاد:« الأمير سيف الدوله عسكر مواجها للاخشيذ، فاختار الاخشيذ المسالمه، و راسله بالحسن بن طاهر على مال يحمله إليه، و أن يكون لسيف الدوله من خرشنه إلى حمص، و زوجه ابنته فاطمه، و كان الولى الحسن بن طاهر بتوكيل الاخشيذ، فسر سيف الدوله بذلك، و عقد النكاح، و نثر سيف الدوله فى مضربه على الحاضرين ثلاثين ألف دينار، و نثر خارج المضرب أربعمائه ألف درهم. و حمل إلى الحسن بن طاهر مالا كثيرا و خلعا و حملانا».

فسار الإخشيذ إلى دمشق و عاد سيف الدوله إلى حلب؛ و توفى الإخشيذ بدمشق فى ذى الحجه، من سنه أربع و ثلاثين، و قيل: فى المحرم من سنه خمس و ثلاثين و ثلاثمائه.

و ملك بعده ابنه أبو القاسم أنوجور؛ و استولى على التدبير أبو المسلك كافور الخادم.

و كان سيف الدوله، فيما ذكر، قد عمل على تخليه الشام. فلما مات الإخشيذ سار كافور بعساكر مولاه إلى مصر من دمشق، و كان قد استولى على مصر رجل مغربى(۱)، فحاربه كافور، و ظفر به.

و خلت دمشق من العساكر، فطمع فيها سيف الدوله، و سار إليها فملكها؛ و استأمن إليه يانس المؤنسى فى قطعه من الجيش.

و أقام سيف الدوله بدمشق، وجبى خراجها؛ ثم أتته والدته «نعم» أمّ سيف الدوله إلى دمشق؛ و سار سيف الدوله إلى طبريه.

---

۱- ترجم المقريزى فى المقفى ج ۲ ص ۳۱۳- ۳۱۹ لأونوجور، أنه عندما مات الإخشيذ بدمشق كان أونوجور بمصر، و قد لحق به كافور فيما بعد، فخلت الشام من جيوش الاخشيذ فاستغل الفرصه هذه سيف الدوله فاستولى على دمشق و سار إلى طبريه، فما كان من أونوجور إلا أن« ندب العساكر إلى الشام، و عليها أبو المظفر- عم أونوجور- و كافور فسارا فى جمع عظيم و معهما الوزير أبو على الحسين بن محمد بن على الماذرائى إلى الشام، و قاتلا ابن حمدان، و دخلا دمشق» و فى أثناء غياب الجيش بالشام ورد الخبر بخلاف غلبون بن سعيد المغربى متولى اخميم و خروجه عن الطاعه، فندب لقتاله شادن الصقلبى فانهزم منه ... فأخرج إليه عسكر آخر، ثم خرج أونوجور فلقيه فانهزم منه، و ملك غلبون دار الاماره ... ثم عاد أونوجور فانهزم غلبون، و لحق بالصعيد، فخرجت إليه العساكر، و أحضر رأسه».

و كان سيف الدوله فى بعض الأيام يساير الشريف العقيقى بدمشق، فى الغوطه بظاهر البلد، فقال سيف الدوله للعقيقى: «ما تصلح هـذه الغوطه تكون إلاـ لرجل واحـد»، فقال له الشـريف العقيقى: «هى لأقوام كثير». فقال له سـيف الـدوله: «لئن أخـذتها القوانين ليتبرأن أهلها منها». فأسرّها الشريف فى نفسه، و أعلم أهل دمشق بذلك.

و جعل سـيف الدوله يطالب أهل دمشق بودائع الإخشـيذ و أسبابه؛ فكاتبوا كافورا فخرج فى العساكر المصريه، و معه أنوجور بن الإخشيذ.

فخرج سـيف الدوله إلى اللّجون، و أقام أياما قريبا من عسـكر الإخشـيذ ب «أكساك»(۱)، فتفرق عسـكر سيف الدوله فى الضياع لطلـب العلـوفه، فعلـم بـه الإخشـيذيه، فزحفـوا إليه. و ركـب سـيف الـدوله يتشـرف، فرآهم زاحفين فى تعبئه، فعـاد إلى عسـكره فأخرجهم، و نشبت الحرب فقتل من أصحابه خلق و أسر كذلك.

و انهزم سـيف الـدوله إلى دمشق فأخـذ والـدته، و من كان بها من أهله و أسـبابه؛ و سار من حيث لم يعلم أهل دمشق بالوقعه؛ و كان ذلك فى جمادى الآخره من سنه خمس و ثلاثين.

و جاء سيف الدوله إلى حمص؛ و جمع جمعا لم يجتمع له قط مثله، من بنى

---

۱- تبعد أكساك عن الناصـره سته كم فى اتجاه الجنوب الشرقى. و يجاورها من الشرق جبل الطور. معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب.

عقيل، و بنى نمير، و بنى كلب، و بنى كلاب؛ و خرج من حمص. و خرجت عساكر ابن طغج من دمشق، فالتقوا «بمرج عذراء» و كـانت الوقعه أولاـ لسيف الـدوله ثم آخرها عليه، فانهزم، و ملكوا سواده؛ و تقطع أصـحابه فى ذلك البلـد، فهلكوا؛ و تبعوه إلى حلب، فعبر إلى الرّقه، و انحاز يانس المؤنسى من عساكر سيف الدوله إلى أنطاكيه(۱).

و وصل ابن الإخشيذ حلب، فى ذى الحجه من سنه خمس و ثلاثين و ثلاثمائه. فأقام بها و سيف الدوله فى الرّقه فراسل أنوجور يـانس المؤنسى و هو بأنطاكيه، و ضـمن هو و كافور ليانس أن يجعلاه بحلب فى مقابله سيف الـدوله، و ضـمن لهما يانس بأن يقوم فى وجه سيف الدوله بحلب، و أن يعطيهم ولده رهينه على ذلك فأجابوه.

و انصرف كافور و أنوجور بالعسكر عن حلب إلى القبله، و أتاها يانس فتسلمها. و قيل: إنّ الإخشيذيه عادوا.

و أقام سيف الـدوله بحلب، فخالف عليه يانس و الساجيه، و أرادوا القبض عليه، فهرب و كتابه، و أصـحابه، إلى الرّقه. و ملك يانس حلب.

و لم يقم يـانس بحلب إلا شـهرا، حتى أسرى إليه سيف الـدوله إلى حلب، فى شـهر ربيع الآخر، سنه ست و ثلاثين و ثلاثمائه؛ فكبسه، فانهزم يانس إلى سرمين(۲) يريد الإخشيذ. فأنفذ سيف الدوله فى طلبه سريه مع

---

۱- انظر المقفى للمقريزى ج ۲ ص ۳۱۶.

۲- سرمين الآن قريه تتبع ناحيه قرى مركز و منطقه أدلب، تبعـد عن ادلب ۹ كم إلى الجنوب الشرقى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

ابراهیم بن البارد العقیلی، فأدرکته عند ذاذیخ(۱)؛ فانهزم، و خلّی عیاله، و سواده، و أولاده. و انهزم إلی أخیه بمیّافارقین.

و کان ابن البارد قد وصل إلی سیف الدوله، فی سنه خمس و ثلاثین؛ و کان فی خدمه أخیه ناصر الدوله، ففارقه، و قدم علی سیف الدوله.

ثم إنّ الرّسل ترددت بین سیف الدوله و ابن الإخشید و تجدّد الصلح بینهما علی القاعده التی کانت بینه و بین أبیه، دون المال المحمول عن دمشق.

و عمر سیف الدوله داره بالحلبه(۲)، و قلّد أبا فراس ابن عمه منبج، و ما حولها من القلاع. و استقرت ولایه سیف الدوله لحلب من سنه ست و ثلاثین و ثلاثمائه. و هذه هی الولایه الثالثه.

و جری بینه و بین الروم وقائع أکثرها له و بعضها علیه.

فمنها: أنه فتح حصن برزویه(۳) فی سنه سبع و ثلاثین و ثلاثمائه من ابن اخت أبی الحجر الکردی(۴). و وقع بینه و بین الروم وقعه فکانت الغلبه للروم

---

۱- ذکر یاقوت قریه ذا ذیخ و عدها من قری سرمین.

۲- من المعتقد أن موقع الحلبه، و کان خارج حلب، حیث الآن مرکز انطلاق السیارات إلی المحافظات.

۳- وصف ابن العدیم حصن برزویه و ذکر أنه کان یعرف فی أیامه باسم حصن برزیه. بغیه الطلب ج ۱ ص ۳۲۸- ۳۲۹، و برزیه الآن قلعه فی السفوح الشرقیه لجبال اللاذقیه، حملت قدیما اسم لیزیاس، علی بعد ۳ کم شرق مضیق سلمی، مساحتها ثلاثه هکتارات، یحیط بها سور محصن بعشره أبراج مربعه أو مستطیله، و ظلت مقطونه حتی القرن الرابع عشر م. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

۴- فی تاریخ یحیی بن سعید الأنطاکی- ط. طرابلس ۱۹۹۰ ص ۷۷،« و فیه یومئذ أبو تغلب الکردی».

و ملكوا مرعش و نهبوا طرسوس. و سار إلى ميّافارقين، و استخلف على حلب ابن أخيه محمد بن ناصر الدوله؛ و خرج لاون الدمستق إلى «بوقا»(۱) من عمل أنطاكيه. و خرج إليه محمد(۲) فكسره الدمستق، و قتل من عسكره خلقا، فى سنه ثمان و ثلاثين و ثلاثمائه.

و منها: أنه غزا، سنه تسع و ثلاثين و ثلاثمائه، و معه خلق عظيم، فظفر فيها، و غنم غنيمه كثيره. فلما رجع إلى درب الجوزات(۳)، و فارقه أهل الثغور، فاجتمع الروم فى الدّرب على سيف الدوله، فقتل خلق عظيم من المسلمين؛ و أسر كذلك.

و ما سلم إلا سيف الدوله على ظهر فرسه، و عرفوه فطلبوه، و لزّوه إلى جبل عظيم، و تحته واد، فخاف أن يأسروه إن وقف أو رجع، فضرب فرسه بالمهماز، و قبله الوادى، لكى يقتل نفسه، و لا يأسروه فوقع الفرس قائما(۴).

و خرج سيف الدوله سالما. و سميّت هذه الغزاه غزاه المصيبه(۵)، و أخذ

---

۱- بوقا حصن إلى الشمال من أنطاكيه. معجم البلدان. بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۲۹.

۲- محمد بن ناصر الدوله الحمدانى. تاريخ يحيى بن سعيد ص ۷۸.

۳- حصن الجوزات بينه و بين طرسوس ثمانيه فراسخ و هو بين البذندون و طرسوس، و هو حصن مذكور موصوف بالقوه. بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۱۲- ۳۱۳.

۴- كانت أسس الاستراتيجيه البيزنطيه فى حروب الامبراطوريه مع سيف الدوله هى السماح له بقطع الممرات الصعبه فى الجبال، و التحرش به فى الداخل و اشغاله حتى تتمكن قوات البند من الرجاله من الانتشار بالممرات الجبليه و إقامه كمائن، و فى طريق العوده كانت هذه القوات تعمل على حصر قوات سيف الدوله فى الممرات و ابادتها، هذا و تمركز فى الجبال دوما قوات للانذار البيزنطى استخدمت المرايا العاكسه و النيران و شارات الدخان.

۵- من المرجح أن تاريخ يحيى بن سعيد هو مصدر ابن العديم، انظر ص ۷۸- ۷۹.

له من الآلات، و الأموال، ما لا يحصى حتى أنه ذكر أنه هلك منه من عرض ما كان معه فى صحبته خمسه آلاف ورقه بخط أبى عبيد اللّه بن مقله- رحمه اللّه- و كان منقطعا إلى بنى حمدان، و كان قد بلغ سيف الدوله إلى سمندو(۱) و أحرق صارخه(۲) و خرشنه(۳).

و منها: أنّ سيف الدوله بنى مرعش فى سنه إحدى و أربعين و ثلاثمائه، و أتاه الدمستق بعساكر الروم ليمنعه منها فأوقع به سيف الدوله الوقعه العظيمه المشهوره(۴).

و منها: أنّ سيف الدوله دخل بلد الروم، فى سنه اثنتين و أربعين و ثلاثمائه، و أغار على زبطره(۵) و التقاه قسطنطين بن بردس و الدّمستق على درب موزار(۶) و قتل من الفريقين خلق. ثمّ تم سيف الدوله إلى الفرات، و عبره، و قصد بطن هنزيط(۷)، و دخل سيف الدوله سميساط(۸)، فخرج الدمستق إلى

---

۱- سمندو: بلد فى وسط بلاد الروم فى شمالى طريق مرعش إلى قيصريه. معجم البلدان.

۲- ذكر ياقوت صارخه و أن سيف الدوله غزاها سنه ۳۳۹ ه.

۳- خرشنه بلد قرب ملطيه بين سيواس و قيصريه. معجم البلدان.

۴- أفرد ابن العديم فى بغيه الطلب بابا لذكر مرعش، و ذكر هذه الوقعه التى قال فيها المتنبى: أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلاو أدبر إذ أقبلت يستبعد القربا

۵- زبطره: بلده قريبه من الحدث، بينها و بين الحدث ثمانيه عشر فرسخا. بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۴۷- ۲۴۸.

۶- على مقربه من ملطيه. تاريخ يحيى بن سعيد ص ۸۳. معجم البلدان.

۷- من ثغور الروم، ورد ذكره فى شعرى المتنبى و أبى فراس. معجم البلدان.

۸- مدينه صغيره على الفرات و لها قلعه حصينه. بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۵۸- ۲۵۹.

ناحیه الشام؛ فرجع سیف الدوله، فلحقّه وراء مرعش، فأوقع به، و هزم جیشه، و قتل لاون البطریق فی الحرب، و أسر قسطنطین ولد الدمستق، و حمّله الإبریق إلی بیت الماء؛ و کان أمرد، فخرج فوجده قائما یبکی، و لم یزل عنده حتی مات من عله اعتلها(۱).

و کان الدمستق استتر فی تلک الوقعه فی القناه و دخل فترهب، و لبس المسوح؛ ففی ذلک یقول المتنبی:

فلو کان ینجی من «علیّ» ترهب ترهّبت الأملاک مثنی و موحدا(۲)

و قال أبو العباس أحمد بن محمّد النامی(۳):

لکنّه طلب التّرهّب خیفهممّن له تتقاصر الأعمار

فمکان قائم سیفه عکّازه و مکان ما یتمنطق الزّنّار

---

۱- نقل ابن العدیم فی بغیه الطلب ص ۲۵۳۲ عن« تاریخ أبی اسحق ابراهیم بن حبیب السقطی صاحب کتاب الردیف فی حوادث سنه اثنتین و خمسین و ثلاثمائه فی ذکر من توفی فیها قال: و فیها، أو فی سنه ثلاث و خمسین مات أبو العشائر الحسین بن علی بن الحسین بن حمدان ببلد الروم فی أسره مسموما، و کان السبب فی سمه أن ملک الطاغیه بلغه أن علی بن حمدان فسق بابن قسطنطین، کان فی أسره فأنفذوا من بلد الروم من سمه فهلک، و سمّوا هم أبا العشائر بن حمدان حنقا لما جری من قتلهم ابن قسطنطین». و جاء فی الأعلاق الخطیره لابن شداد- ط. دمشق ۱۹۹۱ ج ۱ ق ۲ ص ۳۱۲ عن ابن أبی طی الحلبی:« أن قسطنطین المأسور کان فی غایه الحسن، فبذل أبوه فیه ثمانمائه ألف دینار، و ثلاثه آلاف أسیر، فاشتط سیف الدوله، فسیر الدمستق إلی عطار کان بحلب، نصرانیا، و أمره أن یسقی ولده سما ففعل فمات، وعدت هذه من غلطات سیف الدوله».

۲- دیوان المتنبی ص ۹۴.

۳- أبو العباس أحمد بن محمد الدارمی، المعروف بالنامی، کان من خواص سیف الدوله، و عدّ بالمرتبه التالیه للمتنبی. یتیمه الدهر ج ۱ ص ۲۴۱- ۲۴۹.

و بنی سیف الدوله الحدث(١)، و قصده الدمستق بردس، فاقتتلا سحابه یومهما. و کان النصر للمسلمین، و ذلک فی سنه ثلاث و أربعین، و أسر صهر الدمستق علی ابنته اعورجرم(٢)، بعد أن سلمها أهلها إلی الدمستق.

و منها: أن سیف الدوله غزا سنه خمس و أربعین بطن هنزیط و نزل شاطی ء أرسناس(٣)، و کبس یانس ابن شمشقیق(۴) علی تل بطریق(۵) فهزمه و فتحها.

و قتل فی هذه الوقعه رومانوس بن البلنطس صهر ابن شمشقیق، و أسر ابن قلموط(۶)، و انثنی سیف الدوله قافلا إلی درب الخیاطین(٧)، فوجد علیه

---

١- و تعرف بالحدث الحمراء لحمره أرضها، و هی مدینه کثیره الماء و الزروع. بغیه الطلب ج ١ ص ٢٣٩.

٢- فی بغیه الطلب ج ١ ص ٢۴٢:« و کان أسر قودس- أی Theodose الأعور بطریق سمندو و ابن ابنه الدمستق» انظر أیضا. . ٢٠- Cambridge Medieval History ,Vol ۴، PP ,PartiI ٧١٩

٣- هو نهر« مرادصو» الیوم، و یعد من فروع الفرات، و قال عنه یاقوت.« نهر ببلاد الروم یوصف ببروده مائه».

۴- یوحنا تذمسیس، و کان من أصل أرمنی، و هو بالأرمنیه Gemezkig و معناه« قصیر القامه» أعلن امبراطورا سنه ٩۶٩ م و استمر حتی سنه ٩٧۶ م. أوربا العصور الوسطی لعاشور- ط. القاهره ١٩۶۶ ص ۴٢٣.

۵- یقع تل بطریق علی الطرف الغربی للفرات، بینه و بین الفرات ثلاثه فراسخ. معجم البلدان.

۶- انظر نخب تاریخیه و أدبیه جامعه لأخبار الأمیر سیف الدوله الحمدانی، لموریس کنار- ط. الجزائر ١٩٣۴ ص ٣٧٨.

٧- حدده کنار ص ١١۶ بأنه قریب من آمد.

كذو بن الدمستق فأوقع به و هزمه.

و خلف ابن عمه أبا العشائر الحسين بن عليّ على عماره عرنداس فقصده ليون بن الدمستق فهزمه، و أسره، و حمله إلى قسطنطينيه، فمات بها(۱).

و غزا في هذه السنه في جمادى الآخره مع أهل الثغور و خرب مواضع من بلاد الروم مثل خرشنه و صارخه. و أسر الرست بن البلنطس؛ و أسر لاون بن الاسطراطيغوس، و ابن غذال بطريق مقدونيه؛ و هرب الدمستق و بركيل بطريق الخالديات؛ فلما قفل سيف الدوله فكّ قيود الأسارى، و خلع عليهم، و أحسن إليهم(۲).

و في جمادى الأولى من سنه ست و أربعين كاتب الروم جماعه من غلمان سيف الدوله بالقبض عليه، و حمله إلى الدمستق عند شخوصه لمحاربته؛ و بذل لهم مالا عظيما على ذلك. فخرج سيف الدوله عن حلب و قد عزموا على ذلك، فصار بعض الفراشين إلى ابن كيغلغ فأخبره بما عزموا عليه؛ فأعلم سيف الدوله، فجمع الأعراب و الدّيلم؛ و قتل منهم مائه و ثمانون غلاما، و قبض على زهاء مائتى غلام، فقطع أيديهم و أرجلهم و ألسنتهم، و هرب بعضهم.

و عاد إلى حلب و قتل من بها من الأسرى، و كانوا زهاء أربعمائه أسير؛

---

۱- لأبى العشائر ترجمه جيده في بغيه الطلب ص ۲۵۲۷- ۲۵۳۲، فيها تفاصيل ما أوجز هنا.

۲- انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ۸۷.

و ضيّق على ابن الدمستق، و زاد فى قيده، و صيّره فى حجره معه فى داره، و أحسن إلى ذلك الفراش، و قلّد ابن كيغلغ أعمالا، و تنكر على سائر غلمانه.

و منها: أن يانس بن شمشقيق خرج إلى ديار بكر، و نزل على حصن اليمانى(۱). و عرف سيف الدوه خبره، فسيّر إليه نجا الكاسكى فى عشره آلاف فارس، فالتقاه فانهزم نجا، و قتل من أصحابه خمسه آلاف فارس؛ و أسر مقدار ثلاثه آلاف راجل؛ و استولى على سواد نجا كله.

و سار ابن شمشقيق و البراكموس(۲) إلى حصن سميساط، و فتحاه؛ ثم سارا إلى رعبان(۳)، و حصراها؛ و سار سيف الدوله إليهما، و لقيهما؛ فاستظهر الروم عليه استظهارا كثيرا.

و عاد سيف الدوله منهزما و تبعه الروم و قتلوا، و سبوا من عشيرته و قواده ما يكثر عدده؛ و ذلك فى سنه سبع و أربعين و ثلاثمائه(۴).

و فى هذه السنه قدم ناصر الدوله الحسين بن عبد اللّه بن حمدان(۵) أخو

---

۱- انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ۸۸. حيث قال:« و نزل على حصن يقال له اليمانى من عمل آمد».

۲- Basile parakimaumene الابن الطبيعى للامبراطور رومانوس الثانى( ۹۵۹- ۹۶۳ م) و الذى سيكون الامبراطور باسيل الثانى سفاح البلغار ۹۷۶- ۱۰۲۵ م].

۳- رعبان مدينه صغيره، قديمه البناء، و لها قلعه حسنه، بينها و بين الحدث سبعه فراسخ. بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۵۹- ۲۶۰.

۴- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ۸۸- ۸۹.

۵- لناصر الدوله ترجمه فى بغيه الطلب ص ۲۴۳۳- ۲۴۳۷.

سيف الـدوله مسـتنجدا بأخيه سـيف الـدوله إلى حلب و معه جميع أولاده عنـدما قصد معز الدوله الموصل. و تلقاه سـيف الدوله على أربع فراسخ من حلب، و لما رآه ترجل له. و أنفق سـيف الدوله عليه و على حاشيته؛ و قدم لهم من الثياب الفاخره و الجوهر ما قيمته ثلاثمائه ألف دينار.

و كان يجلس ناصـر الـدوله على السرير؛ و يجلس سـيف الـدوله دونه. و لما دخل دار سـيف الـدوله و جلس على السـرير؛ جاء سيف الـدوله لينزع خفه من رجله؛ فمـدّهما إليه، فنزعهما بيـده. و صـعب على سـيف الـدوله لأنه قدّر أنه إذا خفض له نفسه إلى ذلـك رفعه عنه، فلم يفعـل ذلـك إظهارا لمن حضـر أنه و إن ارتفعت حاله، فهو كالولـد و التبع. و كان يعامله بأشـياء نحو ذلك قبيحه كثيره فيحتملها على دخن. و تحمل عنه سيف الدوله لمعز الدوله مائتى ألفا من الدراهم حتى انصرف عنه(۱).

و فى هذه السـنه مات قسطنطين بن لاوى(۲) ملك الروم، و صـيّر نفقور بن الفقّاس دمسـتقا على حرب المغرب، و أخاه ليون بن الفقاس دمستقا على حرب المشرق؛ فتجهّز ليون إلى نواحى طرسوس(۳)، و سبى، و قتل، و فتح

---

۱- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ۸۹- ۹۰. أخبار الدوله الحمدانيه لعلى ابن ظافر الأزدى- ط. دمشق ۱۹۸۵ ص ۱۸- ۱۹.

۲- هو عند يحيى بن سعيد ص ۹۱« ابن لاون».

۳- مـا تزال طرسوس تحمـل الاسم نفسه فى تركيه، و كانت أهم مـدن الثغور،« بها كان يقوم سوق الجهاد، و ينزلها الصالحون و العبّاد، و يقصدها الغزاه من سائر البلاد». اهتم بها ابن العديم و أودع كتابه بغيه الطلب موادا ثمينه عنها ج ۱ ص ۱۷۵- ۲۰۴.

الهارونيّه(١)، و سار إلى ديار بكر.

و توجّه إليه سيف الدوله فرحل الدمستق راجعا إلى الشام؛ و قتل من أهله عددا متوافرا، و أخرب حصونا كثيره من حصون المسلمين؛ و أسر محمد بن ناصر الدوله.

و منها: غزوه مغاره الكحل(٢): غزا سيف الدوله فى سنه ثمان و قيل تسع و أربعين و ثلاثمائه بلاد الروم، فقتل، و سبى. و عاد غانما يريد درب مغاره الكحل؛ فوجد ليون بن الفقاس الدّمستق قد سبقه إليه، فتحاربوا؛ فغلب سيف الدوله. و ارتجع الروم ما كان أخذه المسلمون؛ و أخذوا خزانه سيف الدوله و كراعه و قتل فيها خلق كثير.

و أسر أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان و ترك بخرشنه. و أسر على بن منقذ بن نصر الكنانى فلم يؤخذ له خبر. و أسر مطر بن البلدى، و قاضى حلب أبو حصين الرقى، و قتلا. و قيل: إنّ أبا حصين قتل فى المعركه فداسه سيف الدوله بحصانه، و قال: «لا رضى اللّه عنك، فإنّك كنت تفتح لى أبواب الظلم». و قيل: إنهم لما أخذوا الطرق على سيف الدوله و ثب به حصانه عشرين ذراعا. و قيل: أربعين؛ فنجا فى نفر قليل.

و ولى سيف الدوله، بعد قتل أبى حصين، أحمد بن محمد بن ماثل

---

١- الهارونيه حصن صغير غربى جبل اللكام، بناه هارون الرشيد. بغيه الطلب ج ١ ص ٢١٩.

٢- فى تاريخ يحيى بن سعيد ص ٩٤« مغاره الكجك» و يستدل من روايته أن هذا الموقع كان على مقربه من المصيصه.

قضاء حلب، و كان قد عزله بأبى حصين حين ملك. و ذلك أنه لما قدم حلب خرج للقائه أبو طاهر بن ماثل فترجل له أهل حلب، و لم يترجل القاضى لأحد، فأغتاظ سيف الدوله و عزله.

ثم قدم سيف الدوله من بعض غزواته فترجل له ابن ماثل مع الناس.

فقال له: «ما الذى منعک أولا، و حملک ثانيا؟». فقال له: «تلک المره لقيتک و أنا قاضى المسلمين، و هذه الدفعه لقيتک، و أنا أحد رعاياک». فاستحسن منه ذلک.

فلما قتل أبو حصين أعاده إلى القضاء. و ولّى سيف الدوله أيضا قضاء حلب أبا جعفر أحمد بن اسحاق بن محمد بن يزيد بن الحلبى المعروف بالجرد، و كان حنفى المذهب.

و نقل الملک رومانوس إلى حرب المشرق نقفور بن الفقاس الدمستق؛ فسار إليه رشيق النسيمى أمير طرسوس فى حميّه من المسلمين؛ فبرز إليه نقفور فقاتله؛ و انهزم رشيق و قتل من المسلمين زهاء تسعه آلاف رجل(۱).

و عاد نقفور فضايق عين زربه(۲) و فتحها بالأمان فى ذى القعده سنه خمسين و ثلاثمائه؛ و هدم سورها فانهزم أهلها إلى طرسوس. و فتح حصن دلوک، و مرعش، و رعبان، فى سنه إحدى و خمسين و ثلاثمائه(۳).

---

۱- لرشيق النسيمى ترجمه غنيه بالمعلومات فى بغيه الطلب ص ۳۶۵۶- ۳۶۵۸.

۲- مدينه من الثغور الشاميه، بينها و بين المصيصه ثمانيه عشر ميلا. بغيه الطلب ج ۱ ص ۱۶۷.

۳- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ۹۶- ۹۷.

ثم إنّ نقفور بن الفقاس الدمستق و يانس بن شمشقيق قصدا مدينه حلب فى هذه السنه، و سيف الدوله بها، و كانت موافاتهما كالكبسه. و قيل:

إنّ عده رجاله مائتا ألف فارس، و ثلاثون ألف راجل بالجواشن، و ثلاثون ألف صانع للهدم و تطريق الثلج، و أربعه آلاف بغل عليها حسك حديد يطرحه حول عسكره ليلا.

و لم يشعر سيف الدوله بخبرهم، حتى قربوا منه. فأنفذ إليهم سيف الدوله غلامه «نجا» فى جمهور عسكره، بعد أن أشار عليه ثقاته و نصحاؤه بأن لا يفارق عساكره. فأبى عليهم و مضى نجا بالعسكر إلى الأثارب(۱). ثم توجه منها داخلا إلى أنطاكيه فخالفه عسكر الروم؛ و وصل إلى دلوك؛ و رحل منها إلى تل حامد(۲)، ثم إلى تبّل(۳).

و اتصل خبره بسيف الدوله فعلم أنه لا يطيقه مع بعد جمهور العسكر عنه، فخرج إلى ظاهر حلب و جمع الحلبيين و قال لهم: «عساكر الروم تصل اليوم، و عسكرى قد خالفها؛ و الصواب أن تغلقوا أبواب المدينه، و تحفظوها؛ و أمضى أنا ألتقى عسكرى، و أعود إليكم و أكون من ظاهر البلد، و أنتم من باطنه، فلا يكون دون الظفر بالروم شى ء».

---

۱- تعرف الآن بالأتارب، و هى بلده و مركز ناحيه تتبع منطقه جبل سمعان و تبعد عن حلب ۳۰ کم نحو الجنوب الغربى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۲- تل حامد المذكور هنا واقع إلى الجنوب من دلوك. نخب تاريخيه لكنار ص ۳۸۴.

۳- تبل من قرى عزاز و تبعد عنها ۸ کم. انظرها فى معجم البلدان.

فأبى عامه الحلبيين و غوغاؤهم، و قالوا: «لا تحرمنا أيها الأمير، الجهاد؛ و قد كان فينا من يعجز عن المسير إلى بلد الروم للغزو، و قد قربت علينا المسافه». فلما رأى امتناعهم عليه، قال لهم: «اثبتوا فإنّى معكم».

و كان سيف الدوله على بانقوسا(۱)، و وردت عساكر الروم إلى الهزازه(۲)، فالتقوا فانهزم الحلبيون، و قتل و أسر منهم جماعه كثيره و قتل أبو داود بن حمدان، و أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدوله(۳)، و بشرى الصغير غلام سيف الدوله؛ و كان أسند الحرب ذلك اليوم إليه، و جعله تحت لوائه.

و مات فى باب المدينه المعروف بباب اليهود(۴) ناس كثير لفرط الزحمه.

و كان سيف الدوله راكبا على فرس له يعرف بالفحّى؛ فانهزم مشرقا حتى بعد عن حلب. ثم انحرف إلى قنّسرين فبات بها.

و أقام الروم على ظاهر البلده أربعه أيام محاصرين لها، فخرج شيوخ حلب إلى نقفور يسألونه أن يهب لهم البلد، فقال لهم: «تسلّمون إلىّ ابن

---

۱- بانقوسا الآن من أحياء حلب، و قال عنها ياقوت: جبل فى ظاهر مدينه حلب.

۲- الهزازه الآن من أحياء الشمال الغربى من حلب.

۳- له ترجمه فى يتيمه الدهر، حيث قال عنه الثعالبى: أبو محمد عبد اللّه بن عمرو بن محمد الفياض، كاتب سيف الدوله و نديمه، أخذ بطرفى النظم و النثر، و كان سيف الدوله لا يؤثر عليه فى السفاره إلى الحضره أحدا، لحسن عبارته و قوه بيانه، و نفاذه فى استغراق الأغراض، و تحصيل المراد. يتيمه الدهر ج ۱ ص ۱۱۷- ۱۱۹.

۴- هو الباب الشمالى لمدينه حلب، سمى بذلك لأن محال اليهود كانت من داخله، غيره السلطان الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين، و إثر ذلك« سمى الباب باب النصر، و محى عنه اسم باب اليهود» بغيه الطلب ج ۱ ص ۵۵.

حمدان». فحلفوا أن، ابن حمدان ما هوف البلد. فلما علم أن سيف الدوله غائب عنها طمع فيها و حاصرها.

و قيل: إنّ نقفور خرج إليه شيوخ حلب باستدعاء منه لهم، يوم الاثنين الثانى و العشرين من ذى القعده من السنه. و كان نزوله على المدينه، يوم السبت العشرين من ذى القعده. و جرى بينه و بينهم خطاب آخره على أن يؤمنهم، و يحملوا إليه مالا، و يمكّنوا عسكره أن يدخل من باب و يخرج من آخر، و ينصرف عنهم عن مقدره. فقالوا له: «تمهلنا الليله حتى نتشاور، و نخرج غدا بالجواب». ففعل، و مضوا، و تحدّثوا، و خرجوا بكره الثلاثاء إليه، فأجابوه إلى ما طلب. فقال لهم نقفور: «أظنكم قد رتبتم مقاتلتكم فى أماكن مختفين بالسلاح حتى إذا دخل من أصحابى من يمكنكم أن تطبقوا عليه و تقتلوه فعلتم ذلك». فحلف له بعضهم من أهل الرأى الضعيف أنه ما بقى بالمدينه من يحمل سلاحا، و فيه بطش، فكشفهم نقفور عند ذلك، فعند ذلك قال لهم: «انصرفوا اليوم و اخرجوا إلىّ غدا»؛ فانصرفوا.

و قال نقفور لأصحابه: «قد علمتم أنه ما بقى عندهم من يدفع، فطوفوا الليله بالأسوار و معكم الآله، فأى موضع رأيتموه ممكنا فتسوّروا إليه، فانكم تملكون الموضع.

فطافوا، و كتموا أمرهم، و أبصروا أقصر سور فيها مما يلى الميدان بباب قنّسرين، فركبوه، و تجمعوا عليه؛ و كان وقت السحر، و صاحوا، و دخلوا المدينه.

و قيل: إنّ أهل حلب قاتلوا من وراء السور، فقتل جماعه من الروم بالحجاره و المقالع؛ و سقطت ثلمه من السور على قوم من أهل حلب فقتلتهم.

و طمع الروم فيها فأكبوا عليها، و دفعهم الحلبيون عنها؛ فلما جهنّم الليل اجتمع عليها المسلمون، فبنوها، فأصبحوا و قد فرغت، فعلوا عليها و كبّروا؛ فبعد الروم عن المدينه إلى جبل جوشن(۱).

فمضى رجّاله الشرط و عوام الناس إلى منازل الناس، و خانات التجار، لينهبوها. فاشتغل شيوخ البلد عن حفظ السور، و لحقوا منازلهم. فرأى الروم السور خاليا فتجاسروا، و نصبوا السلالم على السور، و هدموا بعض الأبدان، و دخلوا المدينه من جهه برج الغنم، ليله الثلاثاء لثمان بقين من ذى القعده من سنه إحدى و خمسين. و قيل: يوم الثلاثاء آخر ذى القعده، فى السحر.

و أخذ الدمستق منها خلقا من النساء و الأطفال؛ و قتل معظم الرجال، و لم يسلم منه إلا من اعتصم بالقلعه من العلويين، و الهاشميين و الكتّاب، و أرباب الأموال. و لم يكن على القلعه يومئذ سور عامر فإنها كانت.

قد تهدّمت، و بقى رسومها. فجعل المسلمون الأكف(۲) و البراذع بين أيديهم.

و كانت بها جماعه من الديلم الذين ينسب إليهم درب الدّيلم(۳)

---

۱- جبل جوشن فى ظاهر حلب غربيها.

۲- جمع أكاف، أى البراذع.

۳- على مقربه من باب الجامع الشرقى. الأعلاق الخطيره ج ۱، ق ۱، ص ۳۴۴.

بحلب، فزحف إليهـا ابن أخت الملـك، فرماه ديلمىّ فقتله فطلبه من الناس فرموه برأسه، فقتل عنـد ذلك من الأسـرى اثنى عشـر ألف أسير. و قيل أكثر من ذلك، و قيل أقلّ؛ و اللّه أعلم.

و أقام نقفور بحلب ثمانيه أيام ينهب، و يقتل، و يسبى باطنا و ظاهرا.

و قيل: إنّه أخرب القصـر الذى أنشأه سيف الدوله بالحلبه، و تناهى فى حسنه، و عمل له أسوارا، و أجرى نهر قويق فيه من تحت الخناقيه(۱)، يمر مـن الموضـع المعروف بالسـقايات حـتى يـدخل فى القصـر مـن جـانب، و يخرج مـن آخر، فيصب فى المكـان المعروف بالفيض(۲)، و بنى حوله اصطبلا و مساكن لحاشيته.

و قيل: إنّ ملك الروم وجـد فيه لسـيف الـدوله ثلاثمائه و تسـعين بدره دراهم؛ و وجد له ألفا و أربعمائه بغل، فأخذها. و وجد له من خزائن السلاح ما لا يحصى كثره فقبض جميعها، و أحرق الدار فلم تعمر بعد ذلك؛ و آثارها إلى اليوم ظاهره.

و يقال: إنّ سـيف الـدوله رأى فى المنام أنّ حيّه قد تطوقت على داره فعظم عليه ذلك، فقال له بعض المفسـرين: الحيّه فى النوم ماء. فأمر بحفر يحفر بين داره و بين قويق، حتى أدار الماء حول الدار.

و كان فى حمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات، فدخل على

---

۱- مـن منتزهـات حلـب، و سـلفت الاشـاره إلى تحديـد مكـان قصـر سـيف الـدوله فى أنـه حيـث مركز انطلاـق السـفريات إلى المحافظات.

۲- من منتزهات حلب. تاريخ حلب لابن الشحنه- ط. طوكيو ۱۹۹۰ ص ۲۴۵.

سیف الدوله فقال له کلاما معناه: أنّ الروم تحتوی علی دارک. فأمر به فدفع، و أخرج بعنف. و قضی اللّه سبحانه أنّ الروم خرجوا، ففتحوا حلب، و استولوا علی دار سیف الدوله، فذکر معبّر المنام أنه دخل علی سیف الدوله بعد ما کان من أمر الروم، فقال له: ما کان من أمر ذلک المنام الملعّن؟.

و کان المعتصمون بالقلعه و الروم بالمدینه تحت السماء لیس لهم ما یظلهم من الهواء و المطر، و یتسلّلون فی اللیل إلی منازلهم فإن وجدوا شیئامن قوت أو غیره أخذوه و انصرفوا.

ثم ان نقفور أحرق المسجد الجامع و أکثر الأسواق، و الدار التی لسیف الدوله، و أکثر دور المدینه. و خرج منها سائرا إلی القسطنطینیه بعد أن ضرب أعناق الأساری من الرجال، حین قتل ابن أخت الملک؛ و کانوا ألفا و مائتی رجل(۱).

و سار بما معه و لم یعرض لسواد حلب و القری التی حولها. و قال: «هذا البلد قد صار لنا، فلا تقصروا فی عمارته؛ فإنّا بعد قلیل نعود إلیکم».

و کان عده من سبی من الصبیان و الصبایا بضعه عشر ألف صبی و صبیه؛ و أخذهم معه.

و قیل: إنّ جامع حلب کان یضاهی جامع دمشق فی الزخرفه و الرخام و الفسیفساء- و هی الفص المذهب- إلی أن أحرقه الدمستق- لعنه اللّه- و إنّ

---

۱- تاریخ یحیی بن سعید ص ۹۷- ۹۹.

سليمان بن عبد الملك اعتنى به كما اعتنى أخوه الوليد بجامع دمشق(١).

و سار الدمستق عنها، يوم الأربعاء مستهل ذى الحجه من سنه إحدى و خمسين و ثلاثمائه.

و اختلف فى السبب الذى أوجب رحيل نقفور عن حلب، فقيل: إنه ورد إليه الخبر أن رومانوس الملك وقع من ظهر فرسه فى الصيد بالقسطنطينيه، و انهم يطلبونه ليملكوه عليهم.

و قيل: سبب رحيله أن نجا عاد بجمهور العسكر إلى الأمير سيف الدوله فاجتمع به. و جعل يواصل الغارات على عسكر الروم، و تبلغ غاراته إلى السعدى(٢)؛ و أنه أخذ جماعه من متعلفه الروم. و استنجد سيف الدوله بأهل الشام، فسار نحوه ظالم بن السلال العقيلى(٣) فى أهل دمشق؛ و كان يليها من قبل الإخشيذيه. فكان ذلك سببا لرحيله عن حلب.

و كان هذا نقفور بن الفقاس الدمستق، قد دوّخ بلاد الإسلام، و انتزع من أيدى المسلمين جمله من المدن، و الحصون، و المعاقل؛ فانتزع الهارونيه،

---

١- نقل ابن شداد فى الأعلاق الخطيره ج ١ ق ١ ص ١٠٣- ١٠٥ عن ابن العديم وصف المسجد الجامع فى حلب.

٢- من منتزهات حلب. ابن الشحنه ص ٢٤٥.

٣- يرجح أن المشار إليه هنا هو ظالم بن موهوب العقيلى الذى ولى دمشق للفاطمين سنه ٣٦٠ ه، حيث يبدو أنه عمل من قبل مع الاخشيذيه ثم تعاون مع القرامطه. انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي- تحقيقى- ط. دمشق ١٩٨٣ ص ٩.

و عین زربه- کما ذکرناه- و کذلک دلوک، و أذنه(۱)، و غیر ذلک من الثغور.

و نزل علی أذنه فی ذی الحجه من سنه اثنتین و خمسین، و لقیه نفیر طرسوس فهزمهم و قتل منهم مقدار أربعه آلاف، و انهزم الباقون إلی تلّ بالقرب من أذنه؛ فأحاط الروم بهم و قاتلوهم و قتلوهم بأسرهم.

و هرب أهل أذنه إلی المصّیصه(۲) و حاصرها نقفور مده فلم یقدر علیها بعد أن نقب فی سورها نقوبا عده. و قلت المیره عندهم فانصرف، بعد أن أحرق ما حولها.

و ورد فی هذا الوقت إلی حلب انسان من أهل خراسان و معه عسکر لغزو الروم؛ فاتفق مع سیف الدوله علی أن یقصدا نقفور و کان سیف الدوله علیلا فحمل فی قبّه؛ فألفیاه و قد رحل عن المصّیصه.

و تفرقت جموع الخراسانی لشده الغلاء فی هذه السنه بحلب و الثغور؛ و عظم الغلاء و الوباء فی المصیصه و طرسوس حتی أکلوا المیته.

و عاد نقفور إلی المصیصه و فتحها بالسیف فی رجب سنه أربع و خمسین و ثلاثمائه. و فتح أیضا کفربیّا فی هذه السنه و مرعش. و فتح طرسوس من أیدی المسلمین فی شعبان سنه أربع و خمسین و ثلاثمائه(۳).

---

۱- هی أضنه الحالیه فی ترکیا، أفرد لها ابن العدیم بابا فی کتابه بغیه الطلب ج ۱ ص ۱۶۹- ۱۷۱.

۲- من مدن الثغور، تشتمل علی مدینتین بینهما نهر جیجان: مدینه المصیصه من الجانب الغربی من النهر، و مدینه کفربیا من الجانب الشرقی. بغیه الطلب ج ۱ ص ۱۵۳- ۱۶۱.

۳- الماده التی رواها ابن العدیم عن سقوط طرسوس و ثائقیه آخرها:« أن نقفور لما صالح أهل- طرسوس، و خرجوا منها و تسلمها صعد علی منبرها و قال: یا معشر الروم أین أنا؟ قالوا: علی منبر طرسوس، فقال: لا بل أنا علی منبر بیت المقدس، و هذه البلده التی کانت تمنعکم من بیت المقدس» و جعلت الروح الدینیه المتعصبه التی أظهرتها حملات نقفور و الذین تقدموه المؤرخین یطلقون علیها اسم صلیبیه القرن العاشر. بغیه الطلب ج ۱ ص ۱۹۴- ۱۹۷.

و كان المسلمون يخرجون فى كل سنه و يزرعون الزرع فيأتى بعساكره فيفسده.

فضعفت، و تخلّى ملوك الإسلام عن أهل الرباط بها؛ و كان فيها فيما ذكر أربعون ألف فارس، و فى عتبه بابها أثر الأسنّه إلى اليوم. فلما رأى أهلها ذلك راسلوا نقفور المذكور، فوصل إليهم، و أجابوه إلى التسليم. و قال لهم:

«إنّ كافورا الخادم قد أرسل إليكم غله عظيمه فى المراكب، فان اخترتم أن تأخذوها و أنصرف عنكم، فى هذه السنه، فعلت». فقالوا: لا. و اشترطوا عليه أن يأخذوا أموالهم. فأجابهم إلى ذلك إلا السلاح.

و نصب رمحين جعل على أحدهما مصحفا، و على الآخر صليبا. ثم قال لهم: «من اختار بلد الاسلام فليقف تحت المصحف؛ و من اختار بلد النصرانيه فليقف تحت الصليب». فخرج المسلمون فحزروا بمائه ألف ما بين رجل و أمرأه و صبى؛ و انحازوا إلى أنطاكيه.

و دخل نقفور إلى طرسوس، و صعد منبرها، و قال لمن حوله: «أين أنا؟» فقالوا: «على منبر طرسوس» فقال: «لا؛ و لكنّى على منبر بيت المقدس؛ و هذه كانت تمنعكم من ذلك».

و استولی بعد موت سیف الدوله فی سنه سبع و خمسین علی کفر طاب، و شیزر، و حماه، و عرقه(۱)، و جبله، و معرّه النعمان، و معره مصرین، و تیزین(۲)، ثم فتح أنطاکیه فی سنه ثمان و خمسین؛ علی ما نذکره بعد- إن شاء اللّه تعالی.

و صارت وقعاته للروم و النصاری کالنزه و الأعیاد. و حکم فی البلاد حکم ملوک الروم. و لما رجع عن حلب سار إلی القسطنطینیه مغذا، فدخلها فی صفر سنه اثنتین و خمسین و ثلاثمائه؛ فوجد رومانوس قد مات و جلس فی الملک ولداه باسیل و قسطنطین و هما صبیان و والدتهما «تفانو»(۳) تدبرهما.

فلما وصل نقفور سلّموا الأمر إلیه فدبّرهما مده. ثم رأی أنّ استیلاءه علی الملک أصوب، و أبلغ فی الهیبه فلبس الخف الأحمر، و دعا لنفسه بالملک، و تحدّث مع البطریرک فی ذلک، فأشار علیه أن یتزوج تفانو أم الصبیّین، و أن یکون مشارکا لهما فی الملک؛ فاتقوا علی ذلک و ألبسوه التاج.

ثم خافت علی ولدیها منه؛ فأعملت الحیله، و رتّبت مع یانس بن شمشقیق أن تتزوج به. وبات نقفور فی البلاط فی موضعه الذی جرت عادته به. فلما ثقل فی نومه أدخلت یانس و معه جماعه، و شکلت رجل نقفور. فلما

---

۱- عرقه: بلده فی شرقی طرابلس بینهما أربعه فراسخ. معجم البلدان.

۲- تیزین الآن خربه أثریه فی جبل باریشا تتبع منطقه حارم، محافظه أدلب، تشرف علی سهل العمق، مهجوره منذ قرون طویله. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

۳- أرخ لهذه الأحداث و ما تلاها المؤرخ البیزنطی میخائیل بزللوس Michael Psellus الذی ترجم کتابه إلی الانکلیزیه و طبع تحت عنوان« أربعه عشر حاکم بیزنطی» لندن ۱۹۶۶.

دخل يانس قام نقفور من نومه ليأخذ السيف فلم يستطع فقتله. و لم يتزوّج بها يانس خوفا منها.

و نعود إلى بقيه أخبار سيف الدوله:

فإنه لما رحل الروم عن حلب، عاد إليها و دخلها فى ذى الحجه سنه إحدى و خمسين و ثلاثمائه. و عمر ما خرب منها؛ و جدّد عماره المسجد الجامع؛ و أقام سيف الدوله إلى سنه أربع و خمسين و ثلاثمائه.

و سار إلى ديار بكر بالبطارقه الذين كانوا فى أسره ليفادى بهم؛ و أخذهم نجا، و سار إلى ميافارقين فاستولى عليها.

فلما وصل سيف الدوله قال: «أرونى نجا»؛ فأروه أيّاه على برج، فوقف تحته، و قال: «يانجا» فقال: «لبيك يا مولانا» فقال: «انزل». فنزل فى الوقت، و خدمه على رسمه، و خلع عليه، و سلم إليه البلد و البطارقه. و قتل نجا، قتله غلام لسيف الدوله اسمه قبجاج بحضرته؛ و كان سيف الدوله عليلا، فأمر به فقتل قبجاج فى الحال.

و سار سيف الدوله بالبطارقه إلى الفداء، ففدى بهم أبا فراس ابن عمه، و جماعه من أهله، و غلامه «رقطاش»، و من كان بقى من شيوخ الحمصيين و الحلبيين. و لما لم يبق معه من أسرى الروم أحد اشترى بقيه المسلمين من العدوّ كل رجل باثنين و سبعين دينارا؛ حتى نفد ما كان معه من المال. فاشترى الباقين و رهن عليهم بدنته الجوهر المعدومه المثل و كاتبه أبا

القاسم الحسين بن على المغربى جد الوزير[(۱)]، و بقى فى أيدى الروم إلى أن مات سيف الدوله، فحمل بقيه المال و خلّص ابن المغربى.

و لما توجّه سيف الدوله إلى الفداء ولّى فى حلب غلامه و حاجبه قرغويه الحاجب فى سنه أربع و خمسين، فخرج على أعمال سيف الدوله مروان العقيلى، و كان من مستأمنه القرامطه.

و كان مروان مع سيف الدوله حين توجّه إلى آمد. و أقام سيف الدوله بكل ما يحتاج إليه عسكره، و أنفذ إليه ملك الروم هديه سنّيه، فقتل مروان القرمطىّ رجلا من أصحاب الرسول، فتلافى سيف الدوله ذلك؛ و سيّر إلى ملك الروم هديّه سنّيه؛ و أفرد ديه المقتول؛ و اعتذر أن مروان فعل ذلك على سكر، فرد الهديه و التمس إيفاد القاتل، ليقيده به أو يصفح عنه؛ فلم يفعل؛ و انتقضت الهدنه؛ و كان ذلك فى سنه ثمان و ثلاثين و ثلاثمائه. و ولّى بعد ذلك مروان السواحل.

فلما توجّه سيف الدوله إلى الفداء سار إلى ناحيه حلب، فأنفذ إليه قرغويه غلاما له اسمه بدر فالتقيا غربى كفر طاب؛ فأخذه مروان أسيرا؛ و قتله صبرا؛ و كسر العسكر و ملك حلب. و كتب إلى سيف الدوله بأنه من قبله، فسكن إلى ذلك، و أخذ مروان فى ظلم الناس بحلب، و مصادرتهم.

فلم تطل مدته؛ و توفى سنه أربع و خمسين و ثلاثمائه، من ضربه ضربه بها بدر

---

۱- ترجم ابن العديم للحسين بن على بن محمد المغربى، و رجح أنه توفى فى حياه سيف الدوله، و أن ابنه على حل محله. بغيه الطلب ۲۵۳۲، ۲۷۰۲- ۲۷۰۶.

حین التقیا بلتّ(۱) فی وجهه. و عاد الحاجب قرغویه إلی خلافه سیف الدوله.

و کان بأنطاکیه رجل یقال له الحسن بن الأهوازی یضـمن المسـتغلات لسـیف الدوله، فاجتمع برجل من وجوه أهل الثغر یقال له رشـیق النسـیمی- و کـان من القواد المقیمین بطرسوس- فانـدفع إلی أنطـاکیه حین أخـذ الروم طرسوس، و تولی تـدبیر رشـیق و أطمعه فی أن سیف الدوله لا یعود إلی الشام.

فطمع و اتفق مع ملک الروم علی أن یکون فی حیزه، و یحمل إلیه عن أنطاکیه فی کل سنه ستمائه ألف درهم.

و کان بأنطاکیه من قبل سیف الدوله تنج(۲) الیمکی أو الثملی؛ فسار رشیق(۳) نحوه، فوثب أهل أنطاکیه علی تنج؛ فأخرجوه؛ و سلموا البلـد إلی رشـیق. فأطمع ابن الأهوازی رشـیقا بملک حلب، لعلمه بضـعف سـیف الدوله، و اشـتغاله بالفداء. و عمل له ابن الأهوازی کتابا ذکر أنه من الخلیفه ببغداد، بتقلیده أعمال سیف الدوله، فقری ء علی منبر أنطاکیه.

و اجتمع لابن الأهوازی جمله من مال المستغلّ، و طالب قوما بودائع ذکر أنها عندهم، و استخدم بتلک الأموال فرسانا و رجاله؛ و استأمن إلیه دزبر بن أونیم الدیلمی(۴) و جماعه من الدیلم الذین کانوا مع الحاجب قرغویه بحلب.

---

۱- اللتب بالفارسیه: عمود، مطرقه، هراوه، فأس.

۲- هو فی تاریخ یحیی بن سعید« فتح» ص ۱۰۸.

۳- لرشیق ترجمه مفیده المعلومات فی بغیه الطلب ص ۳۶۵۶- ۳۶۵۸.

۴- لدزبر بن أونیم ترجمه غنیه فی بغیه الطلب ص ۳۴۹۵- ۳۴۹۶.

فحصل مع رشیق نحو خمسه آلاف رجل، فسیّر إلیه الحاجب غلامه یمن فی عسکر. فخرج إلیه رشیق من أنطاکیه، و التقوا بأرتاح(۱)؛ فاستأمن یمن إلی رشیق؛ و مضی عسکره إلی حلب، و توجّه رشیق إلی حلب، و نازل حلب، و زحف علی باب الیهود، فخرج إلیه بشاره الخادم فی جماعه؛ فقاتل إلی الظهر؛ و انهزم بشاره و دخل من باب الیهود؛ و دخلت خیل رشیق خلفه.

و استولی رشیق علی المدینه فی الیوم الأول من ذی القعده سنه أربع و خمسین و ثلاثمائه. و نادوا بالأمان للرعیه؛ و قرأوا کتابا مختلقا عن الخلیفه بتقلید رشیق أعمال سیف الدوله؛ و أقام رشیق یقاتل القلعه ثلاثه أشهر و عشره أیام. و فتح باب الفرج(۲)؛ و نزل غلمان الحاجب من القلعه فحملوا علی أصحاب رشیق، فهزموهم، و أخرجوهم من المدینه. فرکب رشیق و دخل من باب أنطاکیه، فبلغ إلی القلانسیین؛ و خرج من باب قنّسرین، و مضی إلی باب العراق. فنزل غلمان الحاجب، و خرجوا من باب الفرج و هو الباب الصغیر.

و وقع القتال بینهم و بین أصحاب رشیق، فطعن ابن یزید الشیبانی(۳)

---

۱- أرتاح: حصن منیع کان من العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان.

۲- قال ابن العدیم:« و کان لحلب باب یقال له باب الفرج إلی جانب حمام القصر، کان إلی جانبه القصر المشهور الذی یلی قلعه حلب، فخربه الملک الظاهر» بغیه الطلب ج ۱ ص ۵۷.

۳- هو فی بغیه الطلب ص ۳۶۵۷« أبو یزید الشیبانی»« و قیل إن أبا یزید طعن رشیقا فوقع إلی الأرض، و ضربه حسنش الدیلمی و احتز رأسه عبد اللّه التغلبی».

رشیقا فرماه؛ و کان ممن استأمن من عسکر سیف الدوله إلی رشیق؛ و أخذ رأسه، و مضی به إلی الحاجب قرغویه، و عاد الحاجب إلی حالته فی خلافه الأمیر سیف الدوله.

و عاد عسکر رشیق إلی أنطاکیه فرأسوا علیهم دزبر بن أونیم الدیلمی، و عقدوا له الإماره، و استوزر أبا علی بن الأهوازی، و قبل کل من وصل إلیه من العرب و العجم.

و سار إلیه الحاجب قرغویه إلی أنطاکیه، فأوقع به دزبر، و نهب سواده، و انهزم قرغویه و قد استأمن أکثر أصحابه إلی دزبر، فتحصّن بقلعه حلب، و تبعه دزبر فملکها فی جمادی الأولی من سنه خمس و خمسین و ثلاثمائه.

و أقام بها و ابن الأهوازی بعسکره فی حاضر قنّسرین، و جمع إلیه بنی کلاب، وجبی الخراج من بلد حلب و حمص؛ و فوّض إلی القضاه، و الولاه، و الشیوخ، و العمال الأعمال و الولایات.

و جاء سیف الدوله فدخل حلب و عسکره ضعیف فبات بها و خرج إلی دزبر و ابن الأهوازی. و کان سیف الدوله قد فلج و بطل شقه الأیسر فالتقوا شرقی حلب ب «سبعین»(۱).

فغدرت بنو کلاب بدزبر و ابن الأهوازی حین نظروا إلی سیف الدوله؛

---

۱- اسمها الآن تل سبعین، و هی قریبه من سبخه الجبول. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری. و انظر أیضا بغیه الطلب ص ۱۹۵۶ -۱۹۵۷.

و استأمنوا إليه، فآمنهم؛ و وضع السيف فى عسكر دزبر وضع محنق مغيظ؛ فقتل جمعا كثيرا، و أسر خلقا، فقتلهم صبرا. و كان فيهم جماعه ممن اشتراه بماله من الروم، فسبقوه إلى الشام، و قبضوا الرزق من ابن الأهوازى، و جعلوا يقاتلونه، فما أبقى على أحد منهم. و حصل دزبر و ابن الأهوازى فى أسره. فأما دزبر فقتله ليومه؛ و أما ابن الأهوازى فاستبقاه أياما ثم قتله.

ثم إنّ سيف الدوله قويت علّته بالفالج، و كان بشيزر، فوصل إلى حلب فأقام بها يومين أو ثلاثه. و توفى يوم الجمعه العاشر من صفر من سنه ست و خمسين و ثلاثمائه(۱). و قيل: توفى بعسر البول و حمل تابوته إلى ميافارقين فدفن بها فى تربته.

و كان على قضاء حلب إذ ذاك- فى غالب ظنى- أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن محمد بن يزيد الحنفى، بعد أحمد بن محمد بن ماثل.

و ينسب إلى سيف الدوله أشعار كثيره، لا يصح منها له غير بيتين، ذكر أبو القاسم الحسين بن على المغربى كاتبه- و هو جدّ الوزير أبى القاسم المغربى- أنهما لسيف الدوله. و لم يعرف له غيرهما. و كتب بهما إلى أخيه ناصر الدوله و قد مدّ يده إلى شى ء من بلاده المجاوره له، من ديار بكر، و كانت فى يد أخيه:

لست أجفو و إن جفيت و لا أترك حقا علىّ فى كل حال

---

۱- بهامش الأصل: وفات سيف الدوله سنه ۳۵۶، ۹۵۶.

إنمّا أنت والد و الأب الجفافی یجازی بالصبر و الإحتمال

و وزر لسیف الدوله أبو اسحاق القراریطی(۱)؛ ثم صرفه و ولی وزارته أبا عبد اللّه محمد بن سلیمان بن فهد؛ ثم غلب علی أمره أبو الحسین علی بن الحسین المغربی أبو الوزیر أبی القاسم و وزر له.

---

۱- هو محمد بن أحمد بن ابراهیم الاسکافی الکاتب، وزر لمحمد بن رائق، ثم وزر للمتقی للّه مرتین، و صودر، و صار إلی الشام، و کتب لسیف الدوله، و کان ظلوما غشوما، عاش ستا و سبعین سنه» و توفی سنه سبع و خمسین و ثلاثمائه. العبر للذهبی- ط. الکویت ۱۹۸۴ ج ۲ ص ۳۱۵.

## [عهد سعد الدوله]

[عهد سعد الدوله](۱)

و قام بالأمر بحلب الحاجب قرغویه غلام سیف الدوله، من قبل ابن سیف الدوله؛ فبقی بها إلی أن مضی غلمان سیف الدوله إلی میّافارقین، فأحضروا ابنه: سعد الدوله أبا المعالی شریف بن علی بن عبد اللّه بن حمدان، و کان مع والدته أم الحسن ابنه أبی العلاء سعید بن حمدان بها.

فدخل حلب، یوم الاثنین لعشر بقین من شهر ربیع الأوّل، من سنه ست و خمسین و ثلاثمائه؛ و زیّنت له المدینه؛ و عقدت له القباب؛ و جلس علی سریر أبیه، و جلس الحاجب قرغویه علی کرسیّ، و المدّبر لدولته وزیره أبو اسحاق محمد بن عبد اللّه بن شهرام کاتب أبیه.

و قبض أبو تغلب بن ناصر الدوله بن عبد اللّه بن حمدان علی أبیه ناصر الدوله، فی هذه السنه(۲)؛ فامتعض حمدان بن ناصر الدوله لذلک و عصی علی

---

۱- أضیف ما بین الحاصرتین للتوضیح.

۲- اعتقله بقلعه الموصل حتی توفی« یوم الجمعه الثانی عشر من شهر ربیع الأول سنه سبع و خمسین و ثلاثمائه» و قد تجاوز الثمانین. بغیه الطلب من ۲۴۳۶- ۲۴۳۷.

أخيه بالرقه و الرّحبه(۱).

فسار أبو تغلب إليه إلى الرقه، و حصره فيها إلى أن صالحه على أن يقتصر على الرّحبه، و يسلم إليه الرّقه و الرافقه. و كتب لأبى تغلب توقيع بتقليده أعمال ناصر الدّوله و سيف الدّوله من المطيع، و هو بالرّقه.

و كان قرغويه قد جاء إلى خدمته، و هو يحاصر أخاه؛ فلما صالح أخاه قدم حلب جريده، وزار ابن عمه سعد الدوله، و عاد إلى الموصل.

---

۱- لم تكن هذه محاوله التمرد الوحيده فى صفوف الحمدانيين فقد روى المقريزى فى ترجمته لبشاره الاخشيدى مايلى: «فلما مات سيف الدوله بن حمدان بحلب سار بتابوته إلى ديار بكر بشاره الخادم، و تقى، فى جمادى الأولى سنه ست و خمسين و ثلاثمائه، و كان بينهما منافره، فأذاع تقى عن بشاره أنه كاتب حمدان بن ناصر الدوله، و كان قد غلب على الرقه عند وفاه عمه سيف الدوله، و حثه على أخذ حلب، و كتب تقى إلى قرغويه القائم بضبط حلب نيابه عن سعد الدوله أبى المعالى شريف ابن سيف الدوله، فقبض قرغويه على أسباب بشاره بحلب. فلما بلغ ذلك بشاره داخل تقى و وانسه، فأنس به، و صفى بنيته له، و أطلعه على أنه يريد ديار بكر ليعمل على أبى المعالى شريف ابن مولاه، و يقبض عليه، و يملك التدبير، و ضمن لبشاره أنه يسلم له ميافارقين، فأظهر له بشاره القبول، و سار بمسيره إلى قريب من ميافارقين، فكتب بشاره مع من يثق به إلى أبى المعالى يحذره الخروج إلى لقاء تابوت أبيه، و يعرفه ما عزم عليه تقى. فلما قرب تقى كتب إليه بخبر التابوت و أن يخرج لتلقيه، فأظهر أبو المعالى عله و امتنع عن الركوب، و أخرج كل من فى البلد لتلقيه، و ضرب تقى مضاربه و لم يدخل المدينه، و وكل بأبوابها الرجال، فطلع بشاره على السور، و غلق الأبواب، و خاطب أصحابه عن الأمير أبى المعالى بكل جميل، فانقلبوا عن تقى، و بطل مادبره، و سلمه إلى بشاره فقتله». الموسوعه الشاميه فى تاريخ الحروب الصليبيه- ط. دمشق ۱۹۹۵ ج ۱ ص ۳۰۰.

و أقام سعد الدوله إلى أن تجدّد بينه و بين ابن عمه أبى فراس الحارث بن سعيد بن حمدان- و هو خاله- وحشه و كان بحمص.

فتوجّه سعد الدوله إليه، فانحاز إلى «صدد»(۱)، و نزل سعد الدوله بسلميه، و جمع بنى كلاب و غيرهم.

و قدّم الحاجب قرغويه و بنى كلاب على مقدّمته، مع قطعه من غلمان أبيه، فتقدّموا إلى صدد. فخرج إليهم أبو فراس و ناوشهم، و استأمن أصحابه؛ و اختلط أبو فراس بمن استأمن، فأمر قرغويه بعض غلمانه بالتّركيه بقتله، فضربه بلت مضرّس، فسقط؛ و نزل فاحتز رأسه؛ و حمله إلى سعد الدوله.

و بقيت جثته مطروحه بالبريه، حتى كفّنه رجل من الأعراب، و ذلك فى شهر ربيع من سنه سبع و خمسين و ثلاثمائه. و لطمت أمّه سخيّه حتى قلعت عينها عليه؛ و كانت أم ولد.

و خرج فى هذه السّنه فاثور(۲) للرّوم فى خمسه آلآف فارس و راجل؛ فصار إلى نواحى حلب؛ فواقعه قرغويه بعسكر حلب، فأسر قرغويه، ثم أفلت، و انهزم أصحابه؛ و أسر الرّوم جماعه من غلمان سيف الدّوله.

ثم إنّ نقفور ملك الروم خرج إلى معره النّعمان ففتحها، و أخرب

---

۱- صدد الآن مركز ناحيه تتبع حمص و تبعد عنها ۶۰ کم باتجاه الجنوب الشرقى، تكثر فيها الكنائس الأثريه، فى وسطها تل أثرى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۲- الفاثور: الجماعه فى الثغر يذهبون خلف العدو فى الطلب. القاموس.

جامعها و أكثر دورها؛ و كذلك فعل بمعرّه مصرين؛ و لكنه أمّن أهلها من القتل، و كانوا ألفا و مائتى نفس، و أسرهم، و سيّرهم إلى بلد الروم.

و سار إلى كفرطاب و شيزر، و أحرق جامعها؛ ثم إلى حماه ففعل كذلك؛ ثم إلى حمص، و أسر من كان صار إلى تلك الناحيه من الجفله.

و وصل إلى عرقه ففتحها و أسر أهلها؛ ثم نفذ إلى طرابلس و كان أهلها قد أحرقوا ربضها، فانصرف إلى جبله ففتحها؛ و منها إلى اللاذقيّه؛ فانحدر إليه أبو الحسين على بن إبراهيم بن يوسف الفصيص. فوافقه على رهائن تدفع إليه منها، و انتسب له فعرف نقفور سلفه، و جعله سردغوس(۱). و سلّم أهل اللاذقيه.

و انتهى إلى أنطاكيه، و فى يده من السبى مائه ألف رأس، و لم يكن يأخذ إلا الصبيان و الصّبايا و الشباب؛ فأما الكهول و المشايخ و العجائز فمنهم من قتله و منهم من تركه. و قيل بأنه فتح فى هذه الخرجه ثمانيه عشر منبرا. و أما القرى فلا يحصى عدد ما أخرب منها و أحرق؛ و نزل بالقرب من أنطاكيه، فلم يقاتلهم، و لم يراسلهم بشى ء.

و بنى حصن بغراس(۲) مقابل أنطاكيه و رتّب فيه ميخائيل البرجى، و أمر أصحاب الأطراف بطاعته.

---

۱- أى ستراتيغوس، و هو الحاكم العسكرى للمدينه.

۲- من أشهر القلاع و أكثرها حصانه، تقع على الطريق المؤديه إلى مضيق بيلان فالاسكندرونه. بغيه الطلب ج ۱ ص ۱۵۱- ۱۵۲. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و تحدّث الناس أنه يريد أن ينازل أنطاكيه طول الشتاء، و ينفذ إلى حلب أيضا من ينازلها. فأشار الحاجب قرغويه على سعد الدوله أن يخرج من حلب، و لا يتحاصر فيها؛ فخرج إلى بالس فسيّر إليه قرغويه، و قال له:

«امض إلى والدتک، فإنّ أهل حلب لا يريدونک، و لا يترکونک تعود إليهم».

و حالف قرغويه أهل حلب على سعد الدّوله؛ و تقرّب إليهم بعماره القلعه و تحصينها، و عماره أسوار البلده و تقويتها؛ فيئس سعد الدوله من حلب؛ و مضى أکثر أصحابه إلى أبى تغلب بن ناصر الدّوله.

و قطع قرغويه الدعاء لسعد الدّوله، فعمل على قصد حرّان و المقام بها؛ فمنعه أهلها منها، و راسلهم، و وعدهم بالجميل فلم يستجيبوا له؛ فسألهم أن يتزوّد منها يومين، فأذنوا له فى ذلک. فمضى إلى والدته إلى ميّافارقين، و حرّان شاغره يدبّرها أهلها، و يخطبون لأبى المعالى سعد الدوله.

و لما قرب أبو المعالى من ميّافارقين بلغ والدته أن غلمانه و كتّابه عملوا على القبض عليها و حملها إلى القلعه، کما فعل أبو تغلب بناصر الدوله؛ فطردت الکتّاب، و أغلقت أبواب المدينه فى وجه ابنها ثلاثه أيّام حتى استوثقت منه؛ و فتحت له.

و حين علم ملک الروم بتقويه قرغويه لحلب دخل بلاده.

و أما قرغويه فاستولى على حلب فى المحرّم من سنه ثمان و خمسين و ثلاثمائه؛ و أمّر غلامّه بکجور؛ و شارکه فى الأمر؛ و دعى لهما على المنابر فى عمله. و کتب اسم بکجور على السّکه. و کان يخاطب قرغويه بالحاجب، و غلامه بکجور بالأمير.

و حصـل زهير غلام سيف الـدّوله بمعرّه النّعمان، و كان و اليها؛ و انضاف إليه جماعه من غلمان سـيف الـدّوله. فأقاموا الـدّعوه بالمعرّه لسعد الدوله؛ و كاتبوا مولاهم سعد الدوله أبا المعالى و استدعوه إلى الشّام؛ فسار و نزل منبج؛ فاجتمعوا معه. و نزلوا على حلب فى شهر رمضان من سنه ثمان و خمسين و ثلاثمائه؛ و حاصروا قرغويه و بكجور. و جرت بينهم حروب يطول ذكرها.

و كتب قرغويه إلى الرّوم، فاستدعى بطريقـا كان فى أطراف بلـد الرّوم لنجـدته، و هو خادم كان لنقفور و يعرف بالطربازى(۱)؛ فسـار نحوه، ثم عـدل إلى أنطـاكيه، و ذلـك أنّ ملـك الروم لمـا نزل ببوقـا، و معه السبى و الغنائم- على ما ذكرناه- توافق هو و أهلهـا، و كـانوا نصـارى فى أن ينتقلوا إلى أنطاكيه، و يظهروا أنّهم إنّما انتقلوا خوفا من الرّوم، حتى إذا حصـلوا بها، و صار الرّوم إلى أنطاكيه وافقوهم على فتحها. ففعلوا ذلك و وافقوا نصارى أنطاكيه، و كاتبوا الطّربازى حين خرج بأن أنطاكيه خاليه، و ليس بها سلطان.

و كان أهلها من المسـلمين قد ضـيّعوا سورها، و أهملوا حراسـتها؛ فجاء الروم إليها مع الطربازى و يانس بن شمشقيق، فى أربعين ألفـا. فأحـاطوا بأنطـاكيه؛ و أهـل بوقا على أعلى السور فى جانب منه، فنزلوا و أخلوا السّور، فصـعده الرّوم و ملكوا البلـد، و ذلك لثلاث عشره ليله خلت من ذى الحجه من سنه ثمان و خمسين.

---

۱- هو فى تاريخ يحيى بن سعيد ص ۱۳۵« بطرس الاصطراطوبودرج»- الستراتيجوس.

و دخل الرّوم فأحرقوا و أسروا و كانت ليله الميلاد. فلمّا طلع الروم على جبلها، جعلوا يأخذون الحارس فيقولون له: «كبّر و هلّل»؛ فمن لم يفعل قتلوه؛ فكان الحرّاس يهلّلون و يكبّرون، و الناس لا يعلمون بما هم فيه، حتّى ملكوا جميع أبرجتها، و صاحوا صيحه واحده، فمن طلب باب الجنان قتل أو أسر.

و اجتمع جماعه إلى باب البحر فبردوا القفل فسلموا، و خرجوا و بنوا قلعه فى جبلها، و جعلوا الجامع صيره للخنازير(۱)؛ ثم ان البطرك جعله بستانا.

ثم إنّ الطّربازى سار إلى حلب، منجدا لقرغويه و بكجور، و أبو المعالى محاصر لهما؛ فانحاز أبو المعالى شريف عن حلب إلى خناصره، ثم إلى معرّه النّعمان.

فطمع الرّوم بحلب فنازلوها؛ و هجموا المدينه من شماليها، و حصروا القلعه.

فهادنهم قرغويه على حمل الجزيه، عن كل صغير و كبير من سكّان المواضع التى وقعت الهدنه عليها، دينار، قيمته ستّه عشر درهما إسلاميّه؛ و أن يحمل إليهم، فى كل سنه عن البلاد التى وقعت الهدنه(۲) عليها سبعمائه ألف درهم.

---

۱- الصيره: الحظيره.

۲- فى تاريخ يحيى بن سعيد ص ۱۳۵:« و ترددت المراسلات بينه و بين أهلها إلى أن تقرر الأمر- على صلح و هدنه مؤبده، و مال يحمل فى كل سنه إلى ملك الروم عن حلب و حمص و جميع أعمالها من المدن و القرى، و هى ثلاثه قناطير ذهب عن حق الأرض، و سبعه قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال، و عن كل رجل حالم دينار واحد فى السنه، سوى ذوى العاهات، و أن يكون لملك الروم صاحبا مقيما بحلب يستخرج أعشار الامتعه الوارده إليها من البلاد، و يرفعه إلى الملك».

و البلاد: حمص، و جوسيه(۱)، و سلميه، و حماه، و شيزر، و كفرطاب، و أفاميه، و معره النّعمان، و حلب و جبل السّمّاق(۲)، و معرّه مصرين، و قنّسرين، و الأثارب إلى طرف البلاط(۳) الذى يلى الأثارب و هو الرصيف، إلى إرحاب(۴)، إلى باسوفان(۵)، إلى كيمار(۶)، إلى برصايا(۷)، إلى المرج الذى هو قريب عزاز؛ و يمين الحدّ كلّه لحلب؛ و الباقى للرّوم.

---

۱- اسمها الآن جوسيه الخراب، تقع قرب الحدود اللبنانيه، و هى تابعه لمنطقه القصير- محافظه حمص، تبعد عن القصير ۱۱ كم إلى الجنوب. و تبعد عن حمص ۳۸ كم إلى الجنوب الغربى منها. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۲- هو جبل الأربعين الآن.

۳- الطريق الرومانى المرصوف، و يوجد الآن مزرعه فى منطقه حارم اسمها البلاط. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۴- إرحاب قريه فى جبل سمعان، تتبع ناحيه داره عزه، و تتصل بها بطريق مزفته طولها ۹ كم. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۵- على مقربه من دير سمعان.

۶- تقع كيمار على بعد ۱۲ كم من باسوفان.

۷- جبل برصايا:« جبل عال شامخ شمالى عزار، يشرف على بلد عزاز و كوره الأرتيق، و هو من أبهى البقاع منظرا، و أرقها هواء». و اسم هذا الجبل الآن برصه، و يقع على بعد ۵ كم شمال مدينه أعزاز، يمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى بطول ۵ كم و عرض أقصى ۵، ۳ كم. بغيه الطلب ج ۱ ص ۴۳۷. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و من برصايا يميل إلى الشّرق، و يتصل وادى أبى سليمان إلى فج سنياب(۱)، إلى نافوذا، إلى أوانا، إلى تلّ حامد(۲)؛ إلى يمين السّاجور، إلى مسيل الماء إلى أن يمضى و يختلط بالفرات.

و شرطوا أن الأمير على المسلمين قرغويه؛ و الأمر بعده لبكجور؛ و بعدهما ينصب ملك الروم أميرا يختاره من سكّان حلب. و ليس للمسلمين أن ينصبوا أحدا، و لا يؤخذ من نصرانى جزيه فى هذه الأعمال، إلا إذا كان له بها مسكن أو ضيعه.

و إن ورد عسكر إسلامىّ يريد غزو الروم منعه قرغويه، و قال له:

«امض من غير بلادنا، و لا تدخل الهدنه». فإن لم يسمع أمير ذلك الجيش قاتله، و منعه؛ و إن عجز عن دفعه كاتب ملك الروم و الطربازى لينفذ إليه من يدفعه.

و متى وقف المسلمون على حال عسكر كبير كتبوا إلى الملك و إلى رئيس العسكر، و أعلموهما به لينظروا فى أمرهما.

و إن عزم الملك أو رئيس العسكر على الغزاه إلى بلد الاسلام، تلقّاه

---

۱- تحدث ابن العديم عن مخارج نهر قويق فقال:« و المخرج الآخر يجتمع من عيون ماء من سنياب» و قال ياقوت: و سألت عن سنياب« بحلب فقالوا: لا- نعرف هذا الاسم، انما مخرجه من شناذر، قريه على سته أميال من دابق». بغيه الطلب ج ۱ ص ۳۴۷. معجم البلدان- ماده قويق.

۲- تل حامد: حصن فى ثغور المصيصه، و يرجح أن« حامد» تصحيف« خالد» و تل خالد من القلاع الهامه القريبه من حلب. معجم البلدان.

بكجور إلى المكـان الـذى يؤمر بتلقيه إليه؛ و أن يشـيّعه فى أعمـال الهـدنه؛ و لاـ يهرب من فى الضّـياع ليبتاع العسـكر الرّومى ما يحتاجون إليه، سوى التبن؛ فانه يؤخذ منهم على رسم العساكر بغير شى ء.

و يتقدم الأمير بخدمه العساكر الرّوميّه إلى الحدّ؛ فإذا خرجت من الحدّ عاد الأمير إلى عمله؛ و إن غزا الروم غير ملّه الإسـلام سار إليه الأمير بعسكره، و غزوا معه كما يأمر.

و أىّ مسلم دخل فى دين النصرانيّه فلا سبيل للمسلمين عليه؛ و من دخل من النّصارى فى ملّه الإسلام فلا سبيل للرّوم عليه.

و متى هرب عبد مسـلم أو نصرانى، ذكرا كان أو أنثى، من غير الأعمال المذكوره إليها، لا يستره المسلمون، و يظهرونه، و يعطى صاحبه ثمنه: عن الرّجل ستّه و ثلاثون دينارا؛ و عن المرأه عشرون دينارا روميه؛ و عن الصبىّ و الصبيّه خمسّه عشر دينارا؛ فان لم يكن له ما يشتريه أخذ الأمير من مولاه ثلاثه دنانير؛ و سـلّمه إليه. فإن كان الهارب معمدا فليس للمسـلمين أن يمسكوه؛ بل يأخذ الأمير حقّه من مولاه؛ و يسلّمه إليه.

و إن سرق سارق من بلاد الرّوم، و أخفى هاربا أنفذه الأمير إلى رئيس العسكر الرومىّ ليؤدّبه.

و إن دخل رومىّ إلى بلد الإسلام فلا يمنع من حاكى.

و إن دخل من بلد الإسلام جاسوس إلى بلد الروم أخذ، و حبس.

و لا يخرب المسلمون حصنا؛ و لا يحدثوا حصنا؛ فإن خرب شى ء

أعادوه. و لا يقبل المسلمون أميرا مسلما؛ و لا يكاتبوا أحدا غير الحاجب و بكجور. فإن توفّيا لم يكن لهم أن يقبلوا أميرا من بلاد الإسلام؛ و لا يلتمسوا من المسلمين معونه؛ بل ينصب لهم من يختاره من بلاد الهدنه.

و ينصب لهم الملك بعد وفاه الحاجب و بكجور قاضيا منهم، يجرى أحكامهم على رسمهم.

و للرّوم أن يعمروا الكنائس الخربه فى هذه الأعمال، و يسافر البطارقه و الأساقفه إليها، و يكرمهم المسلمون.

و إنّ العشر الذى يؤخذ من بلد الرّوم، يجلس عشّار الملك مع عشّار قرغويه و بكجور فمهما كان من التجاره من الذهب، و الفضه، و الديباج الروميّ، و القزّ غير معمول، و الأحجار، و الجوهر، و اللؤلؤ، و السندس عشّره عشّار الملك. و الثياب، و الكتّان، و المزبون(۱)، و البهائم، و غير ذلك من التجارات يعشّره عشّار الحاجب و بكجور بعده؛ و بعدّهما يعشّر ذلك كلّه عشّار الملك.

و متى جاءت قافله من الرّوم، تقصد حلب، يكتب الزروار(۲) المقيم فى الطرف إلى الأمير؛ و يخبره بذلك لينفذ من يتسلّمها، و يوصلها إلى حلب. و إن

---

۱- ثوب على تقطيع البيت كالحجله. القاموس.

۲- تحدث ابن الحوقل عن المراتب فى القسطنطينيه فقال:« ثم الدمستق من بعده، ثم البطارقه و هم اثنا عشر رجلا لا ينقصون و لا يزيدون بوجه، و إذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له، ثم الزراوره و هم كثره لا يحصون كالقواد اللاحقين بالأمراء، ثم الطرامخه» صوره الأرض- . بيروت، دار مكتب الحياه ص ۱۷۸.

قطع الطريق عليها بعد ذلك، فعلى الأمير أن يعطيهم ما ذهب. و كذلك إن قطع على القافله أعراب أو مسلمون فى بلد الأمير، فعلى الأمير غرامه ذلك.

و حلف على ذلك جماعه من شيوخ البلد مع الحاجب و بكجور؛ و سلم إليهم رهينه من أهل حلب: أبو الحسن بن أبى أسامه؛ و كسرى بن كسور؛ و ابن أخت ابن أبى عيسى، و أخو أبى الحسن الخشّاب، و أبو الحسن بن أبى طالب، و أبو الطّيب الهاشمىّ، و أبو الفرج العطّار، و يمن غلام قرغويه. و كان المتوسّط فى هذه الهدنه رجل هاشمىّ من أهل حلب يقال له طاهر.

و عادت الروم عن حلب؛ و بقى الحاجب قرغويه فى ولايتها، و التدبير إليه و إلى غلامه بكجور؛ و ذلك فى صفر من سنه تسع و خمسين و ثلاثمائه.

و أقام سعد الدوله أبو المعالى بمعرّه النّعمان ثلاث سنين؛ و راسله الحاجب و بكجور و مشايخ حلب، فى سنه ثمان و خمسين، على أن يؤدى إلى الروم قسطا من مال الهدنه، و كان القيّم بأمر أبى المعالى و عسكره رقطاش غلام سيف الدوله؛ و كان قد نزل إليه من حصن برزويه؛ و حمل إليه غلّه عظيمه و علوفه و طعاما؛ و وسّع على عسكره بعد الضّائقه.

و لم يؤدّ سعد الدوله ما هو مقرّر من مال الهدنه على البلاد التى فى يده، فخرج الروم و هجموا حمص على غفله.

و قيل: إن سعد الدوله استولى على حلب فى سنه ثلاث و ستين، و وصله فى شهر ربيع الأول رسول العزيز و أبو القاسم أحمد بن إبراهيم الرسى من مصر؛ فأقام الدعوه له بحلب فى هذه السنه؛ و أرسل معه إلى مصر فى

جواب الرساله قاضی حلب؛ و أظنه ابن الخشاب الهاشمی.

و وصل إلیه بکجور من حلب و هو بحمص؛ فخلع علیه أبو المعالی؛ و ولاه حلبّ؛ و أقیمت له الدعوه فیها و فی سائر عملها؛ فوافق بکجور و غلمان سیف الدوله علی القبض علی مولاه قرغویه و قصد أبی المعالی، و قلعه من حمص؛ فقبض علیه. و سار أبو المعالی إلی حلب.

و قیل: دام الأمر بحلب مردودا إلی قرغویه و بکجور، فأحبّ الأمیر أبو الفوارس بکجور الحاجبیّ الکاسکّی التفرد بالأمر دون مولاه؛ و حدّث نفسه بالقبض علیه، فقبض علیه و غدر به، فی ذی الحجه من سنه أربع و ستین و ثلاثمائه. و استولی علی حلب، و انفرد بالأمر، و جعل الحاجب محبوسا بقلعه حلب.

کان سعد الدوله إذ ذاک بحمص، فحین علم بذلک طمع بحلب، فتوجّه إلیها و معه بنو کلاب، بعد أن أقطعهم بحمص الاقطاع المعروف بالحمصیّ؛ فنزل بهم علی معرّه النعمان، و بها زهیر الحمدّانی، و قد استولی علیها، و عصی علی مولاه؛ ففتح باب حناک(۱)؛ و دخلوا منه فقاتلهم زهیر، و أخرجهم. ثم أحرقوا باب حمص؛ فخرج زهیر مسلما نفسه بعد أن حلف له کبار الحمدانیّه انّهم لا یمکنوا أبا المعالی منه. فلمّا حصل معه غدر به فتغیّرت

---

۱- نسبه إلی بلده اسمها حناک؛ هی الآن خربه أثریه فی جبل الزاویه، تابعه لمنطقه معره النعمان. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

وجوه الحمدانيّه؛ فأمرهم بنهب الحصن فنهبوا ما فيه؛ و أنفذ زهيرا إلى حصن أفاميه؛ فقتل هناك.

و سار أبو المعالى؛ و نزل بهم على باب حلب؛ و حاصرها مده فاستنجد بكجور بالرّوم؛ و ضمن لهم تسليم حلب و أموالا كثيره؛ فتخلّوا عنه. و كان نقفور- لعنه اللّه- قد قتل على ما شرحناه.

و جدّ سعد الدوله فى حصارها و القتال، فسلم إليه بعض أهل البلد المرتبين فى مراكز البلد برج باب الجنان؛ و رميت أبواب الحديد، و فتحها بالسيف فلم يرق فيها دما و أمن أهلها.

و انهزم بكجور إلى القلعه فاستعصى بها، و ذلک فى رجب من سنه خمس و ستين و ثلاثمائه.

ثم أقام سعد الدوله يحاصر القلعه مده حتى نفد ما فيها من القوت؛ فسلّمها بكجور إليه، فى شهر ربيع الآخر من سنه سبع و ستين و ثلاثمائه.

و ولّى سعد الدوله بكجور حمص و جندها؛ و كان تقرير أمر بكجور بين سعد الدّوله و بينه، على يد أبى الحسن علىّ بن الحسين بن المغربى الكاتب، والد الوزير أبى القاسم.

و استقر أمر سعد الدّوله بحلب؛ و جدّد الحلبيون عماره المسجد الجامع بحلب؛ و زادوا فى عماره الأسوار فى سنه سبع و ستين.

و غيّر سعد الدّوله الأذان بحلب؛ و زاد فيه: «حىّ على خير العمل؛

محمّد و علىّ خير البشر». و قيل: إنه فعل ذلک فى سنه تسع و ستين و ثلاثمائه، و قيل: سنه ثمان و خمسين.

و سيّر سعد الدّوله فى سنه سبع و ستين و ثلاثمائه الشريف أبا الحسن اسماعيل بن النّاصر الحسنىّ يهنى ء عضد الدّوله بدخوله مدينه السلام، و انهزام بختيار بين يديه؛ فوجّه إليه بتكنيه الطائع؛ و وصلته خلعه منه و لقب بسعد الدوله فلبس الخلعه.

و وصل معها خلع من عضد الدّوله أيضا؛ و خاطبه فى كتابه:

«بسيدى، و مولاى، و عدتى» فمدحه أبو الحسن محمّد بن عيسى النّامى بقصيده أوّلها:

هوى فى القلب لا عجه دخيل

و كان أبو صالح بن نانا الملقّب بالسّديد قد وزر لسعد الدّوله، فانفصل عنه فى سنه إحدى و سبعين؛ و مضى إلى بغداد فاستوزر مكانه أبا الحسن بن المغربى.

و نزل فردس الفقاس الدمستق على حلب، فى شهر جمادى الأولى من سنه إحدى و سبعين، و وقع الحرب على باب اليهود فى اليوم الثانى من نزوله.

و طالب سعد الدّوله بمال الهدنه، و تردّدت المراسله بينهما، و استقرّ الأمر على أن يحمل إلى الروم كلّ سنه أربعمائه ألف درهم فضّه، و رحل فى اليوم الخامس من وصوله.

و فی یوم الخمیس السّابع عشر من شهر ربیع الآخر من سنه ثلاث و سبعین و ثلاثمائه، نزل بردس الدمستق علی باب حلب فی خمسمائه ألف ما بین فارس و راجل؛ و کان قد ضمن لباسیل و قسطنطین ملکی الروم الأخوین أن یفتتح حلب، و ینقض سورها حجرا حجرا؛ و أنه یحمل سبیها إلی القسطنطینیّه.

و احتفل جمعا و حشد من المجانیق و العرّادات ما لا یحصی کثره. و أقام بالحدث أیّاما، یرهب الناس، و یهوّل علیهم؛ و سعد الدوله بحلب غیر محتفل به.

ثم إنّه أقبل و علی مقدمته ملک الجزریه تریثاویل(۱)؛ و علی میمنته و میسرته البطارقه فی الحدید السابغ؛ فارتاع النّاس لذلک؛ و بثّ سرایاه، و سعد الدّوله قد أمر الغلمان بلبس السلاح؛ فدام علی هذا ثلاثه أیام؛ ثم صفّ لقتال البلد؛ و سعد الدوله لا یخرج إلیه أحدا حتی استحکم طمعه.

ثم إنّه أمر غلمانه بالخروج إلیهم فی الیوم السابع، فحملوا حمله لم یر أشد منها؛ و قتلوا فیها ملک الجزریه تریثاویل؛ و کان عمده عسکرهم؛ فعند ذلک اشتدّ القتال.

و أمر سعد الدوله عسکره بالخروج إلیه، فالتقّوا فی المیدان فرجع عسکره أقبح رجوع، و علیه الکآبه؛ و سیّر سعد الدّوله جیشه خلفه حتّی بلغت عساکره أنطاکیه.

---

۱- کتب بهامش الأصل Taritaouil .

و کان الجیش مع وزیره أبی الحسن علیّ بن الحسین بن المغربی؛ فافتتح فی طریقه دیر سمعان عنوه بالسیف؛ و خرّب دیر سمعان؛ و کان بنیه عظیمه و حصنا قویا؛ و قد ذکر ذلک الواسانیّ فی بعض شعره.

و قیل: إنّ الدمستق رأی فی نومه المسیح، و هو یقول له مهدّدا:

«لا- تحاول أخذ هذه المدینه، و فیها ذلک الساجد علی الترس». و أشار إلی موضعه فی البرج الذی بین باب قنّسرین، و برج الغنم، فی المسجد المعروف بمشهد النّور. فلمّا أصبح ملک الرّوم سأل عنه فوجده ابن أبی نمیر عبد الرزاق بن عبد السلام العابد الحلبیّ، و کان ذلک سببا لرحیله عن حلب(۱).

و قیل: إنّه صالح أهل حلب و رحل.

---

۱- قال ابن العدیم فی بغیه الطلب ج ۱ ص ۴۶۱- ۴۶۲:« هذا مشهد النور إنما سمی بذلک لأنه رئی النور ینزل علیه مرارا، قال: و کان ابن أبی نمیر العابد یتعبد فیه، فاتفق أن نزل ملک الروم علی حلب محاصرا لها، فجاء الحلبیون إلی ابن أبی نمیر العابد، فقالوا: ادع اللّه لنا أیها الشیخ، قال: فسجد علی ترس کان عنده، و دعا اللّه تعالی، و سأله دفع العدو عن حلب، فرأی ملک الروم فی منامه تلک اللیله قائلا یقول له: ارحل عن هذه البلده، و إلا هلکت، أتنزل علیها و فیها الساجد علی الترس فی ذلک البرج، و أشار إلی البرج الذی فیه مشهد النور- و هو بالقرب من باب قنسرین فی برج من أسوار حلب، فیما بین برج الغنم و باب قنسرین. فانتبه ملک الروم، و ذکر المنام لأصحابه، و صالح أهل حلب، و قال: لا أرحل حتی تعلمونی من کان الساجد علی الترس فی ذلک البرج، فکشفوا عنه فوجدوه ابن أبی نمیر، و رحل ملک الروم عن حلب ... و هذا ابن أبی نمیر هو أبو عبید اللّه عبد الرزاق بن عبد السلام بن عبد الواحد بن أبی نمیر العابد الأسدی».

و قيل: هذا كان فى نزول أرومانوس على تبّل، سنه إحدى و عشرين و أربعمائه.

و كـان ابن أبى نمير من الأوليـاء الزهّـاد و المحـدّثين العلمـاء؛ و توفى بحلب فى سـنه خمس و عشـرين و أربعمـائه؛ و قبره بباب قنّسرين.

و يحتمـل أن يكون فى سـنه إحـدى و سـبعين، حين نزل فردوس على حلب و رحـل عنها عن صـلح، فى سـنه اثنتين و سـبعين و ثلاثمائه؛ فطلب من العزيز أن يوليه دمشق؛ و كاتب العزيز(۱) فى إنفاذ عسكر ليأخذ له حلب؛ فأنفذ إليه عسكرا، فنزل على حلب إلى أن نزل الدمستق أنطاكيه؛ فخاف أن يكبسه، فرحل عنها.

و لمـا يئس الدمسـتق من حلب، و خـاف على نفسه أن يقتله ملـك الروم، خرج إلى جهه حمص، فهرب بكجـور من حمص إلى جوسـيه، فكاتب الدمسـتق أهل حمص بالأمان؛ و أظهر لهم أنّه يسير إلى دمشق، و أنّه مهادن لجميع أعمال سعد الدّوله، فاطمأنوا إلى ذلك؛ و أمرهم بإقامه الزاد و العلوفه.

و هجم حمص فى ربيع الآخر من سنه ثلاث و سبعين و ثلاثمائه؛ و أحرق الروم الجامع، و كثيرا من البلد.

و كان استوحش أبو المعالى من بكجور، فأمره أن يترك بلده و يمضى.

و صعد بكجور إلى دمشق فوليها فى هذه السنه- أعنى سنه ثلاث- من

---

۱- العزيز الفاطمى ثانى الخلفاء الفاطميين فى مصر ۳۶۵- ۳۸۶ ه/ ۹۷۵- ۹۹۶ م].

قبل المصـريين، و جار على أهل دمشق، و ظلّم، و جمع الأموال لنفسه، فجرد إليه عسـكر من مصر مع منير الخادم فى سنه ثمان و سبعين.

و كان بكجور يخاف من أهل دمشق لسوء سـيرته؛ فبعث بعض عسـكره؛ فكسره منير، فأرسل إليه بكجور و بذل له تسليم دمشق، و الإنصراف عنها؛ فأجابه إلى ذلك؛ فرحل عن دمشق متوجها إلى حوّارين، فى شهر رجب من سنه ثمان و سبعين.

و مضـى إلى الرقه؛ و أقام فيها الدعوه للمصريين(۱). و كان سـعد الدّوله قد انتمى إلى المصـريين؛ و أقام الدعوه لهم بحلب، فى سنه ستّ و سبعين و ثلاثمائه، و وصلته خلع العزيز أبى المنصور، فى شعبان من هذه السنه فلبسها.

و مات الأمير قرغويه بحلب فى سنه ثمانين و ثلاثمائه.

ثم إنّ بكجور قوى أمره و اسـتفحل؛ و أخذ إليه أبا الحسن علىّ بن الحسـين المغربىّ؛ و اسـتوزره لمباينه حصـلت بينه و بين سعد الدّوله. و عاث على أعمال سـعد الدّوله؛ و جمع إليه بنى كلاب؛ و استغوى بنى نمير؛ فبرز مضرب الأمير سعد الدوله، يوم السبت الثانى و العشرين من محرّم سنه إحدى و ثمانين، إلى ظاهر باب الجنان.

و سار يوم السّبت سلخ المحرّم، على أربع ساعات؛ و قد كان بكجور

---

۱- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ۵۰- ۵۴.

سار إلى بالس، و حاصر من كان بها فامتنعوا عليه؛ فقصده سعد الدّوله، و التقوا على النّاعوره، فى سلخ المحرّم من سنه إحدى و ثمانين و ثلاثمائه.

و هزم بكجور، و هرب، و اختفى عند رحا القديمى(۱) على نهر قويق، و بثّ سعد الدّوله الناس خلفه، و ضمن لمن جاء به شيئا وافرا، فظفر به بعض الأعراب، و أتى به إلى سعد الدوله، فضرب عنقه صبرا بين يديه، ببندر النّاعوره، و صلبه على سبع ساعات من يوم الأحد مستهلّ صفر.

و رحل سعد الدّوله يوم الثلاثاء إلى بالس فوجد بكجور قد أخرب ربضها، فأقام بها أربعه أيّام.

و رحل حتّى أتى الرقه، و بها حرم بكجور و أمواله و أولاده، فتلقّاه أهل الرّقه بنسائهم، و رجالهم، و صبيانم، فأقام بها بقيّه يومه.

و نزل أهل الرقه، فاحتاطوا بحرم بكجور و أولاده، فآمنهم سعد الدوله، فى اليوم التّاسع من صفر، و تنجّزت أمورهم إلى يوم الخميس الثّانى عشر منه. و رضى عن أولاده، و اصطنعهم، و وهب لهم أموال بكجور، و حلف لهم على ذلك، فمدحه أبو الحسن محمد بن عيسى النّامى بقصيده أوّلها:

غرائز الجود طبع غير مقصودو لست عن كرم يرجى بمصدود

---

۱- تفاصيل ما أوجزه ابن العديم هنا متوفر عند ابن القلانسى ص ۵۸- ۶۵، و عنده« و وافى بكجور إلى رحا تعرف بالقيريمى على فرسخ من حلب مما يلى قنسرين».

و لمّا خرج أولاد بكجور بأموالهم و آلاتهم استكثرها سعد الدّوله، فقال له وزيره أبو الهيثم بن أبى حصين: «أنت حلفت لهم على مال بكجور، و من أين لبكجور هذا المال؟ بل هذه أموالك». فغدر بهم، و نكث فى يمينه، و قبض مال بكجور إليه، و كان مقداره ثمانمائه ألف دينار، و صادر نواب بكجور، و استأصل أموالهم.

ثم عاد إلى حلب فأصابه الفالج فى طريقه. و قيل: أصابه فى طريقه قولنج فدخل إلى حلب، و عولج فبرى ء. ثم جامع جاريه له، فأصابه الفالج، و استدعى الطبيب، و طلب يده ليجسّ نبضه، فناوله اليسرى، فقال:

«اليمين» فقال: «ما أبقت اليمين يمين» يشير إلى غدره، و نكثه فى اليمين التى حلفها لأصحاب بكجور.

و كان مبدأ علّته لأربع بقين من جمادى الأولى، و مات ليله الأحد لأربع بقين من شهر رمضان من سنه إحدى و ثمانين و ثلاثمائه و حمل فى تابوت إلى الرّقه، و دفن(۱) بها.

و كان قاضى حلب فى أيامه أبا جعفر أحمد بن اسحاق قاضى أبيه؛ ثم ولى قضاءها رجل هاشمىّ يقال له ابن الخشاب؛ ثم ولى الشّريف أبو علىّ الحسن بن محمد الحسينى والد الشّريف أبى الغنائم النسّابه؛ و كان زاهدا عالما ولاه سعد الدّوله قضاء حلب و عزل ابن الخشّاب عنه فى سنه ثلاث و ستّين؛

---

۱- فى ابن القلانسى ص ۶۷:« و حمل تابوته و دفن فى المشهد ظاهرها» و المشهد هو للامام على كرم اللّه وجهه و بعض شهداء صفين، و هو بجوار ما يعرف الآن بباب بغداد فى مدينه الرقه.

و دام فی ولايته إلى تسع و سبعين و ثلاثمائه؛ و ولى بعده أبو محمد عبيد اللّه بن محمد.

و كان العزيز أرسل إلى سعد الدوله يسأله إطلاق أولاد بكجور و تسييرهم إلى مصر فأهان الرسول، و لم يقبل الشفاعه، ورد عليه جواب متوعد متهدّد.

## [عهد سعيد الدوله]

[عهد سعيد الدوله](١)

ثم إنّ غلمان سعد الدوله ملّكوا ابنه أبا الفضائل سعيدا؛ و لقبوه سعيد الدّوله؛ و نصبوه مكان أبيه فی يوم الأحد. و صار المدبّر له و صاحب جيشه من الغلمان الأمير أبو محمد لؤلؤ الكبير السيفی، فاستولی علی الأمور و زوّج ابنته سعيد الدوله، فرفع المظالم و الرسوم المقرّره علی الرعيّه من مال الهدنه. وردّ الخراج إلی رسمه الأوّل؛ وردّ علی الحلبيين أملاكا كان اغتصبها أبوه و جدّه.

و طمع العزيز صاحب مصر فی حلب؛ فاستصغر سعيد الدوله بن سعد الدوله، فكتب إلی أمير الجيوش بنجوتكين الترکی؛- و كان أمير الجيوش واليا بدمشق من قبل العزيز- و أمره بالمسير إلی حلب و فتحها، فنزل فی جيوش عظيمه، و مدّبر الجيش أبو الفضائل صالح بن علیّ الرّوذباری.

فنزل علی حلب فی سنه اثنتين و ثمانين و ثلاثمائه؛ و فتح حمص و حماه فی طريقه، و حصر حلب مده، فبذل له سعيد الدّوله أموالا كثيره علی أن يرحل عنه و علی أن يكون فی الطّاعه، و يقيم الدعوه، و يضرب السكّه باسم العزيز، و يكتب اسمه علی البنود فی سائر أعماله.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

فامتنع من قبول ذلک و قاتل حلب ثلاثه و ثلاثین یوما، و ضجر أهل حلب فقالوا لابن حمدان: «إمّا أن تدبّر أمر البلد و إلا سلّمناه». فقال:

«اصبروا علیّ ثلاثه أیّام، فإنّ البرجی والی انطاکیه قد سار إلی نصرتی فی سبع صلبان»(١). فبلغ ذلک بنجوتکین، فاستخلف بعض أصحابه و هم: بشاره القلعی، و ابن أبی رماده، و معضاد بن ظالم، فی عسکر معهم کبیر علی باب حلب.

و سار فالتقی البرجی عند جسر الحدید، و بنجوتکین فی خمسه و ثلاثین ألفا و الروم فی سبعین ألفا، فانهزم البرجی؛ و أخذ بنجوتکین سواده و قتل من أصحابه مقتله عظیمه، و أسر خلقا کثیرا(٢).

فانحاز ابن أخت البرجیّ إلی حصن عمّ(٣)، فسار بنجوتکین إلی «عمّ»، فقاتل حصنها، و فتحه بالسیف؛ و أسر منها ابن أخت البرجی، و والی الحصن، و ثلاثمائه بطریق، و حصل عنده ألفا فارس و غنم من «عمّ» مالا کثیرا، و أحرقها و ما حولها؛ و وجد فی «عمّ» عشره آلاف أسیر من المسلمین فخرجوا و قاتلوا بین یدیه.

و سار إلی أنطاکیه فاستاق من بلدها عشره آلآف جاموس، و من البقر

---

١- الصلیب الرایه لحملها شاره الصلیب، و قصده هنا أنه توجه نحوه فی سبع قطع عسکریه.

٢- قدم ابن القلانسی ص ٧٠- ٧١، تفاصیل زائده علی ما أوجزه ابن العدیم.

٣- عم الآن فی ترکیه و اسمها ینی شهر، و هی مزرعه تتبع قضاء الریحانیه لواء الاسکندرونه، تکثر فیها الینابیع التی تشکل برکه عم إلی الجنوب من مدینه الریحانیه ب ٣ کم. المعجم الجغرافی للقطر العربی السوری.

و المواشى عددا لا يحصى؛ و سار من ظاهر أنطاكيه فى بلاد الروم حتى بلغ مرعش؛ فقتل، و أسر، و غنم، و خرّب، و أحرق.

و عاد إلى عسكره على باب حلب المعروف بباب اليهود، و قاتلها من جميع نواحيها، و كان هذا فى جمادى الأولى و جمادى الآخره، فأقام على حلب إلى انقضاء سنه اثنتين و ثمانين و ثلاثمائه، و عاد إلى دمشق.

ثم إنّه عاد، و خرج من دمشق فى سنه ثلاث و ثمانين و ثلاثمائه، و مدّبر الجيش أبو سهل منشا بن ابراهيم اليهودى القزّاز؛ فنزلوا شيزر و قاتلوها، و فتحوها، و أمّنوا سوسن الغلام الحمدانى- و كان واليا بها- و جميع من كان معه.

و سار بنجوتكين إلى أفاميه، فتسلمها من نائب سعيد الدوله ثم [سار] أمير الجيوش بمن انتخبه من العسكر إلى أنطاكيه، فغنموا بقرا و غنما، و رماكا(۱) و جواميس؛ و بلغوا نواحى بوقا، و قطعوا بغراس؛ و عاد العسكر إلى الرّوج(۲) ثم إلى أفاميه.

و سار إلى دمشق، و سيّر العزيز أبا الحسن على بن الحسين بن المغربىّ الكاتب، الذى كان وزيرا لسعد الدوله أبى المعالى مره، و فارقه عن وحشه- و هو والد الوزير أبى القاسم بن المغربى- فى المحرم من سنه أربع و ثمانين

---

۱- جمع رمكه و هى الفرس تتخذ للنسل.
۲- فى معجم البلدان: الروح: كوره من كور حلب المشهوره فى غربيها و بين المعره، و لها ذكر فى الأخبار». و أرجح أن يقال: فى جنوبى أنطاكيه بينها و بين أفاميه.

و ثلاثمائه، من مصر إلى بنجوتكين ليجعله مدبّر جيشه و الناظر فى أعمال الشام إن فتحت، لخبرته بتلك الناحيه. و سار معه عسكر كثير فوصل إلى دمشق.

و سار منها بنجوتكين و ابن المغربى فى ثلاثين ألف مقاتل، فوصلوا إلى ظاهر حلب فى شهر ربيع الآخر، و ضيّق عليها بالحصار، فاستنجد سعيد الدوله و لؤلؤ بالروم، فخرج البطريق البرجىّ والى أنطاكيه بعساكر الروم فنزل بالأرواج؛ على المقطعات على المخاض، و بثّ سراياه؛ و رتّب قوما يغيرون على أعمال حلب و يمنعون المتعلّفه.

و سار بنجوتكين فنزل مقابلهم، و سار عسكر حلب و فيهم الأمير رباح الحمدانىّ و كبار الحمدانيه، فنزلوا مع الرّوم على مخاضه أخرى؛ فقطع المغاربه الماء، و عبروا إليهم، و أنفذ بنجوتكين العرب مع قطعه من عسكره للقاء الحلبيين؛ فحين أشرفوا عليهم انهزموا عن المخاضه، و نهبتهم العرب.

فحين شاهد الروم ذلك انهزموا، و تخلّوا عن البرجى؛ و اضطروه إلى الهزيمه؛ و تبعهم المغاربه مع بنجوتكين فى يوم الجمعه لست خلت من شعبان سنه أربع و ثمانين و ثلاثمائه؛ فظفر بهم، و غنم الأموال و الرجال و الخيل التى لا تحصى؛ و قتل خلقا كثيرا، و أسر خلقا كثيرا من الروم، و سار فنزل على عزاز فأخذها.

ثم عاد إلى حصار حلب فبنى مدينه بازائها و شتى بها؛ و آثار العماره التى تظهر حول نهر قويق هى آثار تلك العمائر؛ و لم يزل على حلب إلى أن انقضت سنه أربع و ثمانين؛ و كان حصارهم حلب أحد عشر شهرا، و أكلوا الخيل و الحمير.

و أنفذ أبو الفضائل سعيد الدوله و لؤلؤ: أبا عليّ بن دريس إلى باسيل ملك الروم بالقسطنطينيه، يستنجدانه؛ و كانت له على حلب قطيعه تحمل إليه؛ و قالا له: «ما نريد منك قتالا دائما نريد أن تجفله».

فخرج باسيل فى ثلاثه عشر ألفا، و عسكر بنجوتكين لا خبر معهم لباسيل فسير باسيل جواسيس، و قال لهم: «امضوا إلى العسكر، و أعلموهم بى». و كانت دوابّ أمير الجيوش بمرج أفاميه، فى الربيع؛ فلما أخبر الجواسيس عسكر أمير الجيوس بوصول باسيل إلى العمق(۱)، ضرب جميع آلته بالنار، و رحل إلى قنّسرين، فصار هزيمه.

و جاء باسيل ملك الروم، فنزل موضعهم، فلم يمله؛ و كان قد خرج أبو الفضائل إلى ملك الروم؛ و شكره على ما فعل من رحيل بنجوتكين، و معه هديّه جليله القدر؛ فقبلها منه، ثم أعادها إلى حلب و وهب له القطيعه التى كانت له على حلب فى تلك السنه، فقال قسطنطين لأخيه الملك باسيل: «خذ حلب؛ و الشام ما يمتنع منك». فقال: «ما تسمع الملوك أنى خرجت أعين قوما فغدرت بهم». فقال له بعض أصحابه: «ليست حلب غاليه بغدره». فقال الملك: «بلى ولو أنها الدنيا»(۲).

---

۱- العمق سهل داخلى فى لواء اسكندرونه يقع بين جبال حلب و سمعان و حارم شرقا، و جبال الأمانوس أو اللكام غربا، و بين اللجه و وادى نهر الأسود شمالا، و هضبه القصير جنوبا، يبلغ أقصى امتداد له ۳۰ كم بين الشمال و الجنوب و ۲۵ كم بين الشرق و الغرب، كان يشغل مستنقع العمق منه مساحه ۲۲ ألف هكتار، و بحيره أنطاكيه ۱۰ آلاف هكتار، و يجرى بالسهل عده أنهار. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۲- كان الامبراطور باسيل الثانى عندما سمع بأخبار حصار حلب معسكر بعيدا عن القسطنطينيه- يحارب البلغار، فترك أرض المعركه، و حث الخطا نحو حلب بمن خف معه من قواته، فقطع مسافه ثلاثمائه فرسخ فى سته عشر يوما حتى وصل إلى حلب، حيث أخذ القوات الفاطميه على حين غره و أجبرها على رفع الحصار و الانسحاب ... انظر كتابى إماره حلب- ط. دمشق، دار الكتاب العربى ص ۳۷.

و کـان إذا خرج أبو الفضائـل إلى ملـك الروم أقـام لؤلؤ بحلب؛ و إذا خرج لؤلؤ أقـام أبو الفضائـل. و کـان قـد ضاق صـدر أبى الفضائل لطول الحصار، و أراد تسليم حلب إلى بنجوتكين.

فتوجّع لؤلؤ فركب إليه أبو الفضائل يعوده، فحجبه ساعه، فشقّ عليه، و انصرف مغضبا فلحقه لؤلؤ و قال له: «ما كنت عليلا، و إنّما أردت أن أعلمـك أنـک متى مضـيت إلى غير هـذا البلـد انک تحجب على أبواب الناس، و قـد شقّ عليك أنى حجبتک، و أنا عبدك، و البلد بلدك». فرجع إلى قول لؤلؤ.

و عصـى ربـاح السـيفىّ بالمعرّه على مولاه أبى الفضائل؛ فخرج إليه مع لؤلؤ فى سـنه ست و ثمانين، و انحاز إلى المغاربه، فخرج أبو الفضائل و لؤلؤ و حصراه مده، فورد بنجوتكين لنجدته فانهزما و دخلا حلب.

و خرج بسـيل إلى أفاميه بعد وقعه جرت للروم مع المغاربه فجمع عظام القتلى من الروم، و صلّى عليهم و دفنهم، و سار إلى شيزر ففتحها بالأمان من المغاربه، و ذلك فى سنه تسع و ثمانين و ثلاثمائه.

و سار ملك الروم إلى وادى حيران(۱)، فسبى منه خلقا عظيما من

---

۱- کـذا بالأصل و أرجـح أنها تصـحيف حيلان، هـذا و قال ياقوت: حيران: كأنه جمع حير، و هو مجتمع الماء، و اسم ماء ما بين سلميه و المؤتفكه، ذكره ابو الطيب المتنبى.

المسلمين؛ و خرج إليه أبو الفضائل من حلب إلى شيزر، فأكرمه و قال له:

«قد وهبت لک حلب». و وهب لأبی الفضائل فی جمله ما وهبه سطیل ذهب، و قال له: «اشرب بهذا».

و مات أبو الفضائل سعيد الدّوله، ليله السبت النصف من صفر سنه اثنتين و تسعين و ثلاثمائه، سقته جاريه سما، فمات. و قيل: إنّ لؤلؤ دسّ عليه ذلک و على ابنته زوجه أبی الفضائل، فماتا جميعا.

و كان قاضى حلب فى أيامه عبيد اللّه بن محمد بن أحمد القاضى أبا محمد.

و ملّک لؤلؤ السيفى ولديه:

أبا الحسن عليا و أبا المعالى شريفا ابنى سعيد الدوله. و استولى لؤلؤ على تدبير ملكهما، و ليس إليهما شى ء.

و خاف لؤلؤ على حصن كفر روما(۱)، و حصن عار، و حصن أروح، أن يقفز(۲) فيها، فهدمها جميعا سنه ثلاث و تسعين و ثلاثمائه.

و أحب لؤلؤ التفرد بالملک، فسيّر أبا الحسن و أبا المعالى ابنى سعيد الدوله عن حلب إلى مصر مع حرم سعد الدوله، فى سنه أربع و تسعين و ثلاثمائه. و حصل الأمر له ولولده مرتضى الدوله أبى نصر منصور بن لؤلؤ.

---

۱- كفر روما: من أشهر حصون منطقه معره النعمان، و كذلک كما يبدو الحصنين الآخرين. معجم البلدان.

۲- أى يستولى عليها خلسه أو بطريقه ما، و هذه طريقه للتعبير عرفها عصر ابن العديم.

و قبض لؤلؤ على أحمد بن الحسين الأصفر بخديعه خدعه بها؛ و ذلك أنه طلب أن يدخل إليه إلى حلب، و أوهمه أن يصير من قبله؛ فلما حصل عنده قبض عليه، و جعله فى القلعه مكرما، لأنه كان يهوّل به على الروم(۱).

و كان هذا الأصفر قد عبر من الجزيره إلى الشام مظهرا غزو الروم(۲)، فتبعه خلق عظيم، و كان يكون فى اليوم فى ثلاثين ألفا ثم يصير فى يوم آخر فى عشره آلاف و أكثر و أقل.

و نزل على شيزر و طال أمره فاشتكاه باسيل ملك الروم إلى الحاكم، فسيّر إليه والى دمشق فى عسكر عظيم فطرده عنها؛ و دام الأصفر معتقلا فى قلعه حلب إلى أن حصلت للمغاربه فى سنه ست و أربعمائه.

و توفى قاضى حلب أبو طاهر صالح بن جعفر بن عبد الوهاب بن أحمد الصالحى الهاشمى(۳)، مؤلف كتاب «الحنين إلى الأوطان»، فى سنه سبع و تسعين و ثلاثمائه. و كان فاضلا؛ و أظن أنّ ولايته القضاء كانت بعد أيام سعيد الدوله، بعد القاضى أبى محمد عبيد اللّه بن محمد بن أحمد.

---

۱- من أنواع المهدى المنتظر، و ظهر هذا بين قبائل حلب سنه ۳۹۴/ ۱۰۰۳ م و دعا إلى الجهاد ضد الروم، مما سبب اضطرابا فى الأراضى البيزنطيه، فأوعز الامبراطور باسيل الثانى إلى لؤلؤ بالقبض عليه فغرر به و تخلص منه. انظر كتابى اماره حلب ص ۳۶.

۲- كان هناك أصفر آخر نشط فى أراضى الجزيره و قد قبض عليه نصر الدوله ابن مروان حاكم ميافارقين. إماره حلب ص ۳۶.

۳- له ترجمه فى مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ۱۲ ص ۳۲.

و ولّی لؤلؤ قضاء حلب فی هذه السنه أبا الفضل عبد الواحد بن أحمد بن الفضل الهاشمی.

و توفی لؤلؤ الکبیر بحلب فی سلخ ذی الحجه من سنه تسع و تسعین و ثلاثمائه. و قیل: لیله الأحد مستهل المحرّم سنه أربعمائه؛ و دفن بحلب، فی مسجده المعروف به، فیما بین باب الیهود و باب الجنان؛ و کانت داره القصر بباب الجنان؛ و له منها إلی المسجد سرب یدخل فیه إلی المسجد، فیصلی فیه.

و کان لؤلؤ یعرف بلؤلؤ الحجراجی(۱)؛ و یعرف بذلک لأنه کان مولی حجراج، أحد غلمان سیف الدوله؛ فأخذه منه و سمّاه لؤلؤ الکبیر. و کان عاقلا، محبا للعدل، شهما؛ و ظهرت منه فی بعض غزوات سیف الدوله شهامه، فتقدّم علی جماعه رفقته من السیفیه و السعدیه.

---

۱- فی أخبار الدوله المنقطعه- الدوله الحمدانیه- ص ۵۷: لؤلؤ الحمدانی، لؤلؤ الجراحی.

## [عهد منصور بن لؤلؤ]

[عهد منصور بن لؤلؤ](۱)

و تقرّرت إماره حلب بعده لابنه:

أبی نصر منصور بن لؤلؤ و لقّب مرتضی الدوله.

و کان ظالما عسوفا، فأبغضه الحلبیّون و هجوه هجوا کثیرا فمما قیل فیه:

لم تلقّب و إنّما قیل فألامرتضی الدّوله التی أنت فیها

و سیّر مرتضی الدوله ولدیه أبا الغنائم و أبا البرکات إلی الحاکم وافدین علیه، فأعطاهما مالا جسیما؛ و أقطعهما سبع ضیاع فی بلد فلسطین، و لقّب أباهما مرتضی الدوله، و کان ذلک قبل موت لؤلؤ بسنه(۲).

و کان لسعد الدوله بن سیف الدوله بحلب ولد یقال له أبو الهیجاء، و کان قد أوصی سعد الدوله لؤلؤا لما مات به؛ فلما أن ملک لؤلؤ خاف منه، و ضیّق علیه لؤلؤ و مرتضی الدوله؛ و کان قد صاهر ممهد الدّوله أبا منصور أحمد بن مروان صاحب دیار بکر علی ابنته؛ و أظن ذلک کان فی أیام أبیه.

---

۱- أضیف ما بین الحاصرتین للتوضیح.

۲- انظر کتابی إماره حلب ص ۳۹.

فخاف أبو الهيجاء من لؤلؤ و ابنه مرتضى الدوله، فتحدّث مع رجل نصرانى يعرف بملكونا كان تاجرا و بزّازا لمرتضى الدوله، فأخرجه من حلب هاربا، و التجأ إلى ملك الروم فلقبه الماخسطرس.

فلما كثر ظلم منصور و عسفه رغب الرعيه و بنو كلاب المتدبّرون ببلد حلب فى أبى الهيجاء بن سعد الدوله؛ و كاتبوا صهره ممهّد الدّوله ابن مروان فى مكاتبه باسيل ملك الروم فى إنفاذه إليهم.

فأنفذ إلى الملك يسأله تسيير أبى الهيجاء إليه ليتعاضدا على حلب، و يكون من قبله من حيث لا يكلفه إنجاده برجال و لا مال.

فأذن باسيل لأبى الهيجاء فى ذلك، فوصل إلى صهره بميّافارقين، فسيّر معه مائتى فارس و خزانه؛ و كاتب بنى كلاب بالانضمام إليه.

و سار قاصدا حلب فى سنه أربعمائه فخافه منصور، و رأى أن يستصلح بنى كلاب و يقطعهم عنه، لتضعف منّته؛ فراسلهم و وعدهم بإقطاعات سنيه؛ و حلف لهم أن يساهمهم أعمال حلب البرّانيّه.

و استنجد مرتضى الدوله بالحاكم، و شرط له أن يقيم بحلب واليا من قبله، فأنفذ إليه عسكر طرابلس مع القاضى علىّ بن عبد الواحد بن حيدره قاضى طرابلس، و أبى سعاده القائد والى طرابلس، فى عسكر كثيف فالتقوا بالنقره.

و تقاعد العرب عن أبى الهيجاء لما تقدّم من وعود مرتضى الدوله لهم،

فانهزم أبو الهيجاء راجعا إلى بلد الروم و نهبت خيامه و جميع ما كان معه.

ثم دخل إلى القسطنطينيه فأقام بها إلى أن مات(۱).

و كان الحاكم قد كتب لمنصور بن لؤلؤ فى شهر رمضان من سنه أربع و أربعمائه سجلا، و قرى ء فى القصر بالقاهره، بتمليكه حلب و أعمالها؛ و لقّب فيه بمرتضى الدوله.

و كان فى قلعه عزاز غلام من غلمان مرتضى الدوله فاتهمه فى أمر أبى الهيجاء، فطلب مرتضى الدوله منه النزول فلم يفعل، و خاف منه و قال:

«ما أسلّمها إلا إلى القاضى ابن حيدره» فسلمها إليه.

و كتب القاضى فيها كتابا إلى الحاكم، و سلّمها إلى مرتضى الدوله، فنقم عليه، و قتله بعد ذلك.

و أما أبو الهيجاء فأقام بالروم إلى أن مات.

و عاد قاضى طرابلس إلى منصور يطلب منه ما كان وعده به، فدافعه، فرجع إلى طرابلس خائبا ..

و كان أبو المعالى بن سعيد الدوله بمصر، فسيّره الحاكم بعساكر المغاربه إلى حلب، فوصل معرّه النّعمان فى سنه اثنتين و أربعمائه؛ و أرادت العرب الغدر به، و بيعه من مرتضى الدوله، لأنهم أغاروا. و ركب يريدهم، فأخذه مضى ء الدوله نصر اللّه بن نزّال وردّه إلى العسكر، و رجع فمات بمصر(۲).

---

۱- عالجت هذا الموضوع فى كتابى إماره حلب ص ۳۹- ۴۲.

۲- إماره حلب ص ۴۲.

## [قيام الدوله المرداسيه]

### اشاره

[قيام الدوله المرداسيه](۱)

و أما بنو كلاب فانهم طلبوا من مرتضى الدوله ما شرطه لهم من الإقطاع، فدافعهم عنه، فتسلطوا على بلد حلب، و عاثوا فيه، و أفسدوا، و رعوا الأشجار و قطعوها، و ضيّقوا على مرتضى الدوله، فشرع فى الاحتيال عليهم، و أظهر الرغبه فى استقامه الحال بينهم و بينه و طلبهم أن يدخلوا إليه ليحالفهم و يقطعهم و يحضروا طعامه، و اتخذ لهم طعاما.

فلما حصلوا بحلب مدّ لهم السماط و أكلوا و غلّقت أبواب المدينه، و قيّد الأمراء: و فيهم صالح بن مرداس، و فيهم أبو حامد و جامع ابنا زائده.

و جعل كبار الأمراء بالقلعه، و من دونهم بالهرى. و قتل منهم أكثر من ألف رجل، و ذلك لليلتين خلتا من ذى القعده من سنه اثنتين و أربعمائه(۲).

فجمع مقلّد بن زائده من كان من بنى كلاب خارج حلب، و أجفل بالبيوت، و نزل بهم كفر طاب و قاتلها، فرماه ديلميّ اسمه بندار فقتله، فى

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- يعد هذا الحادث مقدمه لنهايه الدوله الحمدانيه و اسبابها و بدايه لقيام الدوله المرداسيه. انظر المعالجه المفصله لهذه المسأله فى كتابى إماره حلب ص ۴۲- ۴۵.

أوائل سنه ثلاث و أربعمائه. و كان مرتضى الدوله قد أخرج أخويه أبا حامد و جامعا و غيرهما؛ و جعلهم فى حجره، و جعل فيها بسطا، و أكرمهم لأجل مقلّد. فلما جاءه خبر قتله أنفذ إليهم يعزّيهم به فقال بعضهم لبعض: «اليوم حبسنا».

و سيّر مرتضى الدّوله إلى صالح بن مرداس، و هو فى الحبس، و ألزمه بطلاق زوجته طرود، و كانت من أجمل أهل عصرها؛ فطلّقها، و تزوجها منصور، و هى أم عطيه بن صالح، و إليها ينسب مشهد طرود، خارج باب الجنان، فى طرف الحلبه. و به دفن عطيه ابنها؛ و مات أكثر المحبّسين بالقلعه فى الضرّ، و الهوان، و القله، و الجوع.

و كان مرتضى الدوله فى بعض الأوقات إذا شرب يعزم على قتل صالح، لحنقه عليه من طول لسانه، و شجاعته. فبلغ ذلك صالحا، فخاف على نفسه، و ركب الصعب فى تخليصها؛ و احتال حتى وصل إليه فى طعامه مبرد؛ فبرد حلقه قيده الواحده، و فكّها و صعبت الأخرى عليه، فشدّ القيد فى ساقه، و نقب حائط السجن؛ و خرج منه فى اللّيل؛ و تدلّى من القلعه إلى التلّ، و ألقى نفسه فوقع سالما ليله الجمعه مستهل المحرم سنه خمس و أربعمائه.

و استتر فى مغازه بجبل جوشن، و كثر الطلب له و البحث عنه، عند الصباح؛ فلم يوقف له على خبر، و لحق بالحّله؛ و اجتمعت إليه بنو كلاب؛ و قويت نفوسهم بخلاصه، و بعد سته أيام ظفر صالح بغلام لمنصور كان قد

أعطاه سيف صالح، فاستعاده منه و أيقن بالظفر، و تفاءل بذلك(۱).

و لما كان فى اليوم العاشر من صفر نزل صالح بتلّ حاصد(۲) من ضياع النقره يريد قسمتها، بعد أن جمع العرب و استصرخهم؛ و كان يعلم صالح محبه مرتضى الدوله لتل حاصد.

فحين علم منصور بنزول صالح على تلّ حاصد، رأى أن يعاجله قبل وصول المدد إليه، فجمع جنده، و حشد جميع من بحلب من الأوباش، و السّوقه، و النّصارى، و اليهود؛ و ألزمهم بالسّير معه إلى قتال صالح؛ فخرجوا ليله الخميس ثانى عشر صفر من سنه خمس و أربعمائه.

و بلغنى: أنّ مرتضى الدّوله لما وصل إلى جبرين(۳) تطيّر و قال: جبرنا؛ فلمّا وصل بوشلا(۴) قال: شللنا؛ فلمّا وصل تلّ حاصد قال: حصدنا.

و أصبح عليهم يوم شديد الحرّ فماطلهم صالح باللّقاء، إلى أن عطش العوام و جاعوا؛ و سيّر جاسوسا إلى العسكر فجاء و أخبره أنّ معظم عسكره

---

۱- المرجح أن هروب صالح تمّ على غير هذه الصوره، و أن الأمر دبّر مع متولى قلعه حلب أو سواه. انظر إماره حلب ص ۴۵.

۲- فى منطقه السفيره- محافظه حلب، قريه اسمها الآن تل حاصل واقعه شمال جبل الأحص، فلعلها هى التى عرفت من قبل باسم تل حاصد. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۳- جبرين مزرعه قرب حلب تبعد عنها مسافه ۸ كم نحو الشرق. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۴- فى منطقه أريحا- محافظه ادلب- معلم أثرى اسمه« بشلله»، فلعله المقصود هنا، المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

من اليهود، و النّصارى؛ و أنّه سمع يهوديا يقول لآخر بلغتهم: «والك حفيظه اطعزه و اتأخّر، و إيّاك يكون خلفه آخر يطعزك بمطعازه، يخعّب بيتک للدّواغيث»(۱).

فقوى طمع صالح فيهم، و حمل عليهم فكسرهم؛ و أسر مرتضى الدّوله و سالم بن مستفاد، أبا المرجّا(۲) الحمدانىّ، و خلقا غيرهما.

و قتل جمع كثير من العسكر و مقدار ألفى راجل من العوام؛ و آثار عظامهم إلى اليوم مدفونه فى أرجام حجاره شبيهه بالتلال، فيما بين تلّ حاصد و بوشلا.

و انهزم أبو الجيش و أبو سالم أخو مرتضى الدّوله؛ و قصد القلعه فضبطها أبو الجيش المفلول، و ضبط البلد أخوه أبو الجيش و أمّه.

و حدّث بنو كلاب أنّهم لم يروا و لم يسمعوا بأشجع من مرتضى الدّوله، و أنه لو لم يقف به الحصان ما وصلو إليه، و أنّه لما وقف به الحصان لم يقدم عليه أحد حتى جاءه صالح، فقال: «إلىّ يا مولانا». فرمى السّيف من يده؛ فلما رماه تقرّبوا منه؛ و أخذه صالح فقيّده بالقيد الذى كان فى رجله.

و كان بين هرب صالح و أسره مرتضى الدّوله أحد و أربعون يوما.

و رأى صالح أنّه لا قدره له على أخذ البلد لضبطه بأبى الجيش، فرأى

---

۱- اطعزه: اطعنه، اضربه، ادفعه. يخعب: يخرب. الدواغيث الدواويث جمع ديوث فيما أرجحه.

۲- لسالم بن مستفاد ترجمه فى بغيه الطلب ص ۴۱۶۱- ۴۱۶۳.

أن يوقع الصلح؛ فتراسلوا فى ذلك؛ و أشركوا أبا الجيش فى تقرير ذلك؛ فخرج مشايخ من أهل حلب من أبى الجيش فى حديث الصلح و تقريره.

فلما وصلوا إلى صالح سلّموا عليه غير هائبين له و لا مبجّلين، لقرب عهدهم برؤيته أسيرا حقيرا؛ و كلّموه بكلام جاف؛ و راددوه فى شروط شرطها عليهم؛ فأحسّ منهم بذلك، فقال لهم: «قبل أن نتفرق بيننا أمر، اجتمعوا بأميركم، و شاوروه فيما تتحدثون به معى من الشروط».

قال: فقاموا، و دخلوا على مرتضى الدّوله، و فيهم الشاهدان اللّذان شهدا على صالح بطلاق طرود، فوجدوا مرتضى الدّوله على أقبح صوره مكشوف الرأس، على قطعه من كساء خلق، و القيد قد أثّر فى ساقيه فاحتقروه؛ و عظم صالح فى أعينهم؛ فهنأوه بالسّلامه؛ فقال: «سلامه العطب أصلح منها»؛ ثم قال: «إنّ الأمير صالح يطلب منّى طلاق طرود، فاشهدوا علىّ أنها طالق؛ و يطلب منّى تسليم حلب؛ و لست الآن مالكها، فدبّروا الأمر على حسب ما ترونه و يستصوبه أخى أبو الجيش، الذى هو الآن المستولى على القلعه و المدينه».

فلم يزالوا يتردّدون بينهما؛ و يدخلون إلى حلب، و يشاورون أبا الجيش إلى أن استقرّ الأمر مع صالح بعد التضرّع إليه و سؤاله باللّطف فى كلام خلاف ما بدأوه به على أن يطلق منصور؛ على أن يحمل إليه خمسين ألف دينار عينا؛ و مائه و عشرين رطلا بالحلبىّ فضه؛ و خمسمائه قطعه ثياب أصنافا مختلفه؛ و يطلق جميع من فى الحبوس من بنى كلاب و حرمهم؛ و أن يقاسمه

باطن حلب و ظاهرها شطرين؛ و يجعل ارتفاع ذلك نصفين؛ و أن يزوجه مرتضى الدوله بابنته.

فأجاب إلى ذلك و وقعت اليمين عليه؛ و أخرج إلى صالح أمه بجيلاء و زوجته أم الكرم ابنه رباح السّيفى، و أولاده منها: أبا الغنائم، و أبا على، و أبا الحسن، و أبا البركات، رهائن على المال.

و أطلق مرتضى الدّوله فدخل إلى حلب يوم السبت لسبع بقين من صفر سنه خمس و أربعمائه، فلمّا حمل المال إلى صالح، خلّى سبيل الرهائن؛ و باع كلّ واحد من العرب ما حصل فى يده من الغنيمه و الأسارى من الجند و غيرهم من الرعيّه المسلمين و أهل الذّمه لأهاليهم بما اتفق؛ و استغنى العرب و قويت شوكتهم.

و لما حصل منصور إلى حلب عاد إلى عادته الأولى فى الغدر، و منع صالحا ما صالحه عليه من ارتفاع البلاد و التزوّج بابنته؛ فضيّق صالح عليه، و حاربه، و منع الميره أن تدخل إليه حتى ضاقت على الرّعيّه فكرهوه(۱).

و انضاف إلى ذلك أنه وقعت التّهمه بين مرتضى الدّوله و بين غلامه فتح القلعى- و كان والى القلعه- فى العاشر من شهر رجب من سنه ست؛ فاتهمه بأنّه هو الذى هرّب صالحا، و تتابع لومه له، و قال: لولا قلّه تحفّظه و تضجيعه

---

۱- تطور الصراع بين صالح بن مرداس و منصور بن لؤلؤ، إلى درجه عرضه على الامبراطور البيزنطى باسيل الثانى. انظر اماره حلب من ۴۵- ۴۷.

فی الاحتیاط علی صالح لما هرب من السّجن؛ و هذه المحن کلّها بسببه.

و تواعده.

و عزم علی أن یوّلی قلعه حلب صاحبا له یعرف بسرور، فأسرّ ذلک إلیه؛ فنمّ الخبر من سرور إلی رجل یقال له ابن غانم صدیق لفتح، فأطلعه علی ذلک؛ فخاف فتح القلعیّ منه، فوافق المقیمین معه علی العصیان؛ فأجابوه إلی ذلک.

و طلب نزوله فتعلّل، و أخذ حذره منه؛ ثم کاشفه بالعصیان؛ فصعدت إلیه بجیلا والده مرتضی الدوله و عنّفته، فلم یصغ إلی قولها، فقالت له: «کیف تفعل هذا مع ابن سیدک؟»- لأنه کان مولی لؤلؤ السّیفی- فقال: «کما فعل هو و أبوه بأولاد سیّده»- یعنی بولدی سعد الدّوله أبی الفضائل و أبی الهیجاء-.

ثم أنفذ فتح إلیه و قال له: «إمّا أن تخرج من حلب، و إلا سلمت القلعه إلی صالح». فبینا مرتضی الدوله فی قصره سنه ست و أربعمائه، إذ ضربت البوقات و الطبول علی القلعه، و صاح من فیها: «الحاکم یا منصور؛ صالح یا منصور» فظنّ منصور أن صالحا قد حصل فی القلعه، ففتح باب الجنان؛ و هرب هو و أخوه و أولاده، و من تبعه من غلمانه إلی أنطاکیه؛ و أخذ معه ما قدر علی حمله من المال.

فلما علم أهل حلب بخروجه قصدوا داره؛ فأخذوا منها من الذّهب و الفضّه و المراکب و الأثاث ثمانین ألفا من الدّنانیر.

و أخذ فى جمله ما نهب له ثمانيه و عشرون ألفا من الدّفاتر المجلّده، و كانت مفهرسه بخطّه فى درج؛ و نهبوا دور إخوته و دور بعض النّصارى و اليهود(۱).

و وصل مرتضى الدّوله إلى أنطاكيه لخمس بقين من شهر رجب، فطالع قطبان(۲) أنطاكيه الملك باسيل بهرب منصور إليه؛ فأنفذ إليه يأمره باكرامه، و أن يواصله براتب و إقامه، و كذلك برزق أجناده و أصحابه؛ ففعل ذلك، و كان جملتهم سبعمائه رجل من فارس و راجل؛ و أن لا ينقصه فى المخاطبه و الكرامه من الرسم الذى كان يخاطبه به فى أيّام امارته، و أمر أن يلقّب بالماخسطرس.

و استدعى الملك إخوته و ابنيه: أبا الغنائم، و أبا البركات؛ فخلع عليهم؛ و أنفذ على أيديهم توقيعا باقطاع عدّه ضياع له و لهم؛ و كان من جملتها شيح ليلون(۳)؛ فعمر مرتضى الدوله حصنها، و سكن فيه ليقرب عليه ما يحتاج إلى معرفته من أمور حلب.

أما مرتضى الدوله فانه عمر إلى أن قدم أرمانوس من القسطنطينيه؛ و نزل على تبّل فى سنه إحدى و عشرين و أربعمائه، و كان معه إذ ذاك، و توفى بعد ذلك(۴).

---

۱- بهذه الواقعه انتهى حكم الدوله الحمدانيه فعليا من حلب، و يعتقد أن للخلافه الفاطميه دورها فى عصيان فتح على منصور بن لؤلؤ. اماره حلب ص ۴۸- ۵۰.

۲- Catapan أى حاكم.

۳- هى فى بغيه الطلب ج ۱ ص ۲۳۳« شيخ اللون»، فى منطقه أنطاكيه.

۴- سترد أخبار حمله الامبراطور رومانوس الثالث على حلب بعد مقتل صالح بن مرداس.

## [الحكم الفاطمى لحلب]

[الحكم الفاطمى لحلب](۱)

و أما فتح القّلعى أبو نصر فإنه نادى بشعار الحاكم صاحب مصر؛ و صالح صالح بن مرداس على نصف الارتفاع ظاهرا و باطنا؛ و سلّم إليه حرم منصور و حرم إخوته و أولاده، ليسيّرهم إلى ابن لؤلؤ إلى أنطاكيه؛ و فى الجمله بنته التى وعده أن يزوّجه بها؛ فأخرجهم صالح إلى الحلّه و ضبط عنده بنته التى وعده بتزويجها منه؛ و دخل إليها و أنفذ إليه بقيّه الحرم.

و تسلّم صالح الأعمال و الضّياع التى تقرّر مع ابن لؤلؤ أن يدفعها إليه. و استدعى والى أفاميه أبا الحسن علىّ بن أحمد العجمىّ المعروف بالضّيف، فأنزله بالمدينه بالقصر بباب الجنّان، فى أوائل شعبان من سنه ست و أربعمائه.

و بقى «فتح» بالقلعه فأحسن «الضّيف» السيره؛ وردّ على الحلبيّين ما كان قد اغتصبه سيف الدوله و ولده من أملاكهم؛ و بالغ فى العدل(۲).

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- كان صالح بن مرداس معاديا لسقوط حلب للفاطميين، و كذلك فعلت الامبراطوريه البيزنطيه، مما سيؤدى إلى تطورات سريعه تقود نحو تأسيس حكم الدوله المرداسيه. اماره حلب ص ۵۰- ۵۱.

و كاتب «فتح» الحاكم يخبره بما فعل، فوردت مكاتبه الحاكم إليه يتضّمن شكره على ما فعل، و لقّبه مبارك الدوله و سعيدها.

و كتب إلى أبى الحسن الضّيف يأمره بمعاضدته، و لقّبه سديد الدوله، و كتب إلى صالح بن مرداس يأمره بالاتفاق معهما، و لقّبه أسد الدوله.

و كتب لأهل حلب توقيعا باطلاق المكوس و المظالم، و الصفح عن الخراج؛ و هو عندى متوّج بعلامه الحاكم عليه: «الحمد للّه ربّ العالمين». و نسخته:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

هذا من أمر الإمام الحاكم بأمر اللّه أمير المؤمنين لجميع أهل حلب و أعمالها ..

إنّه لمّا انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنتم فيه من الظلمه المدلهمّه، و قبيح ظفر(۱) من يتولّى أموركم فى المعاملات و زيادتهم عليكم فى الخراج و الجبايات، إضعافا لكم، و عدولا عن سنن الحقّ بكم، أمر- زاد اللّه أمره علوا و نفاذا- بإطلاق المؤن من داركوره و نظائرها؛ و الصّفح عن الواجب عليكم من مال الخراج لاستقبال سنه سبع و أربعمائه، لتعلموا أن ضياء الدّوله النّبويّه قد لمع و ظهر، و أنّ حندس الظلام قد انجاب و دثر».

و ذكر تمامه.

---

۱- كذا بالأصل، و أراها تصحيف« نظر».

و وصل من قبل الحاكم والی طرابلس مختار الدوله ابن نزال الکتامی؛ و والی صیدا مرهف الدّوله بجکم الترکی؛ و کانوا جمیعا فی البلد من قبل الحاکم.

ثم کتب الحاکم إلی حسّان بن المفرّج بن الجرّاح الطائی(۱) و عشیرته، و سنان بن علیان الکلبیّ و عشیرته(۲)، بالاحتیاط علی حفظ حلب، و أتبع ذلک بمکاتبه إلی «فتح»، یمنّیه و یعده الجمیل إذا سلّم القلعه. فأجاب إلی تسلیمها؛ و أخذ جمیع ما کان بها من الذّخائر لمنصور من عین، و ورق، و متاع، و سلاح.

و کتب بولایه صور، فسلّم القلعه إلی الأمیر عزیز الدوله أبی شجاع فاتک، فی شهر رمضان من سنه سبع و أربعمائه(۳). و کان الحاکم قد خلع علیه فی جمادی الأولی من سنه سبع و أربعمائه. و حمله علی عده من الخیل بسروج محلاه بذهب مصفّحه؛ و قلّده سیفا و منطقه بمنطقه و سیّره إلی حلب.

و توجّه «فتح» إلی صور. و ولّی «الضّیف» بحلب فی سنه سبع

---

۱- لحسان بن المفرج ترجمه فی بغیه الطلب ص ۲۲۳۹- ۲۲۴۱.

۲- سترد بعد قلیل أخبار الحلف الثلاثی فیما بین صالح بن مرداس و سنان بن علیان، و حسان بن المفرج ضد الخلافه الفاطمیه.

۳- بهامش الأصل: مطلب:« و قد کان صالح راسل فتحا و أشار علیه أن یقیم بالقلعه و یکون هو خارج حلب و أن نتفق علی إخراج المغاربه من حلب و الاجتماع علی حفظها. فعلم أهل حلب بذلک فاجتمعوا تحت القلعه، و قالوا: ما نرید إلا المغاربه، و لا رغبه لنا فی البادیه. و صارت فتنه، فکتب الضیف إلی الحاکم یطلب منه أن یمده بالعساکر لتقوی یده علی صالح؛ فسیّر إلی ولاه البلاد یأمرهم بالتوجه إلیه ه.».

و أربعمائه، حين تولّى، القاضى أبا جعفر محمد بن أحمد السمنانى الحنفى القضاء بحلب.

و كان عزيز الدوله أرمنيا لبنجوتكين مولى العزيز صاحب مصر. و كان بنجوتكين شديد الشّغف به؛ و كان أديبا عاقلا، كريما، كبير الهمّه. فولاه الحاكم حلب و أعمالها؛ و لقّبه أمير الأمراء، عزيز الدوله، و تاج الملّه. و دخل حلب يوم الأحد الثانى من شهر رمضان من سنه سبع و أربعمائه.

و كان محبّا للأدب و الشّعر. و صنّف له أبو العلاء بن سليمان «رساله الصّاهل و الشّاحج» و «كتاب القائف».

و فيه يقول القائد أبو الخير المفضّل بن سعيد العزيزىّ شاعره يمدحه، و يذكر و قود قلعه حلب ليله الميلاد، و كان الغيم قد ستر النجوم:

ابق للمعروف و الأدب آمنا من صوله النّوب

يا عزيز الدّوله الملك المنتضى للمجد و الحسب

كيف يخشى الدّين حادثهو عزيز الدّين فى حلب

سدّ منه ثغرها بفتى لا يشوب الجدّ باللّعب

أضرم العنقاء قلعته فبدت فى منظر عجب

لزّت الأرض السّماء بهافثنت كشحا على وصب

و رمتها بالشرار كمارمت الغبراء بالشّهب

أوقدت تحت الغمام فمايلقها من مزنه يذب

سخنت حوض الحيا فهمى بجحيم عنه منسكب

لو تدوم النّار نشّفه حرّ ما يلقى فلم يصب

طلعت شمس النّهار بهاو الدّجى مسدوله الحجب

فلو أنّ النار لاحقهبالنّجوم الزّهر من كثب

حكت الشّماء غانيهحلّيت بالدّر و الذّهب

حاربتها الريح فاضطّرمت غضبه من شدّه الغضب

جاذبتها فى تغيّظهاشعلا محمرّه العذب

يا أمير الآمرين و يامستجار القصد و الطّلب

قد نفيت اللّيل عن حلب نفى مظلوم بلا سبب

و تركت الشّمس حائرهفى دجى الظّلمأء لم تغب

و عزيز الدوله هذا، هو الذى جدّد القصر تحت قلعه حلب؛ و تناهى فى عمارته؛ و حمّام القصر كانت له، و جعله ملاصقا لسفح القلعه؛ و قصد بعمارته قربه إلى القلعه، خوفا مما جرى لمرتضى الدوله. و كان متّصلا بالقلعه و هو الذى أمر بعماره القناديل الفضّه للمسجد الجامع، و هى باقيه إلى الآن و اسمه عليها.

و كلّف عزيز الدوله أسد الدّوله صالح بن مرداس أن يحمل والدته إلى حلب، لتسكن الأنفس و يعلم العوامّ التئام الكلمه و التضافر على الأعداء، ففعل ذلك فى سنه ثمان و أربعمائه.

ثم إنّ عزيز الدوله تغيّر عليه الحاكم فعصى عليه، و ضرب الدينار و الدّرهم باسمه بحلب، و دعا لنفسه على المنبر، فأرسل الحاكم إلى الجيوش، و أمرها أن تتجهزّ إليه فى سنه إحدى عشره و أربعمائه.

فلما بلغ عزيز الدوله ذلك أرسل إلى باسيل ملك الرم يستدّعيه ليسلّم إليه حلب، فخرج باسيل الملك؛ فلمّا بلغ موضعا يعرف بمرج الدّيباج(۱)، بلغ عزيز الدوله وفاه الحاكم، فأرسل إلى باسيل يعلمه أنّه قد انتقض ما كان بينهما من الشرّط، و أنّه إن ظهر كان هو و بنو كلاب حربا له.

فعدل باسيل إلى مناز كرد(۲) فأخذها من الخزر، و كان الناس قد أجفلوا من ملك الرّوم إلى حلب؛ فكانت هذه الجفله تسمى جفله عزيز الدوله لأنها بسببه.

و لما اطمأن عزيز الدّوله بموت الحاكم، و وصلته من الظّاهر الخلع من مصر؛ و دخل غلام له يدعى تيزون، و كان هنديا؛ و كان يميل إليه؛ و دخل فى أوّل الليل عليه، و هو نائم فى المركز، و فى يده سيف مجرّد مستور فى كمّه ليقتله، فوجد صبيا من رفقته يغمزه فلما رآه الصبىّ حرّك مولاه ليوقظه، فبادر الهندى، و ضربّ عزيز الدوله فقتله، وثّنى بالصبىّ، و قتل الهندى. و ذلك كله لأربع ليال خلت من شهر ربيع الآخر، سنى ثلاث عشره و أربعمائه(۳).

و عمل شاعره المفضّل بن سعيد:

لحمامه المقضىّ ربّى عبده و لنحره المفرىّ حدّ حسامه

---

۱- واد عجيب المنظر نزه بين الجبال، بينه و بين المصيصه عشره أميال. معجم البلدان.

۲- بلد مشهور قرب خلاط، كان يعد فى أرمينيه، ليس بعيدا عن بحيره وان و فيه ستحصل المعركه الحاسمه بين السلطان ألب أرسلان و الامبراطور البيزنطى رومانوس دايجينس.

۳- عالجت ملابسات اغتيال عزيز الدوله فى كتابى إماره حلب ص ۵۲- ۵۴، و يبدو أنه كان للخلافه الفاطميه دورها الكبير.

و کان الوالی بالقلعه، من قبل عزیز الدوله، أبا النجم بدرا الترکیّ مملوکا کان لبنجوتکین مولی عزیز الدوله فاتک؛ و کانت بینهما فی أیام بنجوتکین صداقه و مودّه بحکم المرافقه(۱).

فلما تقدّم عزیز الدّوله قرّبه و اصطفاه، و ولاه القلعه بحلب من قبله.

و قیل: إنه مملوک لعزیز الدّوله، و یعرف ببدر الکبیر. و قیل: إنّه هو الذی حمل تیزون علی قتل عزیز الدّوله؛ فلما قتل استولی علی البلد، یوم الأحد العاشر من شهر ربیع الآخر سنه ثلاث عشره و أربعمائه، و لقّب وفیّ الدوله و أمینها.

و کان کاتب بدر رجلا یقال له ابن مدبّر إلی أن وردت العساکر المصریه من جهه الظّاهر؛ و زعیمها سدید الدوله علی بن أحمد الضّیف؛ فتسلّم حلب من وفیّ الدّوله بدر.

و لما دخل الضّیف علی بدر بکتاب الظّاهر، لطف به، و استرسل إلیه، و طرح القید فی رجله، و قبض علیه، و انزله من القلعه، و تسلّمها منه، فسلّمها إلی صفیّ الدّوله أبی عبد اللّه محمد ابن وزیر الوزراء أبی الحسن علیّ بن جعفر بن فلاح الکتامیّ، یوم الأربعاء الحادی عشر من شهر رجب سنه ثلاث عشره و أربعمائه.

و کان صفیّ الدوله هذا شاعرا أدیبا؛ و أبوه علیّ وزر للحاکم؛ و جدّه جعفر بن فلاح أحد قواد المصریین؛ و ولیت القلعه یمن الدّوله سعاده الخادم

---

۱- بهامش الأصل:« و أظن أن عزیز الدوله ولیّ قضاء حلب فی أیامه أبا علی أحمد بن أبی ابراهیم الشریف الحسینی، و أقطعه اللجینه و اللّه أعلم».

المعروف بالقلانسىّ، و كان خادما بلحيه بيضاء؛ و كان من أفاضل المسلمين؛ فيه الدّين و العلم؛ و جعل الظّاهر فى المدينه واليا، و فى القلعه واليا خوفا أن يبدو من والى حلب ما بدا من عزيز الدّوله فاتك.

و عزل صفىّ الدوله بن فلاح عن حلب، يوم الاثنين النصف من المحرّم سنه أربع عشره و أربعمائه.

و ولّى حلب الأمير سند الدوله أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى الجيملىّ، و كان و أهله من وجوه كتامه، و كان واليا بحصن أفاميه. و هو الذى كتب إليه أبو العلاء بن سليمان «الرساله السّندّيه» فى مجلّد واحد، و كان وزيره أبو سعيد مسبح.

و توّفى سند الدّوله بمرض ناله بحلب، يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنه خمس عشره و أربعمائه.

و كان خبر مرضه قد وصل إلى الظّاهر، فكتب إلى أخيه سديد الملك أبى الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان إلى تنّيس(١)، و كان يليها، أن يسير واليا إلى حلب.

فخرج من تنّيس فى البحر إلى طرابلس، و سار من طرابلس جريده فورد إلى حلب، و قد توّفى أخوه. و كان وصوله إلى حلب، يوم الأحد السابع عشر من جمادى الأولى سنه خمس عشره و أربعمائه.

---

١- تنيس بلده ما بين الفرما و دمياط. معجم البلدان.

و كان قاضى حلب، فى سنه خمس عشره و أربعمائه، أبا أسامه عبد اللّه بن أحمد بن على بن أبى أسامه، نيابه عن ابن أبى العوّام قاضى مصر عن الظّاهر. و ولّى القلعه أبو الحارث موصوف الخادم الصقلابى الأبيض الحاكمىّ، من قبل الظّاهر؛ و كان شجاعا، عاقلا؛ و أقاما فيها واليين أحدهما بالمدينه، و الآخر بالقلعه، إلى أن حالف الأمير أبو علىّ صالح مرداس بن ادريس الكلابى سنان بن عليان الكلبىّ، و حسّان بن المفرّج بن الجرّاح الطائى على الظّاهر؛ و تحالفوا على احتواء الشّام، و تقاسموا البلاد. فتكون: فلسطين و ما برسمها لحسّان؛ و دمشق و ما ينسب إليها لسنان؛ و حلب و ما معها لصالح. فأنفذ الظّاهر إلى فلسطين أنوشتكين الدّزبرى(۱) واليا، فاجتمع الأمراء الثلاثه على حربه، فهزموه إلى عسقلان(۲).

و فتح حسّان الرمله بالسّيف، فى رجب سنه خمس عشره و أربعمائه.

و أحرق أكثرها، و نهبها، و سبى خلقا من النّساء و الصّبيان(۳).

---

۱- للدزبرى ترجمه فى المقفى للمقريزى ج ۲ ص ۳۰۲- ۳۰۶.

۲- مدينه فلسطينيه على ساحل البحر بين غزه و بيت جبرين. معجم البلدان.

۳- عالجت مسأله الحلف الثلاثى فى كتابى إماره حلب ص ۷۶- ۸۳.

## [إماره صالح بن مرداس]

[إماره صالح بن مرداس](۱)

و سيّر صالح بن مرداس كاتبه أبا منصور سليمان بن طوق، فوصل إلى معرّه مصرين؛ و غلب عليها؛ و قبض واليها؛ و قيّده؛ و سار إلى حلب فى جماعه من العرب، لسبع بقين من رجب. فجرى بينه و بين سديد الملك ثعبان و موصوف الخادم، حرب فى أيام متفرّقه.

و سار صالح بن مرداس إلى حلب، فى جمع كثير؛ و نزلها يوم الأحد لسبع عشره ليله خلت من شهر رمضان من سنه خمس عشره و أربعمائه؛ على باب الجنان. وجاب الحلل يوم الاثنين؛ و حاصرها سته و خمسين يوما؛ فوقع خلف بين موصوف الخادم و بين أبى المرجّا سالم بن مستفاد غلام سيف الدّوله بن حمدان؛ و كان من كبار القوّاد بحلب؛ و داره بالزّجاجين، و حمامه أيضا، آثارها باقيه إلى وقتنا هذا.

فعزم موصوف على قتل سالم هذا؛ فجمع سالم جمعا، و فتح باب قنّسرين؛ و خرج إلى صالح، فأخذ منه الأمان لنفسه، و لجميع أهل المدينه.

و سلمت المدينه إليه، يوم السبت لثلاث عشره ليله خلت من ذى القعده.

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

و احتمى سديد الملك بن ثعبان فى القصر الملاصق للقلعه؛ و نصبت المنجنيقات و العرّادات عليه و عليها.

ثم إنّ صالحا رتّب أبا المرجّا سالم بن المستفاد، و كاتبه سليمان بن طوق على قتال القصر و القلعه بحلب.

و سار إلى فلسطين منجدا حسّان بن المفرّج على الدّزبرىّ، فإنه جمع، و عاد إليه فى جيش كثيف، فالتقى الجيشان فكسر الدّزبرىّ، و عاد مفلولا.

و أما قلعه حلب فإنّ الحلبيين نقبوها؛ و وصل النقب إلى بئرها المعين؛ و قلّ الماء فيها؛ و دام الحصار عليها سبعه أشهر.

و راسل من فى القلعه سالما و سليمان فى الصلح فى عاشر ربيع الآخر؛ فلم يجيباهم. و نصبوا الصّلبان ثلاثه أيام؛ و دعوا لملك الرّوم؛ و لعنوا الظّاهر؛ و نقر الناقوس؛ و قاتلوا القلعه، ثم نفروا يوم الجمعه ثانى عشر الشّهر، و حملوا المصاحف على أطراف الرّماح فى الأسواق؛ و نادوا النّفير و زحفوا.

فاستأمن جماعه من المغاربه الذين فى القلعه، فخلع عليهم، و طيف بهم فى المدينه. و بسطت ثياب الدّيباج و السّقلاطون(۱)؛ و بدر المال مقابل القلعه، و بذلت لمن ينزل إلى ابن مستفاد و سليمان مستأمنا.

---

۱- السقلاطون: نوع من النسيج مصنع من الحرير الموشى بالذهب.

فلمّا يئس أهل القلعه من النجـده نزل رجل أسود يعرف بأبى جمعه، و كان عريف المصامـده إلى المـدينه، و بقى أياما ينزل من القلعه و يصعد فأفسده سالم بن مستفاد و سليمان بن طوق.

فلمّـا جاء ليطلع القلعه فى بعض الأيّام تقـدّم موصـوف الخـادم والى القلعه بردّ البـاب فى وجهه؛ فصـاح إلى أصـحابه، فـالتفت المصامده و العبيد فى القلعه؛ و وقع الصوت إلى أهل حلب، فطلعوا إلى القلعه من كلّ مكان(۱).

و دخلها ابن طوق و ابن مسـتفاد، يوم الاربعاء مسـتهلّ جمادى الأولى سـنه ست عشـره و أربعمائه، و قدم صالح بن مرداس حلب عائدا من كسره الدزبرى. فدخلها يوم السبت ثامن شعبان من السنه، و قبض على موصوف الصقلبىّ و سديد الملک ثعبان، و أبى الفضل بن أبى أسامه.

فأما ثعبان ففدى نفسه بمال دفعه إلى صالح؛ و أمّا موصوف فضـرب رقبته صبرا بين يديه. و أمّا القاضى أبو الفضل بن أبى أسامه فدفنه حيّا فى القلعه.

و لمّا جـدّد الملک العزيز أبو المظفّر محمّد بن غازى- رحمه اللّه- الدار الكبرى التى ابتناها بقلعه حلب، و حفر أساسـها؛ وجدوا مطموره فيها رجل فى ساقيه لبنه حديد، و هو جالس فيها قد دفن حيّا و لم يبق إلا عظامه، و هو على هيئه القاعد فيها. و لا أشکّ فى أنّه ابن أبى أسامه المذكور؛ و اللّه أعلم.

---

۱- انظر بشأن سقوط حلب لصالح بن مرداس و دور بيزنطه فى ذلک كتابى إماره حلب ص ۷۷- ۸۰.

و ملك صالح فى هذه السنه: حمص، و بعلبكّ، و صيدا، و حصن ابن عكار بناحيه طرابلس. و كان فى يده الرّحبه، و منبج، و بالس، و رفنّيه(١).

و كان، و هو محبوس بالقلعه عند مرتضى الدوله، قد رأى فى المنام كأنّ انسانا قد دخل عليه، فألبسّه قلنسوه ذهب، ففرّج اللّه عنه؛ و خرج من السّجن؛ و كان منه ما ذكرنا.

ثمّ إن الظّاهر سيّر عسكرا مع الدزبرىّ و ضمّ رافع بن أبى الليل إليه و قدّمه على الكلبيّين(٢)، و جهزّه إلى محاربه حسّان بن المفرّج الطّائى، لأنّه كان قد أخرب الشام، و عاث، و أفسد.

فلما علم حسّان بقربه استصرخ صالحا، فتوجّه نحوه؛ فرأى صالح ذلك الشّخص فى المنام بعينه، قد دخل عليه و انتزع من رأسه القلنسوه الذّهب؛ فتطير من ذلك.

و لما وصل إلى حسّان و نشبت الحرب بينهما و بين الدزبرى، و ذلك بالموضع المعروف بالأقحوانه(٣) على الأردنّ، طعن صالح فسقط عن فرسه،

---

١- حلت محل رفنيه بلده بارين، التى يرسم اسمها الان« بعرين» و هى تتبع ناحيه عوج و تبعد عنها ٥، ٨ كم إلى الشمال، و تتبع عوج منطقه مصياف، و فى بعرين بقايا قلعتها التاريخيه الشهيره. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- كان سنان بن عليان قد توفى، فتمزقت قبيله كلب، و تحالف رافع بن أبى الليل مع الدزبرى و صاهره، مما أخل بموازين القوى و أدى إلى انهيار الحلف الثلاثى. إماره حلب ص ٨١- ٨٣.

٣- كانت على شاطى ء طبريه قرب عقبه أفيق. معجم البلدان.

طعنه طريف الفزارى، فرآه رافع بن أبى الليل فعرفه، فأجهز عليه، و قطع رأسه، و بادر به الدّزبرى.

و قيل: طعنه رجل يقال له ريحان. [و كان] أسد الدّوله صالح [على](۱) فرس؛ فما زال يرمح حتى رماه، و جاءه رافع فأخذ رأسه؛ و كان مقتله لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنه عشرين و أربعمائه. و قيل: فى يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى من السّنه.

و كان قاضى حلب فى أيامه القاضى أبا يعلى عبد المنعم بن عبد الكريم بن سنان المعروف بالقاضى الأسود، بعد ابن أبى أسامه، ولى قضاءها سنه ست عشره، و استمرّ على القضاء فى أيام ابنه شبل الدّوله.

و كان وزير صالح تاذرس بن الحسن النصرانى، فأخذ فى الوقعه و صلب و كان هذا النصرانى متمكّنا عند صالح؛ و كان صاحب السّيف و القلم.

و قيل: إنّه كان يترجّل له- لعنه اللّه- الولاه و القضاه، فمن دونهم إلا القاضى أبا يعلى عبد المنعم بن عبد الكريم بن سنان قاضى حلب، و الشيخ أبا الحسن المهذّب بن على بن المهذّب فانه أراد أن يترجّلا له فحلف أن لا يفعل.

---

۱- جاءت الجمله بالأصل مضطربه كما يلى« فرس أسد الدوله صالح، فما زال يرمح حتى» فأعيد تقويمها.

و قيل: إنّ أهل «حاس»(۱)- قريه بمعرّه النّعمـان- قتلوا حمـاه، و كـان يقال له الخورى، و كان من أهل تلمنّس لأذّيته لهم؛ فحين سمع تاذرس بقتل حميه الخورى، خرج فى عسـكر حلب؛ و طلب أهل «حاس» فى الجبال و الضّـياع؛ و هرب القاتلون إلى أفاميه، فلحقهم، فسلّمهم إليه واليها.

فكتب إلى صالح يسـتأذنه فى قتلهم، فأذن له فقتلهم، و صـلبهم، فلما أنزلوا عن الخشب ليصـلّى عليهم و يدفنوا، صلّى عليهم خلق عظيم.

و قـال النـاس حينئـذ، يكايـدون النّصارى: «قـد رأينا عليهم طيورا بيضا، و ما هى إلا الملائكه»، فبلغت هـذه الكلمه تاذرس- لعنه اللّه- فنقمها على أهل المعرّه، و اعتدها ذنبا لهم.

فاتفق أن صاحت امرأه فى الجامع، يوم الجمعه، و ذكرت أنّ صاحب الماخور أراد أن يغصبها نفسها، فنفر كلّ من فى الجامع إلا القاضى و المشايخ؛ و هدموا الماخور، و أخذوا خشبه؛ و كان أسد الدّوله صالح فى صيدا، سنه سبع عشره و أربعمائه.

فلمّا توجّه إلى حلب، سـنه ثمان عشـره، لم يزل به تاذرس حتى اعتقل مشايخ المعرّه و أماثلها، فاعتقل منهم سـبعين رجلا، و قطع عليهم ألف

---

۱- حـاس: قريه فى جبـل الزاويه، تتبع نـاحيه كفرنبـل، منطقه معره النعمـان، محـافظه ادلب، تبعـد آثارهـا عن المعره ۹ كـم إلى الجنوب الغربى منها. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

دینار. و قال له صالح حین لجّ علیه: «أأقتل المهذّب أو أبا المجد، بسبب ماخور! ما أفعل!».

و قـد بلغنی أنه دعی لهم فی آمـد و میّافـارقین؛ فغلبه علی رأیه، فبقوا فی الاعتقال فی الحصن، سـبعین یوما، إلی أن اجتاز صالح بالمعرّه؛ و استدعی أبا العلاء بن سلیمان بظاهر المعرّه.

فلما حصل عنده بالمجلس قال له الشّیخ أبو العلاء، ساعیا فیهم:

«مولانا السّید الأجل أسد الدوله و مقدّمها و ناصحها، کالنّهار الماتع، اشتدّ هجیره، و طاب أبرداه، و کالسّیف القاطع، لان صفحه، و خشن حدّاه، خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ(۱) فقال صالح: «قد وهبتهم لک أیّها الشّیخ». و لم یعلم أبو العلاء بما قطع علیهم من المال فأخذ منهم. ثم قال أبو العلاء شعرا:

تغیّبت فی منزلی برههستیر العیوب فقید الحسد

فلمّا مضی العمر إلا الأقلّ و حمّ لروحی فراق الجسد

بعثت شفیعا إلی «صالح»و ذاک من القوم رأی فسد

فیسمع منّی سجع الحمام و أسمع منه زئیر الأسد

فلا یعجبنّی هذا النّفاق فکم نفقت محنه ما کسد(۲)

---

۱- سوره الأعراف- الآیه ۱۷۷.

۲- لزوم مالا یلزم- ط. دمشق ۱۹۸۶ ص ۵۳۴. إماره حلب ص ۲۰۹- ۲۱۱.

## [إماره نصر بن صالح]

[إماره نصر بن صالح](۱)

و لمّا قتل صالح بن مرداس؛ ملک حلب بعده ابناه:

معز الدوله أبو علوان ثمال فی القلعه، و شبل الدوله نصر فی المدینه.

و أوقعا فی هذه السنه علی قیبار(۲) بقطبان أنطاکیه میخائیل الخادم. و کان قصد بلد حلب بغیر أمر الملک و لاطفه ثمال و نصر؛ فلم یرجع عن قصد بلد حلب؛ فکبساه فی قیبار، و هو یقاتل حصنها؛ و قتل جماعه من الفریقین؛ و انهزم عسکر الرّوم یوم الخمیس للیله بقیت من جمادی الآخره.

ثم استعطّفاه و استقامت الحال بینهم(۳)؛ و داما علی ذلک إلی أن جری بین معزّ الدّوله ثمال و بین زوجته کلام؛ فغضبت علیه؛ و خرجت إلی الحلّه بظاهر حلب؛ فأمر ثمال أن یصاغ لها لالکه(۴) من ذهب مرصّعه بالجواهر؛

---

۱- أضیف ما بین الحاصرتین للتوضیح.

۲- القیبار: حصن بین أنطاکیه و الثغور. معجم البلدان.

۳- إماره حلب ص ۸۸- ۸۹.

۴- لالک بالفارسیه: حذاء، عرف الدیک، تاج. اکلیل. المعجم الفارسی الکبیر لابراهیم الدسوقی شتا. ط. القاهره- مکتبه مدبولی.

فلما استوت أخذها فى كمّه و خرج.

فحين علم نصر ركب و اجتاز تحت القلعه، كأنّه يريد الخروج من باب العراق، فى جماعه من أصحابه؛ و جذب سيفه لمّا قارب باب القلعه؛ و هجمها فلم يمانعه أحد من الأجناد لهيبته؛ و تبعه أصحابه مجرّدين سيوفهم؛ فجلس فى المركز و قال: «إنّ من قدّم أخى علىّ فقد أساء؛ لأنّنى أولى بمداراه الرّجال؛ و هو أولى بمداراه النّساء».

و من ذلك اليوم جعل لأبواب قلعه حلب سلسله تمنع الرّاكب الصعود فجاءه، و رسم أن لا يدخلها أحد متقلّدا سيفا، و لو أنّه أقرب النّاس مودّه إلى مالكها.

فتفرّد نصر بالأمر فى القلعه و البلد، و ذلك فى سنه إحدى و عشرين و أربعمائه. و كان وزيره أبا الفرج المؤمل بن يوسف الشمّاس، الذى ينسب إليه حمّام الشمّاس بحلب؛ فى الجلّوم(١)؛ و كان نصرانيا و كان حسن التّدبير، محبّا لفعل الخير؛ و كان أخوه ناظرا فى البلد البرّانى، فعمره، و عمر المساجد البرّانيه.

فجمع أبو علوان ثمال بن صالح الأعراب؛ و عزم على منازله أخيه نصر؛ فسيّر نصر إلى ملك الرّوم أرمانوس- و كان قد هلك باسيل فى سنه

---

١- من أحياء حلب القديمه، كان ينفذ إلى ظاهر المدينه بباب أنطاكيه غربا و باب قنسرين جنوبا. أحياء حلب و أسواقها لخير الدين الأسدى- ط. دمشق ١٩٨٤ ص ١٦٤- ١٧٢.

خمس عشره، و ولى أرمانوس- يستدعيه إلى حلب فخرج على ما قيل فى ستّمائه ألف حتّى وصل إلى أنطاكيه.

فتوسّط مقدّمو العرب بين نصر و ثمال؛ و وفقوا بينهما على أن يكون لنصر حلب؛ و لثمال بالس و الرّحبه؛ فرجع نصر عمّا كان راسل به ملك الرّوم.

و أرسل ابن عمه مقلّد بن كامل بن مرداس إلى ملك الرّوم، يسأله أن لا يقصده، و يحمل إليه من القطيعه ما كان يحمله أولاد سيف الدوله إلى باسيل، فأبى و اعتقل مقلّد بن كامل عنده؛ فحين تحقّق رجوع نصر عن رأيه الأول جبن و ضعف عن منازله حلب.

و سار من أنطاكيه إلى قيبار فى بضعه عشر يوما؛ و كسرت سريه له عرب حلب؛ و كانوا قد طاردوا عسكر الرّوم، فاستظهر الرّوم عليهم، و كان معه ملك البلغر، و ملك الرّوس، و الأبخاز، و الخزر و الأرمن، و البجناك، و الأفرنج.

و نزل الملك بجيوشه على تبّل قريبا من الجبل، فى موضع بعيد عن الماء، و ضرب على عسكره خندقا؛ و كانت أمواله على سبعين جمّازه؛ و كان قدر موضع عسكره لمن يدور حوله مقدار يوم فى يوم للمجدّ الرّاكب على فرس.

و لقيه فى طريقه أبو علوان دفاع بن نبهان الكلابىّ فى خيل قليله؛ فنال من سراياه كلّ ما طلب؛ و أرسل الملك سريّه فيها صناديد عسكره إلى عزاز؛

فلقيتها بنو كلاب، فظفروا بها، و قتلوا بطارقها، و أسروا جماعه من أولاد الملوك الذين معهم، و جسرت عليهم بنو كلاب، فحاصروهم فى الموضع الذى نزلوا فيه.

و لقد أخبر بعض من شاهدهم أن مقثاوه كانت قريبه من العسكر بمقدار رميه سهم، و أن الرّوم لم يقطعوا منها قثّاءه واحده، خوفا من العرب أن تتخطّفهم.

و لمّا كسرت السريه التى أرسلها الملك أجمع رأيه على العود إلى بلاده، و اعتذر قائلا: «لولا عطش عسكرى لبلغت مرادى». و هجم نصر و العرب على سوق الملك فنهبوه؛ و تأخّر رحيل ملك الرّوم من منزلته ثلاثه أيام.

و أقبل شبل الدوله نصر فى تسعمائه و ثلاثه و عشرين فارسا، و قيل فى سبعمائه فارس؛ فحين أشرف على الرّوم ظنّوا أنّها كبسه؛ فانهزموا؛ و منح اللّه أكتافهم يوم الاثنين لسبع ليال خلت من شعبان سنه إحدى و عشرين.

و نزع ارمانوس الملك خفّه الأحمر لئلا يعرف؛ و لبس خفّا أسود- و لا يلبس الخفّ الأحمر عندهم إلا الملك- و هرب. و أخذ شبل الدّوله تاجه و بلاطه و لبّاده؛ و هرب فى أرمن كانوا معه حموه بالسّهام(١).

و أخذ الرّوم الطريق إلى الجبل منهزمين و طلعوا فيه، و حصلوا فى بلد

---

١- عالجت هذه الأحداث فى كتابى إماره حلب ص ٨٧- ٩٦، معتمدا على مختلف المصادر، لا سيما البيزنطيه منها.

قورس[1]، و کان للرّوم. و لحق بعضـهم بعضا و لم یبق مع الملک إلا القلیل. و قتل المسلمون من بطارقته و غیرهم ما لا یحصی، و أسـروا من أولاد الملوک و غیرهم کذلک، و اشـتغل النّاس بالنّهب، و أخذوا من الدّواب و الثیاب و الدیباج و الأمتعه و آلآت العسکر ما لا یوصف.

و ذکر أنّ طـائفه مـن بنی قطـن من نمیر وردت عنـد الهزیمه؛ فأخـذت ثقـل الملـک نحـوا من ثلاثمـائه بغـل محمّله، حتّی أنّهم تقاسموا الدنانیر الأرمانوسیّه بالقصعه؛ فحصل لکلّ واحد منهم ثمانی عشره حفنه.

و کـان ملـک الرّوم لمـا رحـل طرح النّـار فی المنجنیقـات و العرّادات و التّراس؛ و نهب النّـاس منهـا ما أبقته النّار، حتی أنّ أکثر سقوف بلد حلب جعلت التّراس علیها عوض الدفوف.

و قیل: إنّ الناس بحلب باتوا علی السّور قبل الوقعه بیوم، و فیهم ابن نمیر العابد، فبات یصـلّی علی السّور، و سـجد فی آخر اللّیل، فنام و هو ساجد، فرأی فی منامه علیا- علیه السّلام- راکبا، و لباسه أخضر، و بیده رمح، و هو یقول له: «ارفع رأسک یا شیخ، فقد قضیت حاجتک». فانتبه بقوله فحکی للنّاس ذلک، فتباشروا به.

و حکی عن مرتضی الدّوله أنّه قال: «استدعانی أرمانوس فی آخر تلک

---

۱- لعل قورس المعروفه الآن باسم کویری، و تبعد عن حلب مسافه ۳۳ کم. و کانت قورس کالمسلحه لأنطاکیه. بغیه الطلب ج ۱ ص ۲۶۳- ۲۶۴.

الليله التى رأى ابن نمير تلك الرؤيا فيها، فقال لى: لكم بحلب راهب.

فعلمت أنّه يعنى ابن نمير، فقلت: نعم؛ فقال: صفه لى! فوصفته، و حلّيته.

فقال لى: رأيت هذا الرجل بعينه فى هذه السّاعه، و كأنى قد أشرفت على سور هذه المدينه؛ و هو قائم عليه يومى إلىّ بيد و يقول: ارجع، فما تصل إلى هذا البلد. و تكرّر ذلک، و لا أرى أنه يتمّ فيه شى ء. فلمّا كان من غد كسرت السّريه التى أرسلها الملك إلى عزاز، ثم كانت الوقعه و الهزيمه بعد ذلک».

و قد ذكرنا عن ابن نمير نحوا من هذه الحكايه، عند منازله ملک الروم حلب.

و حكى بعض الكتّاب بحلب: أنه كان فى خدمه وثّاب بن محمود بن نصر، عند تاج الدّوله تتش بن ألب أرسلان، و هو فى نوبتيه على ظاهر حماه، فخلع على وثاب فرجيّه و شقّ، و قال: «هذه مباركه أخذها أبى السلطان ألب أرسلان من ديوخانس ملک الرّوم لمّا كسره»(۱).

قال: فاستدعى وثاب قحف مينا ظاهرا و باطنا، و قال: «هذا يا مولانا مبارک نشرب به لأن جدّى نصرا أخذه من الملک أرمانوس بناحيه عزاز».

فقال تاج الدوله: «يا وثّاب لم يكن بد من مساواتى فى الافتخار». فقال: «لا بل عرّفت مولانا كبر بيتى، و إنّنى له كبعض العبيد الصّغار». فقال له بالتركى: «بل أنت أخى الكبير». فقام وثاب؛ و قبّل الأرض قدّام السّرير، فزاد فى إقطاعه، و خلع و حمله على مركوبه.

---

۱- لما كسره فى معركه منازكرد سنه ۴۶۳ ه.

و قيل: إنّ ثمالا و نصرا حقد عليهما ملك الرّوم ما جرى منهما على ميخائيل بناحيه قيبار، فخرج بنفسه، فسيّرا ابن عمهما مقلّد بن كامل يبذلان له الطاعه و الخدمه، و كان قد سيّر إليهما يسومهما تسليم حلب، و يقول إنّه يخاف أن تتم عليهما حيله فتخرج حلب من أيديهما؛ و عرض عليهما عوضا عنها ما اختاراه؛ فاعتقلا رسوله انتظارا لما يرد من جواب رسالتهما.

فبلغه ذلک فاعتقل مقلّد بن کامل، و خرج بنفسه؛ فأخرجا حرمهما من حلب إلى البرّيه خوفا منه، حتّى كان من أمره ما ذكرناه؛ و كان ثمال فى القلعه يحفظها، و نصر باشر القتال.

فلما عاد ملك الرّوم سار نصر و ثمال لاحضار حرمهما، فسبق نصر إليها، و استولى عليها، و عوّض ثمالا بوساطه من توسّط بينهما الرّحبه و بالس و منبج و أعمالها.

و خرج بعد هذه الكسره قطبان أنطاكيه الخادم المعروف بنقيطا- و تفسيره بالعربيه الدويک- فى خلق عظيم، فعاث فى البلد العربىّ، و أفسد، و فتح حصن المنيقه، و هجم رفنيّه، و سبى عشره آلاف من أهلها، و نقض أبرجه سورها فى سنه إحدى و عشرين؛ و فتح فى سنه اثنتين حصن بنى الأحمر، و حصن بنى غناج، و غير ذلک من الحصون و خرّبها(١).

---

١- يرجح أن هذه الحصون وجدت ما بين منطقه القدموس امتدادا حتى سفوح منطقه جبله و طرطوس. انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٤١٨- ٤٢٢، فالمنيقه سيكون من حصون الدعوه الاسماعيليه، و بدّل اسم بكسرائيل إلى بنى قحطان، و مرقيه تحمل الاسم نفسه أو اسم نبع حسان فى أحواز طرطوس إلى جانب منتجع الرمال الذهبيه.

فراسله شبل الدّوله و لاطفه إلى أن صالحه، و جعله سفيرا بينه و بين ملك الرّوم فى طلب الهدنه، فاستقرّ أن يحمل نصر فى كل سنه إلى ملك الرّوم دراهم خمسمائه ألف درهم، فى نجمين من السّنه، قيمتها ثمانيه آلاف مثقال ذهب.

و أطلق الملك مقلّد بن كامل بن مرداس رسول نصر، و أعطاه صليبا من ذهب مرصّعا أمانا لنصر، و وفاء بالشّرط.

و سيّر شبل الدوله نصر شيخ الدوله أبا الحسن بن الأيسر إلى الظاهر بمصر؛ و حمل إليه هديّه من جمله ما غنمه من الرّوم، من الثياب، و الصياغات، و الأوانى، و الألطاف الكثيره. و قاد فى صحبته نحو مائه و خمسين رأسا من الدواب، خيلا و بغالا، و وقع فعله عندهم أحسن موقع(١).

و قام أبو الحسن الجرجرائى بتمهيد أمره.

و أقام ابن الأيسر إلى أن توفى الظّاهر، فخلع المستنصر على ابن الأيسر؛ و سيّر معه خلعا لنصر بن صالح، و لقّبه مختصّ الأمراء، خاصّه الإمامه، شمس الدّوله و مجدها، ذو العزيمتين.

و فى أيّام نصر اجتمع بجبل السّماق قوم يعرفون بالدّرزيّه منسوبون إلى رجل خيّاط أعجميّ؛ و جاهروا بمذهبهم، و خرّبوا ما عندهم من المساجد، و دفعوا نبوه الأنبياء، و جحدوهم إلا الإمام الحاضر الذى يدعو إليه الدّرزى،

---

١- عالجت هذه القضيه فى كتابى إماره حلب ص ٩٦- ٩٩.

و أحلّوا نكاح المحارم، و تفاقم أمرهم، و تحصنوا فى مغاير شاهقه على العاصى، و انضوى إليهم خلق من فلاحى حلب، و طمعوا بالاستيلاء على البلاد.

فخرج إليهم نقيطا قطبان أنطاكيه، و حاصرهم فى المغاير، و دخّن عليهم، و ساعده على ذلك نصر بن صالح صاحب حلب، ثمّ التمسوا الأمان بعد اثنين و عشرين يوما، فأخرجوهم بالأمان؛ و قبضوا على دعاتهم و قتلوهم؛ و ذلك فى شهر ربيع الأول من سنه ثلاث و عشرين و أربعمائه.

و فى هذه السّنه استوحش سالم بن مستفاد الحمدانىّ من شبل الدّوله نصر؛ و كان صالح بن مرداس قد ولاه رئاسه حلب بعد ما سلّمها إليه، و قدّمه على الأحداث، و أبقاه نصر بعده على حاله إلى هذا التاريخ و استقرّ عليه أحداث حلب و رعاعها؛ و لبسوا السلاح؛ و عوّلوا على محاربه القلعه.

و كان يتردّد بين سالم و بين شبل الدّوله كاتب نصرانى يعرف بتوما و كان يحرّف ما ينقله عن ابن مستفاد إلى نصر، و يزيد فى التجنى، و يسوم شططا لا يمكن إجابته إليه، و ذلك من غير علم ابن مستفاد.

فلما رأى شبل الدّوله نصر كثره تعديه حمل نفسه على محاربته، و ركب إليه؛ فلمّا رآه الحلبيّون دعوا له و انقلبوا إليه، و قاتلوا دار ابن مستفاد، فطلب الأمان فحلف له أنه لا يجرى له دما و حبسه بالقلعه، و نهبت داره؛ ثم خاف استبقاءه فقتله خنقا، ليخرج عن يمينه بأنه لم يجر له دما.

(۱)

---

۱- انظر إماره حلب ص ۹۸- ۹۹.

و تبيّن لنصر بعد قليل كذب ذلك النصرانىّ الكاتب، و ما كان يحرّفه فى رسالته فقبض عليه، و طالبه بمال؛ فلما استصفى ماله دخل عليه بعض أجناد القلعه فخنقه فى ذى القعده. و قيل ذى الحجه من سنه خمس و عشرين و أربعمائه.

و دام نصر بن صالح فى مملكه حلب إلى سنه تسع و عشرين و أربعمائه.

و قتل فى المصاف بينه و بين أمير الجيوش الدّزبرى.

و ذلك أن أمير الجيوش استقرّ بدمشق، بعد قتله صالح بن مرداس بالأقحوانه؛ فسعى جعفر بن كليد الكتامى والى حمص فى إفساد ما بين نصر بن صالح و أنوشتكين الدّزبرى. و كان عند أنوشتكين استعداد لذلك لقتله صالحا أباه؛ فشرع جعفر بن كليد يغرى أنوشتكين بنصر، و يحمله على أذاه حتى خرجا إلى الوحشه و المنافره.

فكاتب الدّزبرى ملك الروم، و استأذنه فى محاربه نصر، و استنقاذ حلب منه، و أن يؤدّى ما عليه من الحمل المقرّر إليه، فأذن له فى ذلك، فاستمال الدّزبرى جميع العرب من: الطائيّين، و الكلبيّين، و بعض الكلابيين، و سيّرهم إلى نصر بن صالح و معهم رافع بن أبى اللّيل. و من قبله من المغاربه، و اجتمع إليه علان بن حسّان بن الجرّاح الطائى.

و رحل الدّزبرى قاصدا حماه، و كان عسكره قد تقدّم إلى وادى الملوك، شرقىّ الرّستن؛ فحين عرف نصر بخروجهم جمع بنى عمّه و عسكره؛ و نزل تلا غربىّ سلميه، و التقوا فكسر نصر و أصحابه، و شرع فى جمع من قدر

علیه، و استنجد بشبیب بن وثّاب أخی زوجته.

و رحل الدّزبری عقیب الوقعه الأولی إلی حماه، فدخلها، و نهبها. ثم رحل منها فالتقوا عند تلّ فاس، غربی لطمین(۱)، فانهزم ثمال بن صالح.

و ثبت نصر فی خواصّ أصحابه، و قاتل قتالا شدیدا، فطعن و وقع، و احتزّ رأسه فی نصف شعبان. و قیل: لسبع عشره لیله بقیت منه، من سنه تسع و عشرین و أربعمائه.

و حمل رأسه إلی الدّزبریّ فحمله، و تأسّف علیه، و أظهر علیه حزنا، و أنفذ من تسلّم جثته فصلبت فی حماه علی الحصن، ثم أمر بانفاذ ثیاب، و طیب، و تکفین الجثّه فی تابوت، و دفنها فی المسجد؛ فنقلها مقلد بن کامل لمّا ملک حماه إلی قلعه حلب.

و قیل: إنّ الذی قتله ریحان الجوینی، و أجهز علیه هفتکین الترکی المعروف بالسروری. و تأمّل المنجّمون الوقت و الزمان الذی قتل فیه أبوه فکان بین قتله و قتل أبیه أربعه أیام، یرید من السنین الشمسیّه(۲).

---

۱- لطمین الآن احدی قری محافظه حماه، و تبعد عنها مسافه ۳۶ کم.

۲- انظر معالجه هذه المسأله فی کتابی إماره حلب ص ۹۹- ۱۰۱.

## [عهد أنوشكتين الدزبرى]

[عهد أنوشكتين الدزبرى](۱)

و لما هرب ثمال بن صالح وصل إلى حلب، و معه شبيب بن وثّاب، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان؛ فملكها ثمال، و وعده مشايخها بالمعونه و النّصر، فخوّفه خليفه بن جابر الكعبى، و قال له: «ربّما خذلتك عشيرتك و قعد بك أهل البلد، و لم يمكنك الثبات و المقاومه، و لا الانصراف على حال السّلامه». و أراد بذلك غشّه لا نصحه.

و كان أمير الجيوش قد سيّر فى أثرهم إلى حلب عسكرا يقدمه طغان المظفّرى، فخاف ثمال من المقام بحلب، و ولّى بقلعه حلب مقلّد بن كامل بن مرداس، و بالمدينه خليفه بن جابر الكعبىّ.

و أطلق للتجّار ديونا كانت لهم على أخيه مقدارها ثلاثون ألفا ذهبا، ليستميل الناس بذلك إلى طاعته؛ و أخذ أولاد أخيه، و أخذ شبيب(۲) زوجه أخيه- أخته غلويّه المعروفه بالسيّده- و أخذا من المال و الآنيه الذّهب و الفضّه و الثّياب ما قدرا على حمله؛ و ساروا إلى الجزيره.

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- شبيب بن وثاب النميرى، و أخته علويه بنت وثاب زوج نصر وام محمود بن نصر.

و قيل: إنّ السيّده أخذت من القلعه عند قتل نصر خمسين ألف دينار، و أخذ ثمال ثلاثين ألفا، و سار ثمال يستنجد بأخواله بنى خفاجه.

و وقعت الفتنه بحلب، و نهبت دار السّلطان، و أموال التجار. و كان رسول ملك الرّوم قد وصل إلى حلب فنهب العامّه متاعه و دوابّه.

و أما طغان فانّه لما وصل بالعسكر إلى حلب نزل على المدينه، فراسله خليفه بن جابر الكعبىّ و من وافقه من الحلبيّين فى تسليم البلد؛ فتسلّمه فى يوم السبت الرّابع من شهر رمضان.

و أنفذ رسولا إلى الدّزبرى يعلمه بذلك؛ فأغذّ السّير إلى حلب، و وصل إليها فى عده قليله، و اجتاز فى طريقه بمعرّه النّعمان، فالتقاه أهلها، فأكرمهم و سألهم عن أبى العلاء بن سليمان. و قال لهم: «لأسيرنّ فيكم بسيره العمرين». و اجتمع عنده بالمعرّه كثير من العرب، فخشى منهم، فأركب رجلا من أصحابه جملا، و نادى بمعرّه النّعمان و بظاهرها: «من لم يأخذ معه قوت ثلاثه أيّام فلا يلومنّ إلا نفسه». فلم يبق من العرب أحد حوله؛ و ظن كلّ منهم أنه يطلب حلّته.

و تمّ أمير الجيوش إلى حلب، فدخلها يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان، و القلعه مستعصيه على أصحابه فى يد سيف الدّوله مقلد بن كامل بن مرداس، و قد احتوى على الأموال التى بها، و استولى على جمهورها.

فتردّدت الرسل بينه و بين مقلّد حتى قرّر له عمّا فى القلعه ثمانين ألف دينار، و ثيابا، و فرشا، و آلات فضّه، مكرا و خديعه و أن يأخذ المقلّد الباقى،

و قنع الدّزبرى بذاك؛ و أفرج له عن نزوله و خروجه فسلّم مقلّد القلعه و صعد إليها أمير الجيوش، يوم الثلاثاء لثمان بقين و قيل لسبع بقين من شهر رمضان.

و أقام مقلّد يوما واحدا بعد نزوله من القلعه؛ و هرب بما معه من الأموال خوفا من غدر الدّزبرى به؛ و لحق بحلّته و بثمال بن صالح بالجزيره؛ و نادى الدّزبرى فى مدينه حلب بأن يخرج منها جميع الجند و الحواشى الذين كانوا يخدمون ابن صالح.

و اجتمع النّاس من سائر البلدان ليهنئوه بالفتح؛ و جلس للهناء فى القصر بباب الجنان؛ و عيّد عيد الفطر بحلب؛ فذكر أنّه لم ير بحلب عيد أحسن منه، لكثره ما أظهر فيه من العدّه و الآله؛ و أحسن إلى أهل حلب؛ و أمر بردّ ما كان صالح اغتصبه من أملاك الحلبيّين؛ و تزوج بنت منصور بن زغيب. و ولّى بقلعه حلب مملوكين له: أحدهما يقال له فاتك، و الآخر سبكتكين؛ و ولّى بالمدينه غلامه رضىّ الدّوله بنجوتكين.

ثمّ قصد بالس و منبج؛ فأخذهما. و رام أخذ الرّحبه فلم يقدر عليها.

و أقام بحلب إلى أن عيّد عيد الأضحى، و سار إلى دمشق. و مدحه ابن حيّوس بقصيده يذكر فيها قتل نصر، يقول فيها:

و لمّا طغى «نصر» أتحت له الرّدى و لم ينجه الجمع الكثير و لا الحشد

(١) و بأخرى يذكر فيها فيها فتح حلب، أوّلها:

---

١- ديوان ابن حيوس- ط. دمشق ١٩٥١ ج ١ ص ١٧٣.

هل بعد فتحك ذا لباغ مطمع للّه هذا العزم ماذا يصنع(١)

و ولّى قضاء حلب أبا الوليد سليمان بن خلف الباجى سنه واحده(٢)؛ ثم وليه بعده القاضى أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جراده- جدّ جدّ أبى-(٣).

و مات شبيب بن وثّاب النميرى فى سنه إحدى(٤) و ثلاثين و أربعمائه.

و استولى أخواه مطاعن و قوام على ما كان فى يده من الجزيره؛ و كانت أخته السيّده علويّه- امرأه نصر- مقيمه بالرّافقه؛ فتحيّلت على غلام أخويها الوالى بالرافقه إلى أن أخرجته؛ و استولت على البلد، و تزوجت بثمال لتقيم هيبتها به، و يحفظ أمرها.

و وقع فى هذه السّنه وقعه بين عسكر الرّوم و عسكر حلب، فكسر عسكر أنطاكيه الحلبيّين؛ و عاد الدّمستق إلى أنطاكيه، و دخل طغان حلب، و حصل ثمال بن صالح فى الرّقه، و خشى الدّزبرى من قربه إلى حلب، فاشترى قلعه دوسر(٥) ليكون مطلا عليه. و راسل نصر بن مروان صاحب ميّافارقين فى أن يزوّج ابنته لابنه، فأجابه إلى ذلك، فاستوحش المصريّون منه

---

١- ديوان ابن حيوس- ج ١ ص ٣٣٧.

٢- لأن الباجى عاد إثر هذا إلى الأندلس.

٣- هذه هى المره الأولى التى دانت فيها جميع بلاد الشام للفاطميين انظر كتابى إماره حلب ص ١٠٥- ١٠٩.

٤- بهامش الأصل: بلغ مقابله و سماعا بخط المؤلف.

٥- هى قلعه جعبر القائمه الآن فى وسط بحيره سدّ الفرات فى سوريه.

لذلک، و أنفذ إلی مصر لیحضر زوجته و ابنته، فلم یطلقهما الوزیر.

و ثقل علی الوزیر الجرجرائی فتح الدّزبری حلب، لأنه لم یکن برأیه؛ و أنکر ذلک فقال الدّزبری: «قد خرف الوزیر»، و بسط لسانه فیه بالکلام القبیح، فکاتب ولاه الشّام بترک الانقیاد له؛ و کتب توقیعا عن المستنصر لثمال بن صالح بحلب؛ و شرط علیه أن یحمل جمیع ما بقلعتها من المال إلی المستنصر.

و کاتب أجناد دمشق، و أغراهم به فثاروا علیه، و أحدقوا به بقصر کان له فی ظاهر دمشق؛ فهرب من دمشق لیلا؛ و معه ثلاثمائه صبیّ من غلمانه الأتراک لیس لواحد منهم لحیه، و علی وسط کل واحد منهم ألف دینار؛ و أحدقت به بنو کلاب فلم یقدروا علیه.

و نزل بحصن المعره، ثم سار منها إلی حلب؛ و لقیه عسکره بها فی أراضی سرمین، فدخل حلب فی شهر ربیع الآخر من سنه ثلاث و ثلاثین و أربعمائه.

و شرع ثمال بن صالح فی جمع عشیرته، و حشد من أجابه من العرب و غیرهم لمنازله حلب؛ و طمع فی الدّزبری. فرأی بنفسه الذلّ لمّا لم یکن له طاقه بدفعهم، و زاد همّه و غمّه، حتّی مرض مرضا حادا؛ و مات بعد ثلاثه أیّام، یوم الأحد النصف من جمادی الأولی سنه ثلاث و ثلاثین و أربعمائه.

و دفن بحلب؛ ثم نقل منها إلی البیت المقدّس، فی سنه ثمان و أربعین

و أربعمائه(١).

فدّبر البلد بعده مملوكه رضىّ الدوله بنجوتكين التّركىّ أبو منصور، بقيّه جمادى الأولى و ثمانيه و عشرين يوما من جمادى الآخره؛ فوصل معزّ الدّوله أبو علوان ثمال بن صالح بالتّوقيع الذى سيّره إليه المستنصر، فسلّم بنجوتكين و أهل المدينه إليه، لليلتين بقيتا من جمادى الآخره من سنه ثلاث و ثلاثين و أربعمائه، بعد أن نزل إليها و معه مقلّد ابن عمّه فى جماعه، و قاتلوها أيّاما، و استظهر الحلبيّون عليهم، فرحلوا إلى ناحيه قنّسرين.

و جرى بين الحلبيّين و المغاربه عربده، و قتل بينهم جماعه، و نهبت أهراء السّلطان، و طلع أصحاب الدّزبرى إلى القلعه خوفا على أنفسهم، فلم يمكنهم سبكتكين من دخولها، فنزلوا فى القصر تحت القلعه.

و استدعى الحلبيون ثمالا و مقلّدا. فورد مقلّد فى مقدّمته من قنّسرين، فتسلّمها يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى. و وصل ثمال يوم الثلاثاء، فدخلها و اجتمع إليه أحداثها. و اعتصم سبكتكين بالقلعه شهرا و سلّمها إليه.

و قيل: إنه بقى بها إلى النصف من صفر سنه أربع و ثلاثين و أربعمائه؛ و ان القلعيّين رموا على الحلبيّين، و أتوا على عدد كثير منهم، و أصلح الحلبيّون المنجنيقات، و قاتلو بها القصر الذى تحت القلعه، و نقبوه، و خربوا حيطانه مما يلى المدينه مع قطعه من سور المدينه من ناحيه باب العراق.

---

١- بحث فى حقبه حكم الدزبرى من مختلف الجوانب فى كتابى إماره حلب ص ١٠٩- ١١١.

و ثبت سبكتكين على الحصار مدّه سبعه أشهر، و استنصر الفريقان(۱) و نفد ما مع آل مرداس من المال، و وقع المرض فى القلعيّين فأفناهم، و أيس الباقون من نفوسهم فجنحوا إلى التّسليم، و اصطلحوا على شروط منها أن لا يعرض لأحد من القلعيّين بمساءه، و انتظم الأمر و سلّمها سبكتكين بجميع ما فيها بعد أن أخذ لنفسه ثلاثين ألف دينار، و لورثه الدّزبرى اثنين و ثلاثين ألف دينار.

---

۱- راسل ثمال الامبراطوريه البيزنطيه و طلب تأييدها. إماره حلب ص ۱۱۳

## [إماره ثمال بن صالح]

[إماره ثمال بن صالح](١)

و استقرّ ملك حلب:

لمعزّ الدّوله أبى العلوان ثمال بن صالح بن مرداس.

و وصله تشريف من المستنصر فى سنه ستّ و ثلاثين. و درّت الأرزاق فى أيامه على النّاس، و أحسن السّيره معهم، و جاد بالعطاء.

و ظهر فى أيّامه ببعلبك رأس يحيى بن زكريّا فى حجر منقور فنقل إلى حمص ثم إلى حلب، فوضع بمقام ابراهيم- صلى اللّه عليه- بقلعه حلب فى سنه خمس و ثلاثين و أربعمائه.

و كان ثمال لمّا طاول حصار قلعه حلب قد رغب إلى تدورا ملكه الرّوم، و سيّر رسولا يلتمس نصرتها و إعانتها و انتماءه إليها، فرتبت ثمالا ماخسطرس على حلب، و مقلّد ابن عمه بسطرخس، و جعلت له واجب الماخسطريه عن حلب؛ و رتّبت صالح بن ثمال، و منيع بن مقلّد، و محمود بن نصر، و عطّيه و حسنا أخوى ثمال، بطارقه. و رتبت السّيده علويّه أم محمود بطريقه؛ و أطلقت لجماعتهم واجبات هذه المراتب؛ و سيّرت إليهم هدايا كثيره؛

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

و شرطت على ثمال أن يحمل فى كلّ سنه ما كان يحمله أخوه نصر، على الشروط المشروطه عليه(١).

و كـان المستنصـر قـد وقّع لثمـال بحلب على أن يحمـل إليه جميع مـا بقلعتها من المال- على ما ذكرناه- فلمّا اسـتولى ثمال على حلب حمـل إلى المستنصـر من ذلـك مـائتى ألف دينـار؛ و أفرد برسم عمـاره القلعه و مساكنها و مصانعها خمسه و سـبعين ألف دينار؛ و إقامه العوض عما استنفد من العدّه و هلك من أصحاب الأسلحه باستعمالها و الابتذال لها فى الحرب ثلاثين ألف دينار؛ و ما أخذه من آلات ذهب و فضّه و غيرها خمسه عشر ألف دينار.

فلمّـا علم المستنصـر بـذلك شقّ عليه ذلـك، و وقعت الوحشه بينه و بين معزّ الـدّوله ثمـال، فعصـى ثمـال على المستنصـر، فسـيّر المستنصر إليه إلى حلب الأمير ناصر الدّوله أبا محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان(٢)، و معه عبد العزيز بن حمدان، و شجاع الدّوله بن كليد.

و كان ناصـر الـدّوله بن حمـدان قـد ولّى دمشق من قبل المستنصـر بعـد الـدّزبرى، فوصـلوا إلى حلب بعد أن فتحوا حماه و معرّه النّعمان، فى سنه تسع و ثلاثين و أربعمائه؛ فطاف بحلب و لم ينزل بها؛ فخرج أهل حلب لقتاله، فهزمهم و اختنق منهم فى الباب- على ما يقال- سبعه عشر ألف نفس.

---

١- انظر إماره حلب ص ١١٣- ١١٤.

٢- هو الحسن بن الحسـين بن الحسن بن عبـد اللّه بن حمدان، ناصـر الدوله بن ناصـر الدوله. ترجم له ابن العديم فى بغيه الطلب ص ٢٣٢٩- ٢٣٣٣.

و عاد ناصر الدّوله فنزل بصلدى- قريه قريبه من حلب على نهر قويق- فجاءهم سيل فى اللّيل لم يسمع بمثله، فغرق أكثر المضارب، و أتلف الرجال، و أهلك الدّواب المشبوحه، فانهزم ناصر الدّوله عن حلب إلى دمشق، فقبض عليه الأمير منير الدّوله بها فى شهر رجب من سنه أربعين و أربعمائه، و سيّر إلى مصر(۱).

و كان معزّ الدّوله ثمال قد خاف من الحلبيّين أن يسلموا البلد إلى أبى محمد بن حمدان حين توجّه إلى حلب؛ فقبض أعيان الحلبيين- و منهم قاضى حلب أبو الحسن بن أبى جراده- و اعتقلهم بالقلعه سنه أربعين، فلمّا كفى أمر ابن حمدان أطلقهم فى سنه اثنتين و أربعين و أربعمائه.

و قتل معزّ الدّوله منهم الشريف أبا على محمد بن محمد بن صالح المحبره بسعايه ابن الأيسر به، دون الباقين؛ فانّ ابن الأيسر صعد إلى مصر رسولا فتحقّق براءه الباقين من تهمه تتطرق إليهم.

و وصل شجاع الدوله بن كليد والى حمص، فى سنه أربعين و أربعمائه عائثا على بلد حلب، فخرج إليه مقلّد بن كامل بن مرداس و أبو الوفاء حفاظ المعرّى، فى جمع من الكلابيين و رجّاله الحلبيّين و الفلاحين، فالتقوا بكفر طاب.

و مضى ابن كليد لينهزم، فلحقته بنو كلاب، فقتل فى هذه المرّه شجاع

---

۱- إماره حلب ص ۱۱۴- ۱۱۵.

الـدّوله بن كليد والى حمص؛ قتله جعفر بن كامل بن مرداس، و حمل رأسه إلى حلب. و كان المنجّم رأى أنّه يدخل إلى حلب، فدخلها قطعا، و انهزمت عساكره.

فسـار مقلّـد بن كامل إلى حماه ففتحها بعـد أن قاتل حصـنها أيّاما؛ ثم سار إلى حمص و وجـد ابن منزو قـد أتاها فى عسـكر من دمشق، فانهزم إلى باطن حمص، و قاتل قتالا عظيما فقلّ عليه الماء، فخرج ابن منزو إليهم بالأمان.

ثم إنّ المستنصر سيّر الأمير أبا الفضل رفق(۱) الخادم الى جيش كثيف إلى حلب، فى سـنه إحدى و أربعين، و قيل سنه اثنتين. و نزل على حلب على مشهد الجف، فقاتله الحلبيّون، فانكسر عليها و جرح و أخذ أسيرا، فمات فى قلعه حلب فى الأسر.

و سيّر معزّ الدّوله كلّ من بقى من أصحابه مأسورا إلى مصر؛ ففى ذلك يقول الأمير أبو الفتح بن أبى حصينه:

يا رفق رفقا ربّ فحل غرّه ذا المشرب الأهنى و هذا المطعم

حلب هى الدّنيا تلذّ و طعمهاطعمان شهد فى المذاق و علقم

قد رامها صيد الملوك فما انثنواإلا و نار فى الحشا تتضرّم(۲)

---

۱- لرفق الخادم ترجمه فى بغيه الطلب ص ۳۶۷۴- ۳۶۷۸.

۲- ديوان ابن أبى حصينه- ط. دمشق ۱۹۵۶، ج ۱ ص ۲۴۷.

و كـان رفق لّمـا نزل على حلب داهن عليه العرب الكلبيّون، فأشار عليه عسـكره أن يرحل عن حلب إلى صـلدع فلم يفعل؛ فأشـير عليه أن يقبض على أمراء طى ء و كلب فلم يفعل، فقيل له أن ينشـى ء سجلا عن السلطان بانّه قد أقطع الشام لمعزّ الدّوله، و يعود بهيبته فلم يفعـل؛ فلمّـا رآه أمراء العسـكر لاـ يلتفت إليهم، و لاـ يقبل مشورتهم، و وقع القتال، انهزم العرب فانهزم العسـكر معهم، فسيّر رفق إليهم و أمرهم بالعود فلم يلتفتوا.

و خرج من حلب خيـل يسـيره فشاهـدوا رحيـل العسـكر فظنـوا أنه حيله فـاتبعوهم، و غنمـوا منهم. و خرج من بحلب فلحقوا رفق الخادم، فى طرف جبل جوشن، و جرح ثلاث جراحات، و أخذ و الضّرب القوىّ برأسه، فمات فى القلعه و دفن فى مشهد الجفّ. و نهب من العسكر شى ء عظيم من الأموال و القماش و الدّواب(۱).

ثم أن معزّ الدّوله ثمالا استمال المستنصـر بعد هذه الوقعه، و لاطفه، و حمل القسط إلى مصر على يد شيخ الدّوله علىّ بن أحمد بن الأيسـر، و سـيّر معه ولـده وثّـاب و زوجته علويّه بنت وثّاب المعروفه بالسـيّده، و سـيّر معه من مال القلعه أربعين ألف دينار، و هدايا، و ألطافا فاخره، و تحفا جليله.

فلمّا وصلت أكرمها المستنصر غايه الإكرام، و حضرت بين يديه،

---

۱- استنجد ثمـال ببيزنطه، و استجاب الاـمبراطور قسـطنطين التاسع إلى طلب ثمال، فبعث رسولا إلى القاهره يطلب ايقاف حمله رفق و يهدد بالتدخل لصالح ثمال. إماره حلب ص ۱۱۶- ۱۱۹.

فقبّلت الأرض، و قالت: «خصّک اللّه یا أمیر المؤمنین بأفضل تحیّه و سلام».

فردّ علیها أفضل ردّ؛ و سألها عمن خلّفته بالشام، فقالت: «فی نعیم و خیر إن أنعمت علیهم بأمان و ذمام، حسبما جرت به عاده هذا البیت المنیف من الإحسان و الإکرام».

فأعجبه منها سرعه جوابها و حسن توصّلها، و قال لها: «أنت المسمّاه بالسّیده» فقالت: «نعم، سیّده قومی و أمتک یا أمیر المؤمنین، صلوات اللّه علیک». فقال: «ما خیّب اللّه من فوّض تدبیر أمره إلیک فی هذه الرّساله». ثم أمرها أن تمل علی کاتبها تذکره لیوّقع لها بجمیع ما تقترحه توقیعا مفردا، و توقیعا بحلب و سائر أعمالها لمعزّ الدّوله.

و أمر لمعزّ الدّوله بتشریف و لجمیع بنی عمّه، و أفاض علیها ما غمرها و جمیع أصحابها و حاشیتها؛ و عادت بمقصودها(۱).

و لما وردت زوجه معزّ الدّوله إلی حلب سکن معزّ الدّوله إلی ذلک، و اطمأنّ، و نشر العدل، و طابت قلوب الرّعیّه. و ولی وزارته فی سنه اثنتین و أربعین و أربعمائه رجلا- من أهل الرّحبه یقال له أبو الفضل ابراهیم بن عبد الکریم بن الأنباری، و لقّبه الثقه الکافی؛ و کان رجلا حسن السّیاسه.

و سیّر ثمال شیخ الدّوله علیّ بن أحمد بن الأیسر، فی سنه ثلاث و أربعین، رسولا إلی القسطنطینیه بالمال المقرّر علیه فی کلّ سنه، و بهدیه

---

۱- انظر إماره حلب ص ۱۱۹.

فشاهـدوا من سـداده و كمال مروءته ما أوجب لهم أن ميّزوه عن غيره من الرّسل، و أكرموه، و جعلوه بسـطرخس فى مرتبه مقلّد بن كامل، و جعلوا مقلدا ما خسطرس فى مرتبه ثمال، و جعلوا ثمالا ابريدرس(۱)؛ و سيّروا إليه هديّه سنّيه عوضا عن هديّته.

و مات قاضـى حلب أبو الحسن بن أبى جراده فى سـنه خمس و أربعين، فولّى القضاء بحلب القاضـى أبا محمـد كسـرى بن عبد الكريم بن كسرى و إليه ينسب آدر بنى كسرى(۲) بحلب.

ثم قدم الوزير فخر الدّوله أبو نصـر محمّد بن محمّد بن جهير حلب فاستوزره معزّ الدّوله، و فوّض أموره جميعها إليه، فاستقامت، و تضاعف ارتفاعه، و ضبط أمواله، فحسد على مكانه، و قربه منه، فسعى به إلى معز الدّوله. و كان معز الدّوله له وفاء و ذمه فتبّهه على ما سعى به عليه، فاستأذنه فى المفارقه ففسح له فى ذلك، فسار من حلب سنه ستّ و أربعين و أربعمائه، و قصد ابن مروان.

فولّى معزّ الدّوله وزارته سديد الدّوله أبا القاسم هبه اللّه بن محمد بن

---

۱- Protoproedrus منصب رفيع أبـدع فى القرن الحـادى عشـر للميلاد. انظر Cambridge ۲۲ P, ۲ P art, ۴ Vol, Medieval History.

۲- حيث قامت المـدرسه الصـلاحيه فى محله سويقه على، و أسـست المدرسه من قبل الأمير المملوكى صـلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار ت ۷۴۵ ه]. الآثار الاسلاميه و التاريخيه بحلب ص ۲۲۸- ۲۲۹.

الرعبانى الرحبى إلى أن سلّم حلب إلى المستنصر؛ و سافر ابن الرعبانى إلى مصر، فولاه المستنصر وزاره مصر عشره أيّام، ثم عزله، ثم أعاده إلى الولايه فأقام فيها عشره أيام و انصرف.

و وصلت الخلع و التشريف من مصر لثمال، فى محرم سنه سبع و أربعين و أربعمائه، على يدى أبى الغنائم صالح بن على بن أبى شيبه، فمدحه أبو القاسم هبه اللّه بن فارس المؤدّب بقصيده أوّلها:

لا زال طوعا لأمرك الأمم و لا خلت من ديارك النّعم

و تنكّر معزّ الدّوله ثمال لثقته و أمينه شيخ الدّوله علىّ بن أحمد بن الأيسر، و قد ساء رأيه فيه، فصرفه عمّا كان يتولاه من أموره، و أقام مقامه سالما و مسلما ابنى على بن تغلب. و استوحش ابن الأيسر من المقام بحلب خوفا على نفسه فتسبّب فى أن سار إلى مصر.

و أرسل ثمال سالما إلى تدورا الملكه بهدّيه، و التمس منها الزياده فى مرتبته، فقبلت هديته، و عوضته عنها، و أجابته إلى ملتمسه، و جعلت سالما بسطرخس عوضا عن ابن الأيسر.

و اندفع البساسيرى(۱) المتغلّب على بغداد إلى الشام، فى سنه سبع و أربعين و أربعمائه، منهزما من طغرلبك؛ و حصل فى أرض الرّحبه، و وصل

---

۱- للبساسيرى ترجمه فى بغيه الطلب ص ۱۳۴۷- ۱۳۵۷. كما و عالجت مسأله قيام هجره الغز و تأسيس السلطنه السلجوقيه و إثر ذلك ثوره البساسيرى فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه- ط. دمشق ۱۹۷۳ ص ۱۳- ۱۲۴.

فى قل من الرّجال، فلقيه معزّ الدّوله ثمال و أكرمه و حمل إليه مالا عظيما.

و حدّث بعض العرب من بنى كلاب أنّهم لم يروا مثله فى الشجاعه و المكر و الحيله؛ و كان إذا ركب معزّ الدّوله قفز إليه، ليمسك له الرّكاب، و يصلح ثيابه فى السّرج، و همّت بنو كلاب بالقبض عليه فمنعهم معزّ الدّوله.

ثمّ ندم بعد ذلك فإنه تقدّم إلى بالس، و شتّى بشطّ الفرات؛ و اجتمعت إليه العرب و الأتراك، ففزع منه معزّ الدّوله؛ و كان قد عرض عليه معزّ الدوله أولا مفاتيح الرّحبه فلم يأخذها منه؛ ثم طلبها منه فى هذه الحاله ليجعل فيها ماله و أهله، فى سنه ثمان و أربعين، فسلّمها معز الدوله إليه.

و كان معزّ الدّوله كريما معطاء حليما. فمّها يحكى من كرمه: أنّ العرب اقترحوا عليه مضيره(۱)، فتقدّم إلى وكيله أن يطبخها لهم، و سأله: «كم ذبحت لأجلها؟» فقال: «سبعمائه و خمسين رأسا». فقال: «و اللّه لو أتممتها ألفا لوهبت لك ألف دينار».

استغنى أهل حلب فى أيّامه، حتى أنّ الأمير أبا الفتح بن أبى حصينه امتدحه بقصيده، شكا فيها كثره أولاده، و كان له أربعه عشر ولدا، قال فيها:

جنيت على نفسى بنفسى جنايهفأثقلت ظهرى بالذى شبّ من ظهرى

عداد الثّريّا مثل نصف عدادهم و من نسله ضعف الثّريّا متى يثرى

و أخشى اللّيالى الغادرات عليهم لأنّ اللّيالى غير مأمونه الغدر

---

۱- المضيره أن تطبخ اللحم باللبن.

ولی منک إقطاع قدیم و حادث تقلّبت فیه تحت ظلّک من عمری

و ما أنا بالممنوع منه و لا الّذی أخاف علیه منک حادثه تجری

و لکنّنی أبغیه ملکا مخلّداخلود القوافی الباقیات علی الدّهر(۱)

فأمر معزّ الدّوله بإحضار شـهود، أشـهدهم بتملیکه ضیعتین من أعمال حلب و منبج، مضافتین إلی ما کان له من الإقطاع؛ فأثری و حسنت حاله؛ و عمر بحلب دارا؛ و کتب علی روشنها(۲):

دار بنیناها و عشنا بهافی نعمه من آل مرداس

قوم محوا بؤسی و لم یترکواعلیّ للأیّام من باس

قل لبنی الدّنیا ألا هکذافلیفعل النّاس مع النّاس(۳)

فکتب معزّ الدّوله له دارا إلی جانب داره؛ و هی الآن لبعض الشـراف بحلب بالبلاط، تجاه المسـجد؛ و الدّار التی بناها إلی جانبها مقابل حمّام الواسانی(۴).

و ممّا یحکی عن معزّ الـدّوله: أنّ فرّاشا من جمله الحفـده صبّ یوما من الأیّام علی یـده ماء بإبریق کان فی یـده، فصادفت أنبوبه الإبریق بعض ثنّیته،

---

۱- دیوان ابن أبی حصینه ج ۱ ص ۳۵۱- ۳۵۲، و فیه أن القصیده قیلت فی مدح عطیه بن صالح.

۲- الروشن: الشرفه.

۳- دیوان ابن أبی حصینه ج ۱ ص ۳۶۰- ۳۶۱، و فیه أنه قالها فی مدح نصر بن صالح.

۴- کانت فی محله سویقه علی، و هی قد زالت تماما بعد فتح طریق إلی القلعه سـنه ۱۹۴۵. الآثار الاسلامیه و التاریخیه فی حلب ص ۱۷۶- ۱۷۷.

فكسرتها و سقطت فى الطّست، فهمّ به الغلمان فمنعهم، و أمر برفعها، و عفا عنه، فقال ابن أبى حصينه:

حليم عن جرائمنا إليه و حتّى عن ثنيّته انقلاعا(١)

و لمّا اتسع الرّزق على معزّ الدّوله، و لم يبق له عدوّ يقصده، اضطرب عليه بنو كلاب، و امتدّت أعينهم إلى ما فى يده، و استقلّوا ما كان يصل منه إليهم، و أكثروا فى العنت له، و قالوا: «لولانا ما صرت إلى ما صرت إليه، و ما أنت بأحقّ منّا بذلك، فينبغى أن تفرضه على جميعنا».

و أوجب الزياده فى ذلك أنّ معزّ الدّوله فى سنه تسع و أربعين، سلم الرقه و الرافقه إلى منيع بن شبيب بن وثّاب النميرى، لأنّها كانت لأبيه و كانت عمّته السيّده زوجه معزّ الدّوله- و كانت قبله عند أخيه شبل الدّوله، فولدت له محمود بن نصر- و هى التى أخذتها من غلمان أبيها، على ما ذكرناه؛ فأعادها إلى منيع؛ فكثر اشتطاط بنى كلاب و فسادهم.

فكاتب معزّ الدّوله المستنصر فى تسليم حلب إليه؛ و طلب أن يعوّضه عنها أماكن تبعد عن مواطن الكلبيّين، ليأمن شرّهم و تزول منّتهم عنه؛ فأجابه المستنصر إلى ذلك؛ و عوّضه عنها بيروت، و عكّا، و جبيل(٢).

و أنفذ المستنصر نوّابه فتسلّموها منه؛ و هم: مكين الدّوله أبو علىّ

---

١- ديوان ابن أبى حصينه ج ١ ص ١۶٨.

٢- لم تكن الأمور بهذه البساطه، بل ارتبطت بحركه البساسيرى مع أسباب أخرى، انظر إماره حلب ص ١٢٠- ١٢۴.

الحسّن بن علىّ بن ملهم بن دينـار العقيلى، و عين الـدّوله أبـو الحسن علىّ بن عقيـل، و القاضـى أبـو محمّـد عبـد اللّه بن عيـاض قاضى صور، تسلّموا البلد و القلعه، فى ذى القعده من سنه ثمان و أربعين و أربعمائه.

و قد كان أبو على بن ملهم مقيما برفنيه؛ فقلّد الحرب و الخراج بحلب.

و فى اللّيله التى سلّمها معزّ الدّوله إليهم احترق المركز الشرقى بالقلعه، و ولّوا فى قلعه حلب رجلا يعرف بركن الدّوله.

و صـعد معزّ الدّوله مع عين الدّوله و قاضـى صور إلى مصـر، فلقى من المستنصر من الكرامه و الحباء ما لم يلقه وافد منه و لا من آبائه؛ و جعل له كلّ يوم، إلى أن وصل إلى مصر، ثلاثمائه دينار، و أعطى ما لم يعط أحد من المال و الجوهر و الآله؛ و كان إذا ركب السلطان حجبه، و كان ذنب دابّته عند رأس دابّه السلطان.

و اعتلّ معزّ الدّوله بمصر، فركب السلطان، فوقف بباب داره حتّى خرج إليه و سأله عن حاله.

## [إماره محمود بن نصر الأولى]

(۱) و أما ابن ملهم:

فإنّه أقام بحلّب، و عدل فى الرّعيّه، و أحسن السّيره، و بسط وجهه و يده لهم، و رخصت الأسعار فى أيّامه، و بنى كثيرا من أبرجه سور حلب؛ إلى أن تجمّعت بنو كلاب و امتدّت أطماعهم إلى حلب. و ذلك أن البساسيرى كان من المنتمين إلى المصريّين، و دعا لهم ببغداد، فى سنه إحدى و خمسين و أربعمائه فعاد السلطان طغرلبک، و جمع جموعا عظيمه، و لقى البساسيرى فقتله، و كانت الرّحبه فى يده- على ما ذكرناه.

فسار الأمير أسد الدّوله أبو ذؤابه عطيّه بن صالح إلى الرّحبه، فأخذ جميع ما تركه البساسيرى بها، من السلاح الذى لم ير مثله، كثره وجوده، و أموالا جزيله كانت للبساسيرى؛ ثم ولى فيها بعض أصحابه(۲).

فطمع بنو كلاب حينئذ فى حلب، و قوى جأشهم، و قدموا عليهم:

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- انظر إماره حلب ص ۱۲۴- ۱۲۵.

الأمير محمود بن نصر بن صالح.

لأنّ حلب كانت لأبيه شبل الدّوله؛ فسار إليها محمود ببنى كلاب، فى جمادى الأولى سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه؛ و نزل عليها، و قاتلها، و أقام عليها سبعه أيّام، و معه منيع بن مقلّد بن كامل؛ ثم رحل عنها.

فطلب الأحداث من مكين الدّوله مالا ينفقه فيهم، فقال: «قد أخذتم واجبكم المقرّر على الكمال، و تسلّفتم أيضا؛ فلا تطمعوا فى وصول شى ء آخر إليكم». فعصى أحداث(۱) حلب عليه، و غدروا به، و أنفذوا إلى محمود بن نصر بن صالح فردّوه.

فلمّا قرب منهم محمود، و ثب أهل حلب على دار الشريف القاضى معتمد الدّوله يحيى بن يزيد بن يحيى الحسينى الزّيدى، و كان قاضى الشّام، و على دار رجل يعرف بالظّهير جلال الدّوله؛ و كانا مكرمين لأهل حلب؛ فنهبوا داريهما؛ و أخرجوهما راجلين، حفاه، مكشّفى الرؤوس إلى الضّياع العربيّه، و كان من جملتهم: كندى، و ابن الزغرى، و ابن عنتر، و ابن النّاقد.

و وصل محمود ببنى كلاب، فسلّموا إليه حلب يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخره سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه؛ و انحاز مكين الدّوله بن ملهم

---

۱- عالجت مسأله أصل منظمه الأحداث، و تكوينها و أدوارها فى كتابى إماره حلب ص ۲۱۵- ۲۲۰.

إلى القلعه، و تحصّن بها، و أنفذ إلى مصر رسولا، فطلب النّجده و الإعانه، فوصل الأمير ناصر الدّوله أبو على الحسين ابن الأمير ناصر الدّوله الحسن بن الحسين بن حمدان- و هو ولد ناصر الدّوله الذى نازل حلب أوّلا فى أيّام معزّ الدّوله- و قدم فى عسكر ضخم فى جيوش المغاربه، حتى نزل حمص لنصره أصحاب القلعه؛ فسارت إليه بنو كلاب و بنو خفاجه، و كانوا جيرانا لهم بالظّعن، فى خلق كبير.

فرجع ناصر الدّوله بن حمدان إلى بعلبك، و همّت بنو كلاب باتّباعه، فأبى عليهم أسد الدّوله أبو ذؤابه عطيّه بن صالح بن مرداس، و انحاز عنهم فافترقوا، و رجعوا إلى قنّسرين.

و أقبل ناصر الدّوله حتى نزل أفاميه، و استدعى من قدر عليه من بنى كلاب، و استحلفهم أربعين يمينا، و خلع عليهم خلعا فاخره، و سار بعد أن استوثق منهم، فلمّا وصل إلى سرمين أجفلت بنو كلاب و محمود إلى الشّرق، و أجفل أحداث حلب منها؛ و حصلوا مع بنى كلاب، و ذلك ليله الاثنين السّابع من رجب من السنه.

و نزل مكين الدّوله ابن ملهم و أصحابه من القلعه، فنهبوا المدينه، و قتلوا من وجدوا من أحداثها، و عدّتهم أربعون رجلا و صلبوا فى محال حلب جماعه من القتلى، و نهبوا كلّ موضع جليل يعرفونه بالمدينه، و قياسر الوكلاء، و أموال التجار، و غير ذلك.

و وصل ناصر الدّوله أبو علىّ الحسين فنزل حلب، و أراد أن ينهبها، فقيل

له: «إنّ أصحاب مكين الدّوله قد سبقوك؛ و لم يبق لك و لأصحابك إلا الاسم بلا فائده» فامتنع من النّهب. و قال: لا بد من أهل المدينه أن يقسطوا لى خمسين ألف دينار، عوضا عن ترحيل محمود عنهم، فبذلوا له خدمه فلم يفعل، و قال: «أنا أمضى إلى الفنيدق و أقابل محمودا على فعله، و أعود أنتقم من الحلبيّين».

فسار عن حلب فى مقدار خمسه عشر ألف فارس، و محمود فى دون الألفين؛ و نزلوا على الفنيدق و هو المعروف الآن بتلّ السلطان(۱)؛ و انهزمت بنو كلب و بنو طى ء؛ و بقى العسكر وحده؛ و قلّ الماء عليهم، فكسروا. و أسر الدنين بن أبى كلب الجهبلى الكلابىّ ناصر الدّوله، و أمكنته الهزيمه فلم ير على نفسه أن يولى، و أسر كل مقدم كان فى عسكره.

و قتلت بنو كلاب أكثر عسكره، و غنموا كلما كان فى العسكر، و لم يسلم منهم إنسان بالجمله إلا عاريا.

و بعد ذلك علم محمود بن نصر بن صالح بأسر الأمير ناصر الدّوله، فاشتراه من الدنين بألفين و سبعمائه دينار؛ و قيل: بأقل من ذلك.

و أسر رجل يقال له جبر من بنى كلاب أخا ناصر الدّوله، فاشترى

---

۱- تل السلطان قريه تعرف أحيانا باسم المرج الأحمر، و هى واقعه فى سهول ادلب الشرقيه، و تتبع ناحيه أبى الظهور، و تبعد عنها مسافه ۷ كم إلى الشمال الغربى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

أيضا بمال كثير، و كانت الكسره فى يوم الأربعاء سلخ شهر رجب سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه(١).

و وصل وقت الكسره أسد الدّوله أبو ذؤابه عطيّه بن صالح بن مرداس إلى حلب، و تسلّم المدينه من المغاربه، يوم الخميس؛ و دار فيها ساعه، و نزل عند شافع بن عجل بن الصوفى فى داره، التى هى الآن مدرسه القاضى بهاء الدين بن شداد.

و قيل: إن [ابن] ملهم استدعاه، و سلّم المدينه، و فرّج اللّه عن أهل حلب(٢). و قدم الأمير محمود بن نصر إلى المدينه، فانهزم عطيّه منه آخر النّهار من يوم الخميس مستهلّ شعبان؛ و تسلّم محمود البلد يوم الجمعه الثانى من شعبان سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه، و هذا من أغرب الاتفاقات أن يملك حلب ثلاثه من الملوك فى ثلاثه أيّام متتابعه.

و أيس مكين الدّوله بن ملهم و ركن الدّوله والى القلعه، من حلب و من نجده تصل إليهما من مصر بعد هذه الكسره فأنفذا من استحلف محمود بن

---

١- هناك بعض الشكوك حول تفاصيل هذه الروايه و التواريخ فيها، لأنه من غير المعقول أن نتصور أنه يمكن فى مده قدرها اثنان و ثلاثون يوما انجاز الأعمال التاليه: توجه رسول من حلب إلى القاهره حاملا طلب المساعده، استجابه القاهره بإصدار الأوامر إلى والى دمشق ليقوم بواجب التفريج عن حلب، قيام هذا الوالى باطاعه ما صدر إليه من أوامر بتشكيل جيش فيه ما بين عشره آلاف إلى خمسه عشر ألفا من العساكر و قيادته نحو حلب! من أجل معالجه هذه المسأله انظر إماره حلب ص ١٢٦- ١٢٩.

٢- يبدو أن عطيه جاء بناء على اتفاق مسبق. اماره حلب ص ١٢٩.

نصر على شروط اشترطاها عليه، و سلّما إليه القلعه فى عاشر شعبان من هذه السنه، بعد أن أخذا أولاد بنى كلاب: ولد محمود بن نصر، و ولد شبل بن جامع، و ولد محمود بن زائده، و ولد منصور بن زغيب، و جعلاهم فى حصن أفاميه رهينه على أنفسهما و عسكرهما و أموالهما ثم سيّرهم مع الأمراء فى الرّوج إلى أفاميه سالمين؛ و أخذوا أولادهم الرهائن و رجعوا إلى حلب.

و أما ناصر الدّوله، فبقى فى أسر محمود إلى أن قدم البلد عمّه معزّ الدّوله، فاصطنعه منيع بن وثّاب؛ و خلّى سبيله فى سنه ثلاث و خمسين.

و سيّر محمود كل من كان فى أسره من الأمراء و القوّاد إلى مصر، بعد أن أحسن إليهم، و شلّت يد ناصر الدّوله فى وقعه الفنيدق، فلمّا وصل إلى مصر ولاه المستنصر دمشق، فقال أبو الحسن علىّ بن عبد العزيز الحلبى الفكيك فيه:

على حلب به حلبت دماءو حكّم فيكم الرّمح الأصمّ

و قد أرسلته والى دمشق يد شلا و أمر لا يتمّ

و فى ذلك يقول أبو نصر منصور بن تميم بن الزنكل السرمينى من قصيده، يذكر فيها مآثر بنى كلاب:

أليس هم ردّوا ابن حمدان عنوهعلى عقبه لا يتّقون العواقبا

أليس ابنه يوم الفنيدق قاده دنين أبى كلب و عرّاه سالبا

و لما أخذ محمود حلب من ابن ملهم، كان عمّه معزّ الدّوله بمصر، فصرفه المستنصر عن عكّا و بيروت و جبيل، و قال له: «إنّ هذه الأماكن

أخـذتها عوضـا عن حلب، و قـد عـادت إلى ابن أخيـك، فتمضـى إلى حلب و تسـتعيدها منه»، فقال: «إنّ نوّابكم فرّطوا فأعينونى بمال». فأعانوه على ذلك بمال، و سيّروه، و قرروا ألقابه: «الأجلّ، الأعزّ، تاج الأمراء، عماد الملك، سيف الخلافه، عضد الإمامه، بهاء الدّوله العلويه، و زعيم جيوشها المستنصريّه، علم الدّين ذو الفخرين مصطفى أمير المؤمنين».

فعـاد معزّ الـدّوله إلى حلب، و جمع قوما من عشـيرته، بعـد أن كاتبهم حين وصل إلى حمص، فأجابوه، و لقيه أكثرهم بحمص و بعضـهم بحمـاه، فلمّا نزل معرّه النعمان، أقام بها ثمانيه أيّام، و ضـيّق العرب على النّاس، و كان ذلك فى قوّه الشّـتاء، فنزلوا منازل الناس.

و سيّر محمود الشيخ أبا محمّـد عبـد اللّه بن محمّـد الخفاجى رسولا إلى ملك الرّوم، يسـتنجده على عمّه و بقى عندهم إلى أن ملك ثمال حلب؛ و كتب الخفاجى إلى حلب القصيده المشهوره:

هذا كتابى عن كمال سلامه(۱)

و رحل ثمال، فنزل حلب محاصرا لابن أخيه محمود، فأغلق محمود باب حلب فى وجهه؛ و عمل قوم من الأحداث؛ و فتحوا لمعزّ الدّوله باب قنّسرين.

و دخل أصحابه إلى أن وصلوا درب البنات، فنزل محمود من القلعه،

---

۱- طبع ديوان ابن سـنان الخفاجى فى بيروت سنه ۱۳۱۶ ه و كانت نسـخه منه موجوده فى المكتبه الظاهريه، فقدت و لم أسـتطع الحصول على نسخه أخرى فى سوريه، علما أننى وقفت على نسخه موجوده فى مكتبه معهد الدراسات الشرقيه و الأفريقيه بلندن.

و عاد أخرجهم و لم يقتل منهم واحد، و قبض على من كان سبب ذلك من الأحداث و هم: ابن حيّون، و ابن المغازلى؛ و ذلك فى ذى الحجّه من سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه.

و وصل منيع بن شبيب بن وثّاب إلى حلب لنصره محمود ببنى نمير، و حصل مع محمود بالقلعه، فرحل معزّ الدّوله عن حلب؛ و نزل منيع ببنى نمير مدّه عشرين يوما فى ضيافه محمود، و أشار على محمود باطلاق ناصر الدّوله بن حمدان ففعل، و خلع عليه، و قاد خيلا كثيره إليه، و سيّره إلى مصر.

و سار محمود إلى الحانوته(۱) ليجمع العرب على عمّه فعاد معزّ الدّوله ثانى يوم مسيره، و نزل على حلب، ثم رحل طالبا لمحمود فلقيه، و كسره، و انهزم محمود، و دخل حلب فى ثلاث فوارس آخر صفر؛ و أسر معزّ الدّوله أكثر عسكره، و الأحداث الذين كانوا معه، و هم: كندى، و صبح، و ابن الأقراصى، و الشّطيطى، و اللّباد. و استأمن منهم صبح إلى القلعه، فحبسه نائب محمود، و قيّده خيفه من حيله تتمّ عليه.

و قصد محمود حسام الدّوله منيع بن مقلّد، و قال له: «أنت كنت مساعدى و معاضدى فى كسر العسكر المصرى الواصل مع ناصر الدّوله و أوثر أيضا أن تساعدنى على عمّى» فاستمهله إلى غد ذلك اليوم، و رحل فى اللّيل

---

۱- الحانوته أو تل الحواصيد، قريه فى هضبه حلب تتبع منطقه جبل سمعان. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

طالبا معزّ الدّوله، و قال لنائبه: «تقول لمحمود: عمّك هو الشيخ الكبير، و العرب تأنف من معاضده الولد على الوالد، بل أنا برحيلى أصلح الأمر بينكما إن شاء اللّه».

فأمر محمود كاتبه أبا العلاء صاعد بن عيسى بن سمّان النّصرانىّ بأن يعمل شعرا، يذكره فيه بعهده، و يعتب عليه فى اطراح ودّه، فكتب إليه:

ألا أيهّا السّارى تخبّ برحله قصيره فضل النّسعتين إذا تسرى

تحمّل- هداك اللّه- عنّى رسالهإذا بلغت يوما شفيت بها صدرى

إلى معشر إن تنح نحوى سهامهم فأخطأ منها ما توغّل فى صدرى

و خصّ حسام الدّوله ابن مقلّدأخا الغاره الشّعواء و الكرم الدّثر

و من علقت كفّاى حبل وداده و ما خلت أن تغتاله نوب الدّهر

تذكّر- هداك اللّه- يوما أظلّنابه الموت فى ظل الرّدينيّه السّمر

لقد غالنى فى ودّك الدّهر بعد ماغدوت أراه و هو من أنفس الذّخر

و حاشا لذاك العهد من بعد ما غدانقى الحواشى أن يدنّس بالغدر

و أنت من القوم الذّين نفوسهم ترى الغدر بالإخوان ضربا من الكفر

سأصفيك ما صافيت يوما بحفظه و آمل ان ضيّعتنى عاجل النّصر

و أنت عليم أنّنى غير جازع إذا ما رمانى الدّهر بالنّوب الغبر

و إنّى إذا ما يدج ليل خطوبهاأصدعه بالسّيف عن فلق الفجر

و ما الموت إلا خطّه حمّ وقتهاو أكرمها ما كان فى طلب الفخر

أبى اللّه و الأصل الذى طاب فرعه إلى اليوم إعطاء القياد على قسر

و أخسر من تلقاه فی النّاس صفقهفتی عند مجد لا یریش و لا یبری

فلا تحتقر ذنبا جنیت علی الوفاو لا تعتذر منه فما لک من عذر

فقال منیع بن مقلّد و أبو العلوان ثمال لّما وصلت هذه القصیده: «من أین لمحمود هذه الفصاحه؟ و من له بالشّعر؟». فقیل: «إن هذا شعر أبی العلاء بن سمان النّصرانی». فقال منیع بن المقلّد: «لقد ألبسنی هذا النّصرانی من العار طوقا لا یبلی، و لئن عشت لأقابلنّه بما یکون له أهلا».

و تردّدت الرّسل بین ثمال و محمود، فی تسلیم حلب، و توّسط بینهما مشایخ العشیره، و قالوا: هذا بمنزله والدک، فتأخذ من الأعمال ماشئت.

فأجابهم محمود: بأنّ هذا صحیح، و لکنه ضیّع مملکتنا و إرثنا، و قد استعدتها بسیفی، و بذلت فیها مهجتی. فاعترف له معزّ الدوله بذلک؛ و ضمن له معیشه بخمسین ألف دینار، و ثلاثین ألف مکوک غلّه. و شهد مشایخ العشیره بها.

و عاد محمود إلی حلب فی آخر ربیع الأوّل و قد استقرّ الصلح بینهما یوم الأربعاء الرابع و العشرین من شهر ربیع الأول من سنه ثلاث و خمسین و أربعمائه. و فتحت أبواب البلد عند دخوله؛ ثم خرج إلی عمه(۱) إلی المخیم، و استرکبه یوم الاثنین مستهل ربیع الآخر من سنه ثلاث و خمسین و أربعمائه، و داخله القلعه، و سلّمها إلیه، و سار محمود لیحضر أهله من الحلّه.

---

۱- بالأصل« عمله» و هو تصحیف واضح.

و لما استقرّ معزّ الدّوله بالقلعه، نفى من الحلبيّين الأحداث العتق جماعه، و صلب منهم خمسه عشر رجلا. و كاتب المستنصر بظفره بحلب، فسيّر إليه الخلع مع ظفر المستفادى، و لأخيه و لأولاده، و لحسام الدّوله منيع بن مقلّد. و لما وصل ظفر رأى المصلّبين من الأحداث فسأل فيهم فدفنوا.

و لمّا ملك معزّ الدّوله حلب جاء أبو العلاء بن سمان ليسلّم عليه، فحمل عليه ليطعنه، فطرح نفسه من بغلته، و غيّب شخصه عنه، و سار إلى أنطاكيه، و صار بها أسقفا إلى أن مات.

و فسد ما بين منيع بن وثّاب و بين ثمال. و كان منيع بالرّحبه، فسيّر ثمال أخاه أسد الدّوله عطيّه بن صالح، فى شعبّان من سنه ثلاث و خمسين و أربعمائه، لدفع منيع عنها؛ فأخذها عطيّه، و أقام بها، و عصى على أخيه ثمال، و عاد محمود إلى حلب من الحلّه بأمه السيّده، و اجتمع بعمّه معزّ الدّوله، و سارت السيّده، و أصلحت ما بين أخيها منيع و بين زوجها معزّ الدّوله(۱).

و فى المحرّم من سنه أربع و خمسين و أربعمائه، عمر الرّوم حصن قسطون(۲) و حصن عين التمر(۳)، فسار معزّ الدّوله فى جمادى الأولى لغزوهم،

---

۱- اماره حلب ص ۱۳۰.

۲- قسطون قريه فى الجزء الشمالى من سهل الغاب عند أقدام السفح الغربى لجبل الزاويه، قربها تل أثرى يحمل الاسم نفسه. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۳- لم أقف على عين تمر فى بلاد الشام، و تشير المصادر المتفرقه أن بيزنطه أرادت تحصين خط- الثغور بدليل الخبر فى أن ثمال بن صالح غزا البيزنطيين و افتتح أرتاح، و المثير للانتباه تغيير ثمال لموقفه من بيزنطه، و لعل أسباب ذلك تغير موازين القوى إثر ظهور الغز و شروعهم باجتياح الأراضى البيزنطيه، و ادراك ثمال بعد عودته من القاهره، أن الخلافه الفاطميه باتت عاجزه عن ممارسه أدنى تهديد ضد حلب. إماره حلب ص ۱۳۰- ۱۳۱.

ففتح حصن أرتاح، فراسلوه فى الصّلح، فأرسل إليهم شافع بن الصّوفى يقول: «لا أجيب إلى الصّلح إلا على أن تهدموا الحصنين المجدّدين، و أن يكون ليلون للمسلمين، لا علقه لهم فيه، و يحملون عن حصن أرتاح مالا و يردّه عليهم» فضمنوا ذلك.

فرحل فى الثّانى من جمادى الآخره، و دخل إلى حلب، و لم يف الرّوم إلا ببعض ما ضمنوا له من الشّروط.

و بلغ معزّ الدّوله أن قوما من أحداث حلب مضوا إلى أنطاكيه، و تحدّثوا مع واليها فى تسليم معرّه مصرين، و التدرّج منها إلى غيرها، و قالوا له: «حزبنا فى حلب و أصحابنا تحت أوامرنا». فلمّا صحّ عند معزّ الدّوله ذلك، طلبهم و أحضر منهم قوما و قتلهم. و هم: ابن أبى الريحان، و ابن مطر، و ابن الشّاكرى، و بهلول؛ و صلبهم، و ترك باقيهم؛ و ذلك فى شهر رمضان من سنه أربع و خمسين.

و كبس الرّوم فى شوّال مريمين(۱) العقبه، و أحرقوها، و نهبوها، و أدركهم الأمير منصور بن جابر، و الأمير حارثه بن عبد اللّه؛ و ظفروا بالرّوم على كثرتهم و قلّه المسلمين؛ فقتلوا من الرّوم مقدار ألف و خمسمائه.

---

۱- عدّ ياقوت مريمين من قرى حلب المشهوره.

و سار معزّ الدّوله، فى العشر الثّانى من شوّال، للغزو فنزل قيبار، و فتحها، و نهبها، و قتل الرجال، و سبى النساء و الصبيان. ثم مرض معزّ الدّوله فى العشر الأوّل من ذى القعده، من سنه أربع و خمسين و أربعمائه؛ و اضطرب البلد، فبلغه ذلك، فاستدعى أخاه أبا ذؤابه عطيّه بن صالح؛ و وصىّ له بحلب، و ولاه الأمر.

و توفى يوم الخميس لستّ بقين من ذى القعده سنه أربع و خمسين و أربعمائه. و دفن فى مقام ابراهيم الفوقانى بالقلعه، داخل الباب الغربى؛ و عمل عليه ضريح؛ و بقى إلى أيّام الملك رضوان(۱)؛ و قلع و بلّط عليه.

---

۱- رضوان بن تتش. سترد أخباره فى العصر السلجوقى.

## [إماره عطيه بن صالح]

(۱) و جلس أخوه:

أسد الدّوله عطيّه بن صالح بن مرداس

فی منصبه یوم الجمعه، فبلغ ذلک محمود بن نصر بن صالح و هو فی حلّته فلم یرض بالوصیّه، و أرسل إلی عطیه یقول له: «إنّ معزّ الدّوله شرط علی نفسه أن یردّ علیّ البلد عند موته لمّا تسلّمه منّی، و أنا أخذته بسیفی من المصریّین عن غلبه و قهر؛ و هو إرثی عن أبی». و عرف ذلک مشایخ العشیره و اجتمعوا علی صحّه ما ذکره، و ساعدوه علی منازله حلب، فکان فی کلّ وقت یقصدها و یرعی زرعها و یأخذ ما فی ضواحیها و یرحل عنها.

فجاء فی رجب من سنه خمس و خمسین و أربعمائه، و نزل بحلّته علی عین سیلم(۲)، فخرج إلیه أسد الدّوله عطیّه فکسره، و نهب حلّته و انهزم محمود.

---

۱- أضیف ما بین الحاصرتین للتوضیح.

۲- وقعت عین سیلم علی مسافه ثلاثه أمیال من حلب، و کانت العرب تنزلها. معجم البلدان.

ثم إنّه تجمع إليه شبل الدّوله بن جامع، و محمد بن زغيب، و غيرهما من بنى كلاب، و نزلوا على قنّسرين- و عطيه نازل على السعدى بباب حلب- فلم يقدروا على النّزول على حلب.

فسار إليهم سيف الدّوله منيع بن مقلّد بن كامل فقوى جأش محمود به لأنه كان ذا مال عظيم. و كان كريما يطعم العرب و يعلق على خيلهم، و يخلع و يهب، فلما حصل معهم نزلوا على حلب. و حاصروا حلب شهورا فضرب حجر المنجنيق منيع بن مقلد فقتله.

و قيل: إن رجلا حقيرا ضرب صدغه بمقلاع فيه حجر، فبقى أيّاما، و مات؛ و ذلك فى العشر الأول من شوّال سنه خمس و خمسين و أربعمائه.

و أوصى منيع بجميع ماله و ما يملكه لخاله أسد الدّوله أبى ذؤابه عطيّه الذى كان يحاربه. و كان إقطاعه يرتفع منه كل سنه ثمانون ألف دينار؛ و كان له فى حصن يقال له المجدّد، ثلاثمائه ألف دينار، و سلاح و آله بمال عظيم.

و كان أبو الحسن علىّ بن محمد بن عيسى العمرى الحلبى وزير منيع؛ و كان عطيه قد دعاه إلى خدمته فامتنع، فلما مات منيع عاد أبو الحسن العمرى إلى حلب فقبض عليه عطيه، و قتله لحقده على ما فعله من امتناعه من خدمته.

و لعله احتج بأنه حمل منيعا على حصار حلب مع محمود؛ و بعد أن قتله صلبه؛ و رثاه أبو محمد الخفاجى بأبياته التى يقول فيها:

و معذل جار على غلوائه يروى حديث نداه عن أعدائه

و استوزر عطيه أبا الحسن علىّ بن يوسف بن أبى الثريا الـذى داره الآن مدرسه ابن أبى عصرون(۱) بحلب. ثم صالـح عطيه بن مرداس ابن أخيه محمودا؛ على أن يـدفع لمحمود إقطاعا بخمسه و عشـرين ألف دينار؛ من ذلك: سـرمين و باقى الاقطاع فى بلد حلب من الأرتيق(۲)؛ و تحالفا على ذلك و تمّماه.

و فى نصف جمادى الأولى سـنه ست و خمسـين و أربعمائه، سـلم ثابت بن معز الـدوله إلى ابن عمه محمود معره النعمان و كفر طاب و حماه، و كان فيها من قبل عمه.

و ذلـك أن بنى كلاـب تجمعوا بـأرض شـيزر: شـبل بن جـامع بن زائـده، و محمود بن زائـده، و منصور بن محمـد بن زغيب، و حسـين بن كامل بن حسين بن سليمان بن الدوح، و جماعه معهم من سبيعه و ذؤيبه؛ و أجمع رأيهم على الوثوب على بلدان أسد الدوله عطيه.

فأخذوا حماه و كفر طاب؛ و أتوا إلى معرّه النعمان و فيها شـهم الدوله خليفه بن جبهان، فأخذ منهم أمانا و سـلّمها، و ساروا حتّى نزلوا قريبا من

---

۱- ما تزال هذه المدرسه تحمل الاسم نفسه فى محله الفرافره فى حلب. الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ۲۲۶- ۲۲۸.

۲- ذكر ابن العديم فى بغيه الطلب ج ۱ ص ۴۳۷، هذه الكوره و قال إنه يشرف عليها و على عزاز جبل برصايا.

حلب، فسار عطيه من حلب يكبس محمودا، و كان بتل خالد(١) فظفر به محمود، و عاد عطيه منهزما إلى حلب.

و نزل محمود ببنى كلاب على حلب، و منعوا منها الميره، و حصروها، و قاتلوها قتالا كثيرا، و أشرفت على أمر عظيم من الجوع و قله ما يدخلها.

و كان أسد الدوله عطيه قد أرزق أحداثها، فمنعوا باقى أهلها من التسليم.

فلما رأى أسد الدوله ضعف البلد صالح ابن أخيه محمودا. فكان لعطيه حلب و الرحبه و بالس و منبج و عزاز و قنسرين. و سلّم بعد ذلك ما كان فى يده غير هذه المواضع المذكوره إلى ابن أخيه محمود بن صالح، و وقع الصلح على ذلك.

و استدعى عطيه ابن خان و كان فى ديار بنى مروان مغاضبا لأبيه ملك الترك، و كانت الروم تمده بالخلع و الدنانير إكراما لأسد الدوله عطيه لأنه كان مهادنهم، فقدم ابن خان إلى عطيه فى ألف قوس فأكرمهم و أضافهم.

فلما حصل ابن خان على باب حلب- و كان هذا أول دخول الترك إلى الشام- تجمعت بنو كلاب إلى محمود بن نصر بن صالح؛ و قصدوا حلب فرأى محمود أنه لا طاقه لهم بالترک فانهزم.

و مشى السفراء بين محمود و بين عطيه، فانعقد الصلح بينهما على أن يأخذ عطيه: حلب و الرحبه و منبج و عزاز و بالس و أعمال ذلك؛ و يأخذ محمود

---

١- كتبت هذه الصفحه بخط مختلف، و الكلمه مطموسه و هذه أقرب قراءه لها، و تل خالد قلعه قرب حلب. معجم البلدان.

ابن أخيه من الأثارب قبله و اقطاعه الذى كان قديما و ما كان فى يده فى أيام معزّ الدّوله ثمال. و تمّ ذلك فى المحرّم من سنه سبع و خمسين و أربعمائه.

و خرج عطيّه بالأتراك و أحداث حلب إلى الغزو، ففتح كمنون، و سبى أهلها، و عاد إلى حلب غانما. و دخل ابن خان حلب فخاف الحلبيون و عطيه منه؛ فأغرى بهم الأحداث من أهل حلب فنهبوهم ليلا، فى صفر من سنه سبع و خمسين و أربعمائه، و قتلوا منهم جماعه، و نهبوا خيولهم و سلاحهم و ما قدروا عليه من رحلهم.

و ركب ابن خان منهزما- و كان ظاهر البلد- و صاح تحت القلعه:

«أليس قد غدرت بى و بأصحابى يا عطيه، و اللّه لأنزلك منها على أقبح قضيه».

و سار إلى الشرق فعبرت طائفه منهم إلى الجزيره فنهبتهم بنو نمير، و رجع الباقون فصادفوا عسكرا للروم فى بطريق لهم يعرف بالنحت، فلم يجدوا بدا من شق عسكر الروم، و كان فى عشرين ألفا ففتح لهم الروم طريقا بينهم ليطبقوا عليهم فعبروا سالمين.

و قتلوا من الروم خلقا عظيما، و كان السالم منهم نحوا من مائه و خمسين رجلا، فركبت عليهم العرب بنو قريظ و ربيعه بن كعب و غيرهم، فأشار أمير منهم يقال له قمار على الملك أن يموت كريما، و لا يثق بالعرب فلم يفعل.

و التجأ إلى منصور بن جابر فغدر به بعد أن كان أعطاه مقنعه زوجته و مخصرته؛ و قتل قمار و جماعه.

و سلم ابن خان فى جماعه فلحق بمحمود، و نزل عليه و هو بسرمين؛

فأمنهم؛ و بعث بهم إلی معره النعمان. ثم أن محمودا سیر ولـده إلی أنطاکیه رهینه، فوجّهوا قطعه منهم، و تلقّاه بالجنایب فی کلّ منزل بمراکبها، و جعلوا له کلّ یوم خمسـین دینارا، و خلعوا علیه و علی أصـحابه خلعا سنیه، و وهبوا له فی جمله ما وهبوا دبوس ذهب وزنه ثلاثمائه مثقال.

و سـار محمود بمن جمعه من العرب، و معه ابن خـان الترکی و من انضوی إلیه من الترکمان، إلی مرج دابق، فخرج عطیه إلیهم، و جمع جموعا کثیره من العوفیین و غیرهم، و قصد محمودا و الترکمان، فی یوم الخمیس حادی عشـر جمادی الآخره سنه سبع و خمسین، فالتقوا، فانهزم عطیه إلی حلب، و تبعه محمود بمن معه.

و نزل علی حلب محاصـرا لها و فیها عمه عطیه و جاءه ظفر المسـتفادی رسولا من المستنصـر، و هو محاصـر حلب، و لقبوه عظیم أمراء العرب عضـد الـدوله، سـیف الخلافه، ذو الفخرین؛ و کان یلّقب أولا عزّ الدّوله، و شمسـها؛ فبقی محاصـرا حلب مائه یوم و یومین.

ثم سـلّمها إلیه عمه أسـد الـدّوله بن صالـح بعـد حصار شدید و جوع عظیم؛ و أخذ عمه عطیه الرحبه، و عزاز و منبج؛ و بالس، و جمیع الضیاع التی شرقی حلب و شمالیها؛ و أخذ محمود حلب و قبلیها؛ و اصطلحا صلحا خالصا ذلت به لهما العرب(۱).

---

۱- یعـد دخول ابن خـان حـدثا هامـا فی تاریـخ حلب و بلاـد الشـام، و قـد عـالجت هـذه المسـأله و تقصـیت ما ورد فی مختلف المصادر حول ابن خان هذا. إماره حلب ص ۱۳۳- ۱۳۶.

## [إماره محمود بن نصر الثانيه]

(۱) و دخلها محمود بن نصر يوم السّبت النصف من شهر رمضان سنه سبع و خمسين و أربعمائه، و استقرت ألقابه: الأجلّ، شرف أمراء العرب، سيف الخلافه، معزّ الدّوله و فخرها، و عضدها، ناصر الملك، ذو الحسبين(۲).

و مضى عطيّه إلى الرّحبه و كانت ألقاب عطيّه خالصه الأمراء، عمده الإمامه، عضد الخلافه، أسد الدّوله و سيفها، ذو العزيمتين.

و أقطع محمود معزّه النّعمان الملك هرون بن خان ملك الترك؛ فدخل

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- رأيت منذ سنوات فی قلعه حلب حجرا ملقى داخل مسجد حلب حجمها ۵۱* ۳۱ سم عليه نقش مؤلف من خمسه أسطر جاء يـه: - بسم الله الرحمن الرحيم( أمر بعمله الأـمير)- الأجـل تـاج الملـوك ناصـر الـدين شـر( ف) الأـمه ذو الحسـبين خـالصه أمير المؤمنين أبو سـلامه محمود بن نصـر بن صالح. سنه خمس و ستين و أربعمائه. و عرف محمود بذى الحسبين لأن أباه من كلاب و أمه من نمير.

المعرّه يوم الأربعاء السّابع عشر من شوال، سنه ثمان و خمسين و اربعمائه، و وصل معه إليها من التّرك، و الدّيلم، و الكرد، و الأوج(۱) مقدار ألف رجل مع حاشيتهم فنزل بالمصلّى.

فما رؤى أعف منهم عن البساتين و الكروم و غيرها، و لم يكونوا يأخذون من أحد شيئا إلا بثمنه؛ و سقوا دوابّهم الماء بثمنه. و فزعت العرب منه فزعا عظيما؛ ثم استدعى إلى حلب و عوّض معرّه النّعمان.

و خرج محمود بن نصر بابن خان و التّركمان، فى سنه تسع و خمسين، و معه بنو عوف من بنى أبى بكر بن كلاب، فنزل المعشيره(۲)- من بلد حماه- ثم أتى حماه؛ و وطىء جميع العرب و أذلّها.

و كانت العرب تطلب فتنه تقع بينه و بين عمّه عطيّه بن صالح، و كان بحمص، فظنّت بنو كلاب أنّه يحاربه؛ فلم يفعل عطيّه، لمعرفته بغدر العرب به مره بعد أخرى؛ و أراد أن لا ينهدم مجد آل مرداس.

و فى هذه السّنه سلّم حسين بن كامل بن الدّوح «حصن أسفونا»(۳) إلى نوّاب المصريّين، بعد أن نهب عسكر التّرك «حناك»(۴) و جميع ضياعه بالشّام.

---

۱- الأوج اسم أطلق على المسلمين من سكان الثغور البيزنطيه الاسلاميه.

۲- لعل المعيشره هى العشارنه الحاليه إلى الغرب من شيزر على العاصى.

۳- أسفونا الآن تل أثرى فى جبل الزاويه، ناحيه كفر نبل، منطقه معره النعمان يقع شمال غرب قريه اسمها سفوهن. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۴- حناك- كما سلف القول- خربه أثريه فى جبل الزاويه تتبع منطقه معره النعمان.

و وقع الوباء العظيم بحلب، حتّى أنه مات فى رجب من هذه السّنه زهاء عن أربعه آلاف فضلا عن سائر الشّهور.

و فيها طلعت طائفه كبيره من التّرك، فنزل بعضها على دلوك و تقدم منهم نحو ألف، فنهبوا بلد أنطاكيه عن آخره؛ و أخذوا نحو اربعين ألف جاموس. و قيل أكثر، حتى أنّ الجاموس كان يباع بدينار، و أكثره بدينارين و ثلاثه. و أما البقر، و الغنم و المعز، و الحمير، و الجوارى، فلم يقع على ذلك إحصاء من الكثره. و كانت الجاريه تباع بدينارين و الصبىّ بتطبيقه نعال للخيل.

و خرب بلد الرّوم خرابا لم يسمع بمثله؛ و بقيت الغلات فى البيادر ما لها من يرفعها منهم، حتّى كان الفلاحون و سائر العوامّ يمضى الواحد منهم و يأخذ ما يريد، فلا يجد من يدافعه عن ذاك؛ لإنّ الرّوم تحصّنوا فى الحصون و الجبال، و المغاير، و تركوا بيوتهم على حالها لم يأخذوا منها شيئا، لأنّ التّرك أتوهم على غفله، و كان ذلك فى شوال.

و كان مقدّمهم أفشين بن بكجى، و كان قد غضب عليه العادل ألب أرسلان بسبب خادم كان زعيم بعض عساكره، فقتله الأفشين. و قطع الفرات إلى بلد الرّوم، ثم خرج إلى أعمال حلب، و باع الغنائم التى كانت معه.

و نزل فى سنه ستين حول أنطاكيه؛ و ضاق الشىّ ء فيها حتى بلغت

الحنطه قفيزين(۱) بدينار. فلمّا لم يبق شـى ء دون فتحها أتته كتب العادل ألب أرسـلان من العراق بالرّضا عنه. و قيل إنّ أصحاب مؤونه السّوق بحلب حصل فى دفاترهم نحو سعبن ألف مملوك و مملوكه سوى ما بيع بغير مؤونه فى بلد الرّوم و سائر البلدان، و أخذ من أصحاب أنطاكيه مائه ألف دينار، و مثلها من ثياب الدّيباج و الآله و سار إلى العراق فى جمادى الآخره من السنه.

و فى هذه السّـنه سـلّم أمير من أمراء المغاربه يعرف بابن المرأه حصن أسـفونا إلى الأمير عزّ الدّوله محمود بن نصـر بن صالح. و تولى ذلك الأمير سديد الملك أبو الحسن علىّ بن منقذ.

و فى يـوم الثّلاثـاء السّـابع و العشـرين من شـعبان، فتحت أرتـاح بالسّـيف؛ و نهب جميع مـا فيهـا و مـا فى حصـنها من الأمـوال و الـذّرارى؛ و كـان فيهـا خلق عظيم من النّصـرانيه لأنّ جميع من كان فى تلك المواضع منهم حصل بها لأنّها كانت الكرسىّ لهم هناك. و قتل من رجالها نحو ثلاثه آلاف رجل؛ و قد كان الملك ابن خان حاصرها زهاء خمسه أشهر.

و أتى عسـكر عظيم من عسـاكر الرّوم، فنزل على بـاب أنطـاكيه ليصالـح الملـك ابن خـان عن أرتاح و غيرها من بلاهم؛ فلم يتمّ بينهم صلح. و إنّما كان غرض العسكر أن يدسّ إلى أنطاكيه غلّه حملت إلى السّويداء(۲) لتقويتها.

و كان فتح أرتاح فتحا عظيما لأنّ عملها قريب من أعمال الشّام، من

---

۱- القفيز: مكيال يساوى ثمانيه مكاكيك، و يسع المكوك صاعا و نصف الصاع.

۲- السويداء هى ميناء السويديه ميناء أنطاكيه على البحر المتوسط.

الفرات إلى العاصى إلى أفاميه إلى باب أنطاكيه إلى الأثارب. و قيل بأنهم أحصوا إلى شهر رمضان من هذه السنه أنّه افتقد من الرّوم فى الدّرب إلى أفاميه بحساب قتلا و أسرا ثلاثمائه ألف نفر.

و خرج ملك الرّوم فى سنه إحدى و ستّين و أربعمائه إلى ديار الشام فأخذ كثيرا من أهل منبج، و هرب أهلها من حصنها فأخذه، و شحنه رجالا و غله و عدّه. و سار إلى عزاز فوقف عليها ساعه، و رجع جاولا، و سلّط اللّه عليه و على أصحابه الغلاء، و العلّه، و الوباء. فذكر ملك الرّوم للقاضى القضاعى رسول المصريّين أنّه مات له فى يوم واحد ثلاثه آلاف من خيله سوى عسكره.

و قيل: إنّ منبج بقيت فى بلد الرّوم سبع سنين، و هذا الملك هو يوجانس(۱). و لا يبعد عندى أنّه الذى عناه هرقل بقوله: «لا يعود إليك رومىّ إلا خائفا حتّى يولد المولود المشئوم، و يا ليته لا يولد».

و فى يوم السّبت أول شعبان من هذه السنه، جمع قطبان أنطاكيه و دوقسها المعروف بالنحت جموعا كثيره. و طلع إلى حصن أسفونا بعمله عملها عليه قوم يعرفونه ببنى ربيع من أهل جوزن ففتحوه، و قتلوا كثيرا من رجاله و كانوا ثمانين رجلا، و أسروا الباقين. و كان الوالى به رجلا من الأتراك يعرف بنادر.

---

۱- اسمه رومانوس الرابع، و معنى لقب ديوجانس: حامى الثغور أو الحدود، و سيقع فى أسر السلطان ألب أرسلان فى معركه منازكرد.

و بلغ الخبر إلى الأمير عزّ الدّوله محمود بن نصر بن صالح، و هو يسير فى الميدّان بظاهر مدينه حلب؛ فسار فى الوقت يوم الاثنين فى التّرك و العرب؛ و لم يدخل البلد، و اجتمع عليه خلق عظيم سمع من يحزرهم بخمسين ألفا؛ فحاصره سبعه أيام، و فتحه يوم السّبت، و قتل جميع رجاله، و كانوا ألفين و سبعمائه؛ و فى ذلک يقول أبو محمّد الخفاجى:

إن أظهرت لعلاک «أنطاكيه»حزنا فقد ضحكت على قطبانها

بعث البريد مخبّرا عن وثبهما كان أحوجه إلى كتمانها

لمّا أطلّ له لواؤک خافقاعرفت وجوه الذّل فى صلبانها

و فيه يقول أبو الفضل عبد الواحد بن محمّد الحلبىّ الربعى:

رددت على الاسلام شرخ شبابه و كادت عليه أن تقام المآتم

و ظنّ طغاه الرّوم منذ أغبّهم نزالک أنا حين ذاک نسالم

ثم إنّ محمودا هادن الرّوم فى هذه السّنه على أن اقترض منهم أربعه عشر ألف دينار، و على أن يجعل ولده «نصرا» رهنا عليها، و يهدم حصن أسفونا. فأخرج ثابت ابن عمّه معزّ الدّوله و شبل بن جامع، و جمعا النّاس من معرّه النّعمان و كفر طاب و أعمالهما؛ و خربا حصن أسفونا.

و وقعت فتنه بحلب بين الحلبيّين و الأتراک، و قتل من الأتراک نحو أربعين رجلا، و من الحلبيين عشره. و وصل فى سنه اثنتين و ستّين و أربعمائه صندق التركى خارجا من بلد الرّوم، و معه عسكر عظيم؛ و دخل إلى بلد

حلب من الأرتيق إلى الجزر(١) إلى بلد معرّه النّعمان و كفر طاب إلى حماه و حمص إلى رفنيه.

و شتوا فى هذه السّنه فنهبوا الضّياع و سبوا منها، و عاقبوا من وجد هناك، و فتحوا جباب الغلّه و مدافنها. و قطع القطائع الكثيره على مواضع امتنعت عليه.

و لقى أهل الشّام من عسكره شدّه عظيمه، و هو أوّل نهب و فساد جرى بالشّام من الأتراك. و لما انقضى زمن الشّتاء عاد إلى بلد الرّوم بعد أن أكرمه محمود بن نصر بتحف و هدايا حملها إليه.

ثمّ إنّ محمود بن نصر بن صالح راسل فى هذه السّنه السلطان العادل ألب أرسلان(٢)، و استقرّ الأمر بينهما فأجاب مشايخ البلد إلى ذلک فلبس المؤذّنون و الخطيب السّواد، و خطب للامام القائم، و بعده للسّلطان ألب أرسلان، و بعده لمحمود، و لقّب الأمير الأجلّ حسام الدّوله العبّاسيه، و زعيم جيوشها الشّاميّه تاج الملوک، ناصر الدّين شرف الأمّه ذو الحسبّين خالصه أمير المؤمنين.

و أمر ابن خان الأتراک بالوقوف على باب الجامع و قتل كلّ من يخرج ممتنعا من الصّلاه و سماع الخطبه؛ فسأله الشّيوخ ألا يفعل خوفا من وقوع

---

١- الجزر كوره من كور حلب تقع بينها و بين أنطاكيه.

٢- للسلطان ألب أرسلان ترجمه واسعه فى بغيه الطلب كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٧٨- ٢٩٣.

فتنه. و أخذت العامّه الحصر التى فى الجامع، و قالوا: «هذه حصر علىّ بن أبى طالب فليجى ء أبو بكر بحصر حتى يصلّى عليها النّاس». و كان ذلك يوم الجمعه التّاسع عشر من شوّال سنه اثنّتين و ستّين و أربعمائه.

و مدحه الشّيخ أبو محمّد بن سنان الخفاجىّ الحلبىّ بقصيده طويله، يقول فيها:

ما يصنع الحسب الكريم بعاجزيبنى له الشّرف الرّفيع و يهدم

على أن يخطب محمود بحلّب للإمام القائم خليفه بغداد و بعده للسّلطان العادل ألب أرسلان و بعده لنفسه؛ فوصل إليه نقيب النّقباء أبو الفوارس طراد بن على الزينبى لإقامه الدّعوه العبّاسيه، و معه الخلع من القائم بأمر اللّه و من السّلطان.

فجمع محمود أهل حلب و قال لهم: «قد ذهبت دوله المصريّين و هذه دوله جديده، و مملكه سديده و نحن تحت الخوف منهم، و هم يستحلّون دماءكم لأجل مذهبكم، و الرأى أن نقيم الخطبه خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول و لا بذل».

و كان ناصر الدّوله بن حمدّان قد تغلّب على مصر، و وقع بينه و بين جماعه من الأمراء بمصر وحشه؛ فأنفذ إليه الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد البخارى المعروف بقاضى حلب- و أظنّ ناصر الدّوله قلّده قضاء حلب حين وردها؛ و وقعت به وقعه الفنيدق، و السلطان ألب أرسلان حين حاصر حلب و هو معه فعرف بذلك- أرسله ابن حمدان رسولا إلى السلطان ألب أرسلان

يستدعى عساكره ليسلّم إليه ديار مصر و يغيّر الدعوه؛ و ذلک فى سنه اثنتين و ستّين.

فلمّا ورد عليه الرسول إلى خراسان جهز العساكر العظيمه التى تملأ الفضاء، و وصل معها على طريق ديار بكر، و نزل الرّها فى أوّل سنه ثلاث و ستّين، و أقام عليها نيّفا و ثلاثين يوما.

و سيّر الفقيه أبا جعفر قاضى حلب المذكور رسولا إلى محمود بن نصر بن نصر بن صالح يستدعيه إلى وطء بساطه و خدمته أسوه بمن وفد عليه من الملوك مثل: شرف الدّوله مسلم بن قريش، و ابن مروان، و ابن وثّاب، و ابن مزيد، و أمير التّرك و الديّلم. فلم يجب محمود إلى ذلک، و خاف منه.

فسار عن الرّها إلى الشّام قاصدا محمود بن نصر، فقطع الفرات فى النّصف من شهر ربيع الآخر سنه ثلاث و ستّين و أربعمائه، من نهر الجوز(۱)؛ و نزل على بعض المروج فأعجبه، فقال له الفقيه أبو جعفر قاضى حلب:

«يا مولانا أحمد اللّه تعالى على هذه النّعمه؛ و هى أنّ هذا النهر لم يقطعه قطّ تركىّ إلا مملوک. و أنت قد قطعته ملكا». فأحضر الأمراء و الأتراک و أمره بإعاده القول. قال: فأعدته، فحمد اللّه تعالى حمدا كثيرا.

و نزل بنقره بنى أسد إلى أرض قنّسرين إلى الفنيدق. و كان نقيب النقباء بحلب لم ينفصل عنها بعد إقامه الدّعوه، فسأله محمود أن يخرج إلى

---

۱- نهر الجوز: ناحيه ذات قرى و بساتين و مياه بين حلب و البيره على الفرات. معجم البلدان.

السّلطان، و يصلح أمره معه، فخرج مستفسرا و متوسّلا. و تلطّف الأمر، و أحسن السفاره. و خاطب السّلطان بأنّه قريب العهد بالخطبه للخليفه، و قد لبس تشريفه.

فقال السّلطان: «أى شى ء تساوى خطبته للخليفه و لبس تشريفه، مع ما سبق من شقّه العصا و خروجه عن الطّاعه!» و أبى قبول الشّفاعه فيه بدون وطء محمود بساطه.

فخاف محمود و لم يجب إلى ذلك، و تمادى الأمر نحو شهرين. و حصّن محمود حلب و جفّل الناس من سائر الشام إليها، و حصل الرّعب فى قلوبهم هيبه. لما اجتمع إليه من العساكر الجمه، و الجيوش الكثيفه الضخمه. و كان الأمر بخلاف ما ظنّ الناس؛ فإنّه لما أيس من خروج محمود إليه عاد من الفنيدق و كانت خيمته على ذلك التّلّ فعرف بتلّ السّلطان من ذلك اليوم.

و نزل على حلب فى آخر جمادى الآخره من السّنه، و كانت الخيام و العساكر من حلب إلى نقره بنى أسد، إلى عزاز، إلى الأثارب، متقاربه بعضها من بعض، و لم يتعرّض أحد من العسكر بمال أحد، و لا سبيت حرمه، و لا قاتل حصنا.

و بلغنى أنّ عسكره العظيم لم يأخذ عليقه تبن من فلاح إلا بثمنه، و أقام محاصرا حلب شهرا و يومين. و لم يقاتلها غير يوم واحد، و قصد المطاوله بالبلد بعد أن أشرف على الأخذ، و قال: «أخشى أن أفتح هذا الثغر بالسّيف

فيصير إلى الرّوم». و نقب برج الغنم، و علّق(۱)، فظفر أهل حلب بمن دخل ذلك النّقب و أخذوا بعضهم، و وقع الرّدم على الباقين.

و عصّب الحلبيون برج الغنم بشقه أطلس، و كان السلطان نازلا- بميدان باب قنّسرين، فسأل عن ذلك فقيل: «هؤلاء الحلبيّون يقولون على سبيل المزح: قد صدّع البرج رأسه من حجاره المنجنيق فقد عصّبوه». فغضب، و فرّق في تلك الليله ثمانين ألف فرده نشّاب خلنج(۲)، غير ما رماه بقيّه العسكر.

و أصبح و أمر بالزّحف فجدّ النّاس في قتال البلد، و حمل السّلطان بنفسه في ذلك اليوم، فوقعت يد فرسه في خسف كان هناك، و أصاب في الحال رأس فرسه حجر المنجنيق فركب غيره؛ و عاد، و صرف النّاس عن الحرب بعد أن أشرف البلد على الأخذ إبقاء لحرمه البلد، و كان عسكره دائرا بالبلد من جميع وجوهه.

ثم إنّ السّلطان راسل الأمراء من بني كلاب و أحضرهم من البرّيّه، فوصلوا إليه، و عوّل على تقليد بعضهم و تركه في مقابله محمود و عوده لأجل ما بلغه من ظهور ملك الرّوم إلى بلاد أرمينيه عازما على قصد خراسان.

و لمّا علم محمود بأنّ البلد قد أشرف على الفتح، و علم بوصول الأمراء من بني كلاب، و أنّه إن تم ذلك خرج الشّام من يده، فراسل السّليمانيّ-

---

۱- أي حشي بالأخشاب لسند الثغره قبل اشعال النار فيها بغيه بغيه انهيار البرج.

۲- الخلنج حتى الآن بالدارجه: الجديد الذي لم يستخدم بعد.

و كان يتردّد إليه فى الرّساله- يعلمه أنّه قد عزم على وطء بساط السّلطان و خدمته خوفا مما أشرف عليه.

فخرج إلى السّلطان بنفسه، و معه والدته علويّه، المعروفه بالسّيده، فى أوّل شعبان؛ و أخذ مفاتيح البلد معه، فدخلا و العسكر سماطان بين يديه، فخدماه، و سلّما عليه، فأكرمهما، و أحسن اليهما، و قال للسيّده: «أنت السيّده؟» قالت: «سيده قومى»- و قد ذكرنا أنّه جرى لها ذلك مع المستنصر.

و أطلق له البلد، و شرّفه، و خلع عليه، و كتب له توقيعا بحلب، و تردّد خروج محمود إلى خدمته مرّه بعد أخرى؛ و قرّر معه السّلطان أن يخرج بعسكره، و يضيف إليه السّليمانى، و أن يتوجّها إلى بلاد دمشق و الأعمال المصريّه لفتحها ففعل ما أمره به، و عاد السّلطان إلى بلاده(۱).

و قيل: إنّه خلّف ابنه مع فوج من عساكره بكوره حلب، و قصد ملك الرّوم، و أسرع فى السّير لأنّه بلغه أنّ ملك الرّوم خرج فى جموع لا تحصى؛ و أنه وصل إلى قاليقلا- و هى أرزن(۲) الرّوم- فوصل السّلطان إلى أذربيجان حين بلغه أنّ ملك الرّوم قد أخذ على سمت خلاط، و كان السّلطان فى خواصّ جنده، و جموع عساكره بعيده عنه، و لم ير العود إلى بلاده؛ فسيّر وزيره نظام الملك و زوجته الخاتون إلى تبريز مع أثقاله.

---

۱- عالجت هذه الحوادث و بحثت فيها اعتمادا على مختلف المصادر فى كتابى اماره حب ص ۱۳۸- ۱۴۳.

۲- أرزن: مدينه قرب خلاط. معجم البلدان.

و بقى فى خمسه عشر ألف فارس من نخبه عسكره مع كل واحد فرسه و جنيبه؛ و الرّوم فى زهاء ثلاثمائه ألف أو يزيدون ما بين فارس و راجل، من جموع مختلفه من الرّوم، و الرّوس، و الخزر، و اللان، و الغزّ، و القفجق، و الكرج و الأبخاز، و الفرنج، و الأرمن. و فيهم خمسه آلاف جرخى(۱)؛ و فيهم ثلاثون ألف مقّدم ما بين دوقس، و قومص، و بطريق.

فرأى السّلطان أنّ الإمهال للحشد و الجمع مضرّ؛ فركب فى نخبته و قال: أنا أحتسب نفسى عند اللّه؛ و هى إمّا السعاده بالشهاده، و إمّا النصر وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ(۲). ثم سار مرتّبا جيشه قاصدا جموع الرّوم.

و كان ملك الرّوم قد قدم مقدّما فى عشرين ألف مدرع من شجعان عسكره، و معه صليبهم الأعظم؛ فوصل إلى خلاط، فنهب و سبى، فخرج إليه عسكر خلاط، و معه صندق التركى الخارج إلى بلد حلب، فى سنه اثنتين و ستّين- على ما قدّمنا ذكره- فكسره صندق؛ و أسره، و صادف ذلك وصول السّلطان، فأمر بجدع أنفه.

و عجّل إنفاذ الصّلب الذى كان فى صحبته إلى نظام الملك، و أمره بتعجيل إنفاذه إلى «دار السّلام» مبشّرا بالفتح؛ و تلاحق عسكر الرّوم، فنزلوا على خلاط محاصرين لها؛ و نزل الملك على منازكرد فسلّموها إليه بالأمان خوفا

---

۱- الجرخ آله عليها قوس ثقيل يرمى السهام أو النفط.

۲- سوره الحج- الآيه: ۴۰.

من معرّه جيوشه إن استولوا عليهم؛ و ذلک فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعده، سنه ثلاث و ستّين و أربعمائه.

فلما كان يوم الأربعاء سيّر أهل منازكرد، و خرج بنفسه ليشيعهم و هو فى جموعه و وافق ذلک وصول العسكر السّلطانى، و وقعت العين فى العين، فحمل المسلمون حمله رجل واحد، فردّوهم على أعقابهم. و شرع أهل منازكرد يتسلّلون من بينهم فقتل الرّوم بعضهم، و نجا الباقون، و ترک الرّوم طريقهم الذى كانوا سالكيه، و عاد ملكهم فنزل فى مضاربه بين خلاط و منازكرد؛ و باتوا ليلتهم على أعظم قلق و أشدّه.

فلمّا أصبحوا بكره الخميس وصل السلطان ألب أرسلان فى بقيّه عساكره، فنزل على النّهر، و ملک الرّوم على موضع يعرف بالرّهوه فى مائتى ألف فارس، و السّلطان فى خمسه عشر ألف؛ فأرسل السّلطان رسولا حمّله سؤالا و ضراعه، و مقصوده أن يكشف أمرهم، و يختبر حالهم و يقول لملک الرّوم: «إن كنت ترغب فى الهدنه اتممناها، و إن كنت تزهد فيها و كلنا الأمر إلى اللّه عزّ و جل».

فظنّ الرّومى أنّه إنّما أرسله عن ضروره فأبى و استكبر، و أجاب بأنّى سوف أجيب عن هذا الرأى بالرىّ؛ فغاظ السّلطان جوابه، و انقطعت المراسله بينهما.

و أقام الفريقان يوم الخميس على تعبئه الصّفوف، فقال أبو نصر محمد بن عبد الملک البخارىّ الحنفى فقيه السّلطان و إمامه: «أنت تقاتل عن

دين اللّه الذى وعد بإظهاره على الأديان، فالقهم يوم الجمعه بعد الزّوال، و النّاس يدعون لك على المنابر فى أقطار الأرض».

فلما أصبحوا يوم الجمعه ركب السّلطان بجموعه و ركب الرّوم فتواقفوا، فلمّا حان وقت الزّوال نزل السّلطان عن فرسه، و أحكم شدّ حزامه؛ و تضرّع بالدّعاء إلى اللّه تعالى، ثم ركب و فرّق أصحابه فرقا كلّ فرقه منهم لها كمين؛ ثمّ استقبل بوجهه الحرب.

و حمل ملك الرّوم بجمعه، فاستطرد المسلمون بين أيديهم، و استجرّوا الرّوم إلى أن صار الكمين من ورائهم؛ ثمّ خرج الكمين من خلفهم، و ردّ المسلمون فى وجوههم؛ فأنزل اللّه نصره؛ و كسرت الرّوم، و أسر الملك، و استولى المسلمون على عساكرهم، و غنموا ما لا يعدّ كثره و لا يحصى عددا و عدّه.

و قيد الملك أسيرا بين يدى السّلطان، فأقامه بين يديه. و معه بازى و كلب صيد.

و كانت مع الرّوم ثلاثه آلاف عجله تحمل الأثقال و المنجنيقات، و كان من جملتها منجنيق بثمانيه أسهم تحمله مائه عجله؛ و يمدّ فيه ألف و مائتا رجل، وزن حجره بالرّطل الكبير قنطار؛ و حمل العسكر من أموالهم ما قدروا عليه.

و سقطت قيمه المتاع و السّلاح و الكراع، حتى بيعت اثنتا عشره خوذه بسدس دينار؛ و لم يسلم من عسكر الرّوم إلا العسكر الذى كان محاصرا

خلاط، فلما بلغتهم الكسره رحلوا عن البلد جافلين؛ فاتبعهم المسلمون و تخطّفوا أطرافهم، فلم يلو أوّلهم على آخرهم.

فمن عجيب الاتفاق ما حكى: أنّه كان لسعد الدّوله كوهرائين مملوک أهداه لنظام الملک، فردّه عليه فجعل يرغبه فيه، فقال نظام الملک: «و ما ذا عسى أن يكون من هذا المملوک يأتينا بملک الروم أسيرا»، مستهزئا به.

ثمّ رحل السّلطان إلى أذربيجان، و الملک فى قيده، فأحضره السّلطان بين يديه، و سأله عن سبب خروجه و تعريضه نفسه و عسكره لهذا الأمر؛ فذكر أنه لم يرد إلا حلب، و كلّما جرى على كان محمود السبب فيه و الباعث عليه، فقال: «اصدقنى عما كنت عازما عليه أن لو ظفرت بى» فقال: «كنت أجعلک مع الكلاب فى ساجور».

فقال السّلطان: «ما الذى تؤثر أن يفعل بک؟» فقال: «انظر عاقبه فساد نيّتى و اختر لنفسک» فرقّ له قلب السّلطان، فمنّ عليه، و أطلقه، و أكرمه، و خلع عليه بعد أن شرط عليه أن لا يتعرّض لشى ء من بلاد الاسلام، و أن يطلق أسرى المسلمين كلهم، و سيّره إلى بلاده، و سيّر معه قطعه من العسكر توصله.

فلمّا انصرف ديوجانس إلى قسطنطينيه خلعوه من الملک، و لم يتمّ له ما أراد. و قيل: إنّه كحل، و مات بعد مدّه. و لم ينقل أنّه أسر للرّوم ملک فى الإسلام قبل هذا(۱).

---

۱- جمعت أخبار هذه المعركه الحاسمه من مختلف المصادر عربيه و غير عربيه، و من ثم قمت بدراستها بموضوعيه و تفصيل. انظر كتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۱۴۰- ۱۵۱.

و أمّا محمود بن نصر بن صالح فإنّه سار بعسكره بعد رحيل السّلطان عن حلب، و معه بنو كلاب و السّليمانى، فى شعبان من هذه السّنه، فنزلوا بالقرب من بعلبكّ قاصدين دمشق و بلادها- و بها يومئذ ابن منزو الكتامىّ- حسب ما تقدّم السلطان إليه، و أقام محمود ليتبينّ ما يفعل.

و كان عمّه عطيّه بن صالح قد صار مع الرّوم مستنجدا بهم على ابن أخيه محمود؛ و بعد أن قصد المصريّين فلم يحصل على شى ء منهم. فخرج عطيّه مع النحت دوقس أنطاكيه و عسكر الرّوم؛ فهجموا معه معرّه مصرين و أحرقوا بعضها، و قتلوا من قدروا عليه.

و بلغ الخبر محمودا و هو فى أرض بعلبكّ فعاد إلى حلب، و سار السليمانى ليلحق بالسّلطان ألب أرسلان؛ و اتصلت غارات الرّوم على الشّام، فاستنجد محمود «بقرلو التركىّ» و من معه من الأمراء بفلسطين، و هم: ابن أخى الملك ابن خان، و أتسز بن أوق(١) و إخوته. و كانوا أوّل من طلع من التّرك إلى بلاد فلسطين، و فتحوها، و أقاموا بها فنزلوا إلى محمود منجدين له، و أقاموا إلى أن تفرّق عسكر الرّوم.

و دخل عطيّه عمّ محمود إلى قسطنطينّيه، فسقط من سطح كان نائما

---

١- لأتسز بن أوق ترجمه فى المقفى للمقريزى كنت قد نشرتها فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢۶۵- ٢۶٨.

عليه و هو سكران؛ فمات سنه أربع و ستّين- و سار محمود إلى الرّحبه فأخذها- و حمل إلى حلب و دفن بها غربىّ باب الجنان، فى مشهد أمه طرود قبلى بستان النّقره، و صلى عليه ابن أخيه محمود. ثمّ عاد الأتراك بعد أن حمل إليهم محمود مالا و خيلا.

و فى سنه أربع و ستّين و أربعمائه، تغيّرت أخلاق محمود بعد رحيل السّلطان، و تنكّر لأصحابه؛ و تغيّر على وزيره أبى بشر النّصرانى؛ و كان هو الذى ساعده بماله حتى ملك حلب، و استجذب العرب إليه، و كان القائد أبو الحسن بن أبى الثريا- الذى كان وزير عطيّه- قد سعى به ليلى وزاره محمود، و طالبه بمال جليل.

و كان محمود قد رغب فى جمع المال، و غلب عليه حبّ الدنيا فذكر له أبو بشر أنه عاجز عن أداء ما طولب به، و أنّه ممّا لا تصل يده إليه و لا إلى بعضه. فأمر محمود بقتل ولد كان لأبى بشر و بقتل أخيه؛ فقتلا و قطع رأساهما، و علّقا فى عنقه؛ فسمع أبو بشر و هو يقول:

ويح دهرى ما أمرّه ما وفى خير بشرّه

و حلف أبو بشر أنه بعد ما فعله بابنه و أخيه لا يظهر له شيئا من ماله.

و قال: كلّ من عنده شى ء مودع فهو فى حلّ منه و سعه.

و ندم محمود على ما فعل، و أراد الرّجوع له؛ و أرسل إليه شافع ابن الصّوفى أن يقرّر عليه شيئا و يطلقه فامتنع.

و اتّفق أنّ محمودا اصطبح، و قدّم إليه طعام بعد سكره، فأنفذ منه لأبى بشر مع فرّاشه؛ فقام قائما و قبّل الأرض، و شكر و دعا. فعرف ابن أبى الثّريا، فركب، و لقى الفرّاش و دفع إليه مائه دينار؛ و سأله أن يقول لمحمود:

«إنّ هذا شيخ خرف لأنه لم يقبل طعام مولانا، و قال: كافأه اللّه و عجّل عليه». ففعل الفرّاش ذلك.

و دخل ابن أبى الثّريا عقيبه على محمود؛ و جاراه فى حديث لا يتعلّق بأبى بشر فلم يقبل عليه، و وجده مملوء القلب غيظا من جواب الفرّاش. فقال ابن أبى الثّريا: «اللّه لا يشغل لمولانا خاطرا، فما أراه منبسطا فى مجلسه و لا مصغيا إلى المملوك». فحدّثه بما قال الفرّاش، فقال يا مولانا: «لم تزل إليه محسنا و يقابلك بالإساءه فكيف يكون بعد ما جرى عليه و على ابنه و أخيه ما جرى؟

و أنا أدرى أنك تريد ماله؛ و قد تكرّر قوله أنّه لا يعطيك شيئا». قال محمود:

«هذا سيفى و خاتمى، خذهما و امض إليه فان لم يقرّ بشى ء فاقتله».

فقام ابن أبى الثّريّا من عنده بذلك، و اشتغل محمود بالشرب فلها عنه؛ و أحضر ابن أبى الثريا أبا بشر فلم يطالبه بمال بل قال له: «ما زلت تتجلّد حتّى صرت إلى هذه الحال». فقال: «يا قائد السّوء قد علمت أنّ هذا كلّه من سعيك؛ و الأجل لا مردّ له، و هذا موت الشّهداء؛ و لكن استعدّ لرجلك بحبل، فستموت ميته الكلاب، و تجرّ جيفتك إلى الخندق».

و قتل أبو بشر، و رمى وسط بئر بستان القصر. و صعد الوزير أبو نصر بن النحاس ثانى يوم قتل أبى بشر إلى خدمه محمود، فقال له سرّا:

«تمضـی إلی أبی بشـر لتقریر مـا علیه، و یطلق». فقـال: «یـا مولانـا أو ما قـد قتلته».؟ فأطرق محمود ساعه و قال: «تمّت علیّ و علیه الحیله، و یجب یا أبا نصر أن تکتم هذا الأمر».

قال أبو نصر: «فما حدّثت به إلا بعد موت محمود». و استقلّ ابن أبی الثریا بوزاره محمود.

و أمـا سدیـد الملـک أبـو الحسـن بـن منقـذ فـإنّه استشـعر مـن تـاج الملـوک أن یقبضـه- و کـان أخـاه مـن الرّضـاعه- فـاجتمع باسباسلار(۱) أبی حرب- المعروف، بخریبه الفافـا- و کـان صـاحب سـرّ محمود و نـدیمه، و کان لابن منقـذ إلیه إحسان کثیر و صنائع جمّه؛ فقال له: «قـد استشـعرت من تاج الملوک فانظر ما تعمله معی». فقال: «تکلّفنی أن یقول الأمیر أرید أقبض علی فلان فأخبرک بذلک؛ لا واللّه، و لکن أنا أنفذ إلیک مع عجوز عندی ألفی دینار؛ فإذا نفذت طلبتها منک فشأنک و نفسک».

فبقیت تلک الدّنانیر عنده مدّه ثمّ نفّذ العجوز یطلبها، و کان قد أصـلح حاله للسّفر، فدفع إلیها الدّنانیر، و رکب من یومه، و خرج من حلب إلی کفر طاب فاستصحب منها ما أراد.

و سیّر حسـین بن کامـل بن الـدوخ إلی سدیـد الملـک بن منقـذ یسأله الاجتمـاع به فاجتمعـا؛ فقال له حسـین: «ایش رأیک فی الدّخول إلی حلب؟»

---

۱- الاسباسلار أو الاسفهلار فارسیه تعنی القائد.

فقال: «ما أقول لک شیئا لأنّ لک مالا عظیما، فإن أشرت علیک بترکه کنت ملوما عندک، و لکنّی أقول لک ما أعمل، و أنت تری رأیک. و اللّه لا نظرت محمودا أبدا»!.

و سار إلی طرابلس فکتب محمود إلی ابن عمار یأمره بالقبض علیه، و یبذل له ثلاثه آلاف درهم و رفنیه فلم یظفر به.

و سار ابن منقذ حتی وصل إلی طرابلس فی سنه خمس و ستّین، فلقی ابن عمّار و أخاه، فکاتبهما محمود فتنکّرا له.

و عزم ابن منقذ علی الطلوع إلی مصر، فاتفق موت أمین الدّوله ابن عمّار فشدّ ابن منقذ من جلال الملک علی بن عمار و عاضده بممالیکه و من طلع معه من أهل کفر طاب؛ فأخرجوا أخا أمین الدّوله؛ و تولّی جلال الملک؛ و عظم محلّ ابن منقذ عنده حتّی کان حکمه فی طرابلس مثله. و کاتبه محمود بتطییب قلبه، فلم یثق به، و لم یعد إلی حلب حتّی مات.

و قیل: إنّ ابن النحاس، کاتب محمود، کتب إلیه کتابا من نفسه یضمن له فیه الرّضا عن محمود، و کتب فی آخر: «إنّ شاء اللّه» و شدّد النّون من «إنّ»؛ ففطن ابن منقذ بأنه أراد قوله تعالی: إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ(۱) فکتب جوابه: «و کتب إنّا الخادم» و کسر الألف، و شدّد النّون من «إنّا»؛ ففطن ابن النّحّاس بأنّه أراد قوله تعالی: إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِیها(۲).

---

۱- سوره القصص- الآیه: ۲۰.

۲- سوره المائده- الآیه: ۲۳.

و أما محمود فإنه لما يئس من عود أبی الحسن بن منقـذ قبض علی أملاکه جمیعها. و أمّا حسـین بن الـدّوخ فانه دخل إلی حلب فقتله محمود و لم یمهله.

و کـان محمود قـد خطر له أن یولی فی کـلّ قلعه من قلاـعه رجلاـ من أهـل حلب، و تکون ذریته و أهله تحت یـده، و طلب من الوزیر ابن أبی الثریـا أن یختـار له من یولیه عزاز، فقـال: «لا أجـد لـذلک إلا أبا محمـد بن سـنان الخفاجیّ». و کان أبو نصـر ابن النحاس حاضرا، فصوّب الرأی فیه.

فأحضره محمود و ولاه بعد أن امتنع ثمّ أجاب.

ثمّ إنّه استوحش علیه فاستدعاه محمود عدّه دفعات إلی حلب، فتعلل علیه و لم یحضر، و کان أبو نصر بن النحّاس صدیقه و کان کاتب محمود؛ فکان یکتب إلیه و یحذّره.

فـأمره فی بعض الأیّام أن یکتب إلیه کتابا یتلطّفه و یأمره بالحضور و الکتاب عن أبی نصـر؛ لأنّه کان یعلم ما بینهما من المودّه؛ و أمره أن یضمن له عن محمود کلّ خیر؛ و أمره أن یکتب الکتاب بین یدیه، و لم یقع له أن یلغز فیه شیئا.

قـال أبو نصـر: «فمـا قـدرت أن أعمـل فیه سوی أن شـددت النّون من (إن شاء اللّه)؛ و تناهیت فی لفظ الکتاب، و قلت: لو عرفت ضـدّ مـا کتبت لمـا کنت بصوره من یغشّه». و أخـذ محمود الکتاب و وقف علیه، و کرّر فیه نظره فرآه کافیا شافیا، فأمر بالصاقه و عنوانه؛ و دفعه لبعض أصحابه و وصّاه أن یقول:

«هذا کتاب دفعه إلیّ أبو نصر بداره». و سار الفرّاش.

فلما وقف أبو محمد عليه كرّر فيه نظره، و بقى متعجّبا منه، و يقول:

«أخى أبو نصر أعطاك الكتاب بداره أم بالديوان أم بالقلعه قدّام الأمير؟» فقال: «بل بداره» فقال: «ما هذا صحيح!» فحلف له فلم يصدقه إلى أن قال: «وقعت على المعنى». و كتب جوابه يذكر فيه شكر أبى نصر، و أنّه مهتمّ بالحضور عندد زوال حمّى جسمه. ثم إنّه كاتب أبا نصر خفيه، و أعلمه أنه عثر على المعنى فى تشديد «إنّ».

و قد ذكرنا أنه جرى له ذلك مع ابن منقذ فيحتمل أن يكون وقع ذلك معهما جميعا.

ثم إنّ محمودا أفكر و قال: «ما أعرف قتله إلاـ منك»؛ فقال: «كيف؟» قال: «تمضى إليه اليوم و معك ثلاثون فارسا يقفون لك فى بعض الطّريق، و تقدم منك إليه من يعلمه بوصولك و معك فى رانك هذه الخشكنانه(۱) و معك أنت خشكنان غيره؛ فإذا فعلت ذلك لا بدّ أن ينزل و يلتقيك من قلعه عزاز، و يعرض عليك الصعود و النّزول عنده، فقل له: أنا موجل و مستحلف أن لا أنزل على الأرض، و لاـ آكل لك طعاما؛ و طوّل الحديث معه إلى أن تعلم أنه قد جاع؛ ثم اذكر أنت الجوع و اخرج لك خشكنانه من الذى معك؛ ثم أخرج المسمومه فادفعها إليه، و كل أنت التى لك، و تحدّث معه و يكون حديثكما على فرسيكما و أنتما بمعزل من أصحابكما، و طوّل معه الحديث و لا تبرح حتّى يستوفى أكلها، و علامه صدقك موته؛ و إلا ضربت عنقك».

---

۱- من أنواع الخبز يصنع من الدقيق و الزبد و الفستق و السكر أو سواه.

قال أبو نصر بن النحاس: فنزل عليّ من ذلك أمر تمنيت الموت معه، فخرجت و أنا على غايه من الجزع و التأسّف كيف قضى اللّه ذلك على يدى، و جعلت دفعه أعوّل على الهرب؛ ثمّ إنّى أفكّر فى أولادى و أهلى، و إنّنى إن فعلت ذلك أهلكتهم لعلمى بظلم صاحبى؛ ثمّ إنّ الفرسان متوكّله بى.

فلمّا اجتمعت به فعلت ما ذكره لى، ثمّ ودّعته عند استيفاء أكل الخشكنانه، و رجعت من موضعى مبادرا؛ و أبعدت من أرض عزاز، و ركبت جنيبا كان معى، و جدّيت فى السّير خوفا من الطّلب.

و صعد أبو محمد إلى المركز، فوجد مغصا شديدا و رعده؛ ثمّ قال:

«قتلنى أخى أبو نصر اطلبوه». فركبت الخيل خلفه فلم تلحقه.

و وصل أبو نصر فاجتمع بمحمود، فعرّفه ما جرى. فلمّا كان من ذلك الغد وصل رسول من عزاز يستدعى الشّريف النقيب أبا المعالى الفضل بن موسى و ابنه سنان بن أبى محمّد الخفاجىّ، و جماعه من أهله. و ذكر الرسول أنه فى السّياق، فمنع محمود ولده من الخروج؛ و أمر الشّريف أن يتولّى القلعه إلى أن ينفذ إليها واليا؛ فولاها بعد خمسه أيام واحدا من أصحابه.

و توفى أبو محمد فى قلعه عزاز فى سنه ستّ و ستّين و أربعمائه؛ و قيل سنه أربع و ستّين- و هو الصّحيح- و حمل إلى حلب؛ و صلّى عليه الأمير محمود بن صالح؛ و قيل: إنه توفى سنه ثلاث و ستّين- و الأوّل أصحّ- و لمّا أحسّ بالموت عمل:

خف من أمنت و لا تركن إلى أحدفما نصحتك إلا بعد تجريب

إن كانت التّرک فيهم غير وافيهفما تزيد على غدر الأعاريب

تمسّکوا بوصايا اللّؤم بينهم و كاد أن يدرسوها فى المحاريب

و قيل: إنّه كان كتبها أبو محمد من عزاز إلى سديد الملک بن منقذ، و يذكر له فى كتابه أحواله و لجاج محمود فى طلبه، و تغيّر نيّته فيه، و خوفه من غائلته و ظلمه.

و فى سنه خمس و ستّين و أربعمائه- و قيل فى شوّال سنه أربع و ستّين- وفد أبو الفتيان بن حيّوس على محمود بن نصر بن صالح، و كان سديد الملک بن منقذ اجتمع به بطرابلس، و رأى نفور بنى عمّار منه لأجل ميله إلى الدّوله المصريّه، فأشار عليه أن يقصد محمودا بحلب، فقصده صحبه نصر بن سديد الملک بن منقذ، فأحضره محمود.

و كان قد جلس فى مجلسه و أمر باحضار الشّراب فشرب أقداحا، ثم قال: «ارفعوا الخمر فإنّ ابن حيّوس يحضرنى ممتدحا، و فى نفسى أن أهبه جائزه سنيّه فإن كان الشّراب فى مجلسى قيل وهبه و هو سكران» فرفع. و حضر الأمير أبو الفتيان فأنشده قصيدته الميميّه التى أوّلها:

قفوا فى القلى حيث انتهيتم تذمّماو لا تقتفوا من جار لمّا تحكّما

أرى كلّ معوجّ المودّه يصطفى لديكم، و يلقى حتفه من تقوّما

و هى قصيه طويله، أحسن فيها كلّ الإحسان، و ذكر إشاره ابن منقذ عليه بقصده فقال:

سأشكر رأيا منقذيا أحلّنى ذراك فقد أولى جميلا و أنعما(۱)

فوهب له ألف دينار ذهبا فى صينيّه فضّه، و جعلها له رسما عليه فى كل سنه.

و احتفر الخندق بحلب فجاءه أبو الفتيان فقال: «هذه أعمال يعجز عنها كسرى و ذو الأكتاف». فقال محمود: «ما كان الأمير أبو الحسن ينفذك حتّى سألته ذلك»(۲).

و اجتمع بباب محمود بن نصر جماعه من الشّعراء، فلم تصل إلى واحد منهم جائزه غير ابن حيّوس، فكتب إليه ابن الدّويده، المعروف بالقاق:

على بابك الميمون منا عصابهمفاليس فانظر فى أمور المفاليس

و قد قنعت منك العصابه كلّهابعشر الذى أعطيته لابن حيّوس

و ما بيننا هذا التّفاوت كلّه و لكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال محمود: «و اللّه لو قال بمثل الّذى أعطيته لأعطيتهم مثله». ثمّ أمر لهم بالجائزه مائه دينار أو أكثر.

و قصد الرّوم ناحيه عزاز فى جموعهم، فخرج محمود إليهم فى عدّه قليله تناهز ألف فارس، فاندفع الرّوم بين أيديهم، و قصدوا أنطاكيه و احتموا بها فى سنه أربع و ستّين. و افتتح محمود قلعه السّن(۳) فى تاسع شهر ربيع الآخر سنه ستّ و ستّين.

---

۱- ديوان ابن حيوس ج ۲ ص ۵۹۸- ۶۰۶.

۲- الجمله مطموسه بالأصل و لعل هذه القراءه هى الصحيحه.

۳- قلعه قرب سميساط.

و مرض محمود بن نصر بن صالح بحلب فی جمادی الأولی من سنه سبع و ستّین و أربعمائه. و حدثت به قروح فی المعا کانت سبب منيّته.

و کان محمود فی أول ملکه حسن الأخلاق، ليّن الجانب، کريم النفس، عفيفا عن الفروج و الأموال، ثم تنکّر و زاد عليه حبّ الدّنيا، و جمع المال فلحقه من البخل ما لا يوصف.

## [إماره نصر بن محمود]

[إماره نصر بن محمود](١)

و أوصى بحلب لابنه شبيب- و كان أصغر أولاه- فلم ينفذ أصحابه وصيّته؛ و ملّكوا حلب ولده الأمير نصر بن محمود؛ و جدّه لأمّه الملك العزيز بن جلال الدّوله بن بويه؛ و أحصى ما وجد فى خزائن محمود فكانت قيمته من العين و المتاع و الآلات، و الثّياب، و المراكب ألف ألف و خمسمائه ألف دينار.

و أمن الناس فى أيام نصر. و كانت سيرته أصلح من سيره أبيه، و أحسن إلى أهل حلب؛ و أطلق من كان فى اعتقال أبيه من أحداثهم، و عمّ النّاس بجوده، و كان بحرا للمكارم إلا أنّه كان لا يستطيع أن يرى أحدا يأكل طعامه مع كرمه و جوده.

و دخل عليه أبو الفتيان بن حيّوس حين ولى حلب فأنشده القصيده التى أوّلها:

كفى الدّين عزّا ما قضاه لك الدّهرفمن كان ذا نذر فقد وجب النّذر

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

اعتذر فيها عن تأخّره عن سلفه فقال:

تباعدت عنكم حرفه لا زهادهو سرت إليكم حين مسّنى الضرّ

فجاد ابن نصر لى بألف تصرّمت و إنّى لأرجو أن سيخلفها نصر(۱)

فأطلق له نصر ألف دينار، و قال: «و حياتى، لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها». و لم يزل يواصل ابن حيوس بالحباء و جزيل العطاء، و أنشده ابن حيّوس يوما بديها و قد خرج ينظر المدّ فى قويق:

أرى الأرض تثنى بالنّبات على الحياو لو تستطيع النّطق خصّتك بالحمد

بك افترّت الأيّام عن ناجذ الغنى و غرّد طير العيش فى الزّمن الرّغد

عهدنا مدود الأرض تأتى بحورهاو لم نر بحرا قطّ سار إلى مدّ(۲)

فأعطاه صله جزيله.

و جهّز نصر عساكره إلى منبج صحبه أحمد شاه(۳)، و كانت فى أيدى الروم؛ فحصرها مدّه؛ و أيس و اليها من نجده تأتيه، فسلّمها فى صفر من سنه ثمان و ستّين و أربعمائه، فقال فى ذلك ابن حيّوس من قصيده:

و طريده للدّهر أنت رددتهاقسرا فكنت السّيف يقطع مغمدا(۴)

و وصل فى سنه ثمان و ستّين و أربعمائه أتسز بن أوق التركى إلى أعمال

---

۱- ديوان ابن حيوس ج ۱ ص ۲۴۲- ۲۴۹.

۲- ديوان ابن حيوس ج ۱ ص ۱۹۷.

۳- لأحمد شاه ترجمه فى بغيه الطلب نشرتها فى ملاحق مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۲۵۱- ۲۵۳.

۴- ديوان ابن حيوس ج ۱ ص ۲۰۵.

حلب القبلیه؛ و نزل العاصی علی الجلالی؛ و جفل أهل الشّام بین یدیه- و کان قد سمّی نفسه الملک المعظّم- فنهب کلّ ما قدر علیه، و ملک رفنیه، و سلّمها إلی أخیه جاولی، و تردّدت سرایاه فی جمیع الشّام، و تمادی فساده.

و تردّدت الرّسل بینه و بین نصر بن محمود صاحب حلب، فلم یستقرّ بینهما أمر، و عاد إلی دمشق فتسلّمها(۱).

و اعتمد جاولی مدّه مقامه برفنیه إساءه المجاوره؛ و شنّ الغارات و الأذی فی الأعمال القبلیه من عمل حلب؛ فجهزّ إلیه نصر بن محمود عسکر حلب و مقدّمهم أحمد شاه الترکی، و ذکر أنه شیبانیّ فسار إلیه، و التقوا بأرض حماه، فکسره جاولی و غنم عسکره.

و عاد أحمد شاه و نزل مذکین(۲) و جمع إلیه من سلم من عسکره، فلما اجتمعوا عوّلوا علی العوه إلی حلب، فقال لهم أحمد شاه: «ما بقی لنا وجه إلی حلب بعد هذه الکسره، فإن راجعتم الحرب و أظفرنا اللّه بهم کان الأمر لنا بحکم الظّفر، و إن أبیتم فأنا أسیر إلی الفرات و أستدعی أهلی، فما لی وجه ألقی به نصر بن محمود؛ و إنما أعطی و منح و أکرم لمثل هذا الموقف».

فأجمعوا أمرهم علی معاوده الحرب فأسری من موضعه إلی عسکر جاولی، و کبسه، فاستثأر منهم؛ و نهب عسکره، و أسر منهم ما یزید عن ثلاثمائه

---

۱- مر سقوط دمشق لأتسز بن أوق بعده مراحل، و قد آذی المدینه کثیرا و أنهکها. انظر مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص ۱۵۷- ۱۶۵.

۲- لم أقف لهذا الموقع علی ذکر فی المصادر المتوفره، و یبدو أنه فی أحواز رفنیه.

نفس؛ و سيّرهم فى الوثاق إلى حلب مشاه؛ و هرب جاولى إلى رفنيه؛ و سار بعد ذلك إلى أخيه بدمشق.

و كان نصر حين ملك حلب و استقر بها أمر بقتل وزير أبيه أبى الحسن علىّ بن أبى الثريا القائد، صاحب الدّار التى هى المدرسه العصرونيه؛ فقتل و كان راكبا تحت القلعه، و هو فى حشمه على بغلته، و عمل فى رجله حبل و جذبت جثّته من تحت القلعه إلى باب أنطاكيه، جزاء على ما فعله بأبى بشر، و صدق فأل أبى بشر فيه- على ما ذكرناه- و كان نصر قد اتّهمه بأنه أشار على أبيه أن يولى أخاه الأصغر شبيبا، و كذلك قتل نصر ناجيه بن علىّ أحد ولاه أبيه.

و استوزر نصر أبا نصر محمد بن الحسن التميمىّ المعروف بابن النّحاس الحلبىّ، و بقى وزيرا بعده لسابق أخيه إلى أن اعتقله، ثمّ أطلق.

و كان أبو نصر كاتبا لمحمود قبل وزارته.

و فى يوم عيد الفطر من سنه ثمان و ستّين و أربعمائه، عيّد نصر بن محمود، و هو فى أحسن زىّ، و كان الزمان ربيعا و الأرض نضره؛ و احتفل الناس فى عيدهم و تجمّلوا بأفخر ملابسهم؛ و دخل عليه ابن حيّوس فأنشده قصيده منها:

ضفت نعمتان خصّتاك و عمّتاحديثهما حتّى القيّامه يؤثر(۱)

---

۱- ديوان ابن حيوس ج ۱ ص ۲۶۹.

و قبض نصر على الأمير أحمد شاه التركيّ، و اعتقله فى القلعه؛ و جلس فشرب إلى العصر؛ و حمله السّكر على الخروج إلى الأتراك، و سكناهم فى الحاضر، و أراد أن ينهبهم، و حمل عليهم، فرماه تركيّ بسهم فى حلقه فقتله، و تبعه أصحابه فوجدوه قد مات؛ و ذلك يوم الأحد مستهلّ شوال من سنه ثمان و ستّين و أربعمائه. و كان نصر أهوج(۱).

---

۱- اماره حلب ص ۱۵۱.

## [إماره سابق بن محمود]

[إماره سابق بن محمود](۱)

و زحفت الأتراک إلى البلد و کان والى القلعه رجلا یقال له ورد، و عنده الأمیر سدید الملک أبو الحسن بن منقذ، و کان قد عاد من طرابلس إلى حلب فى أیّام نصر؛ و عندهما جماعه من الخواصّ؛ فلما علموا بذلک استدعوا أخاه سابق بن محمود(۲).

و حمل من العقبه(۳)، و کان ساکنا بها فى الدّار التى تنسب إلى عزیز الدّوله فاتک، و رفع إلى القلعه بحبل من السّور، و هو سکران، و نادوا بشعاره، و أطاعه الأجناد، و أشاروا علیه باطلاق أحمد شاه فأطلقه فى الحال، و خلع علیه.

فنزل أحمد شاه إلى العسکر بالحاضر فسکّن النائره(۴)، و أخمد الفتنه،

---

۱- أضیف ما بین الحاصرتین للتوضیح.

۲- لسابق ترجمه فى بغیه الطلب سلف لى نشرها فى ملاحق مدخل إلى تاریخ الحروب الصلیبیه ص ۳۹۷- ۴۰۴.

۳- یقال لها عقبه بنى المنذر، و کانت من أشرف نواحى حلب و أفضلها. أحیاء حلب و أسواقها للاسدى ص ۲۸۰.

۴- النائره: الفتنه.

و استقرّت قاعده سابق؛ و لقّب عزّ الملک أبو الفضائل، و دخل علیه ابن حیّوس فأنشده قصیده أولها:

علیّ لها أن أحفظ العهد و الودّاو إن لم یفد إلا القطیعه و الصدّا(۱)

فأطلق له سابق ألف دینار، و جعل له فی کل شهر ثلاثین دینارا، و کان سابق من متخلّفی بنی مرداس.

و لما ملک سابق اجتمعت بنو کلاب إلی أخیه وثّاب؛ و عوّلوا علی معونته علیه و أخذ حلب له من أخیه سابق و انضاف إلی وثّاب أخوه شبیب بن محمود، و مبارک بن شبل ابن خالهما، و عامّه بنی کلاب.

فلمّا تحقّق سابق ذلک استدعی أحمد شاه أمیر الأتراک، و کان فی ألف فارس و شاوره، فأنفذ أحمد شاه إلی رجل من الأتراک یعرف بابن دملاج- و اسمه محمّد بن دملاج- فی یوم الأربعاء مستهلّ ذی القعده، من سنه ثمان و ستّین.

و تحالفوا و خرجوا إلی وثّاب و بنی کلاب، فی یوم الخمیس مستهلّ ذی الحجه من سنه ثمان و ستین و أربعمائه، و کان بنو کلاب فی جمع عظیم ما اجتمعوا قط فی مثله. یقال إنّهم یقاربون سبعین ألف فارس و راجل، و کانوا قد عاثوا فی بلد حلب، و کانوا نزولا بقنّسرین، فعند معاینتهم الأتراک انهزموا من غیر قتال و خلّفوا حللهم و کلّ ما کانوا یملکونه و أهالیهم و أولادهم.

---

۱- دیوان ابن حیوس ج ۱ ص ۱۴۴.

فغنم أحمد شاه و أصحابه و محمّد بن دملاج و أصحابه كلّ ما كان لبنى كلاب. فيقال: إنهم أخذوا لهم مائه ألف جمل و أربعمائه ألف شاه، و سبوا من حرمهم الحرائر جماعه كبيره، و من إمائهم أكثر، و كل ما كان فى بيوتهم. و عفوا عن قتل عبيدهم المقاتله، و كانوا يزيدون عن عشره آلاف عبد مقاتل فلم يقتلوا أحدا منهم، و كان الذى غنمه التّرك من العرب فى ذلك اليوم ما لا يحصى كثره؛ و أسروا جماعه منهم.

و عاد أحمد شاه بالأسرى إلى حلب فتقدّم سابق بن محمود باطلاقهم، و أنزل أخته زوجه مبارك بن شبل فى دار، و أكرمها لأنّها كانت فيمن أخذ ذلك اليوم.

و بعد هذه الهزيمه بثلاثه عشر يوما دعا محمد بن دملاج التركى أحمد شاه، فخرج إليه، و كان نازلا شمالى حلب؛ فلما أكلوا و شربوا قبض محمّد بن دملاج على أحمد شاه و أسره؛ و كان فى نفر قليل فأقام فى أسره تسعه أيام.

(١)

---

١- اماره حلب ص ١٥٢- ١٥٣.

## [التسلط التركمانی]

### اشاره

[التسلط التركمانی](۱)

ثم إن سابق بن محمود اشترى أحمد شاه من محمّد بن دملاج بعشره آلاف دينار و عشرين فرسا، يوم السّبت الرابع و العشرين من ذى الحجه من السّنه.

فعند ذلك سار وثّاب بن محمود و مبارك بن شبل، و حامد بن زغيب، إلى السّلطان أبى الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان؛ و حضروا عنده، و شكوا إليه حالهم، و سألوه أن يعينهم على سابق، و يكشف عنهم ما نزل بهم منه.

و أنكر السّلطان ذلك و وعدهم بما طابت به نفوسهم، و وقع لهم باقطاعهم فى الشّام؛ و أقطع الشّام لأخيه تاج الدوله تتش، و أمره بالمسير إلى الشّام فى أوائل سنه سبعين و أربعمائه.

و تقدّم السّلطان ملكشاه إلى أفشين بن بكجى، و صندق التركى، و محمّد بن دملاج، و ابن طوطو، و ابن بريق، و غيرهم، من أمراء التّرك بالكون مع تاج الدّوله و المسير فى خدمته.

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

فسار تاج الدّوله و معه وثّاب بن محمود، و مبارک بن شبل و حامد بن زغیب، حتّى وصل إلى ديار بكر، و تواصلت إليه الأمداد مع المذكورين.

و كان أحمد شاه قد حصر أنطاكيه مدّه و معه عسكر حلب و اشتدّ الغلاء بها فى هذه السّنه، و استقرّت الحال على خمسه آلاف دينار مقاطعه، فأخذها، و رحل عنها إلى حلب.

و لما قرب تاج الدّوله من الشّام هرب جماعه الأتراک المقيمين بحاضر حلب مع أحمد شاه إلى حصن الجسر- و كان ابن منقذ جدّد عمارته ليضايق به شيزر، و يقطع المادّه عنها من بلد الرّوم؛ و أذن له سابق بن محمود فى ذلک، فجدّد فى هذه السّنه- فتركوا أموالهم و أهاليهم بهذا الحصن، و عادوا إلى خدمتهم بحلب، و لم يأمنوا أهل حلب أن يتركوا حرمهم عندهم لما كانوا فعلوه بابن خان؛ و تغيّر الهواء بالجسر عليهم، فهلک عامّتهم بهذا الموضع.

و أما تاج الدوله تتش فإنه أقام بالمروج إلى أن وصلته بنو كلاب بالظّعن، و نزلوا حلب فى سنه إحدى و سبعين و أربعمائه.

و وصل شرف الدّوله أبو المكارم مسلم بن قريش فى عسكر كثير بأمر ملكشاه، و نزل معه على حلب معينا له، و حصروها ثلاثه أشهر و عشرين يوما؛ و كان نزوله على حلب لثلاث خلون من ذى القعده من سنه إحدى و سبعين و أربعمائه. و كان القتال عليها متّصلا.

و قتل أحمد شاه مقدّم الأتراک بحلب بطعنه أصابته فى الحرب، و كان هوى شرف الدّوله أبى المكارم مع سابق، و كان يسير إليه فى الباطن بما يقوّى

نفسه، و كان ينكر على بنى كلاب خلطتهم بعسكر التّرک.

فاستأذن بنو كلاب تاج الدّوله فى رحيل الظعّون فأذن لهم فأحسّ شرف الدّوله أبو المكارم بتغيّر النّيه فيه، و تحقيق التهمه به من مراسله سابق و أهل حلب، فاستأذن تاج الدّوله فى الرّحيل، و رحل. و جعل عبور عسكره على باب حلب، و باع أصحابه أهل حلب كلّ ما كان فى العسكر عصبيه و تقويه لهم، و قوّى نفوسهم و نفس سابق.

و سار بعد أن قوى أهل حلب بما ابتاعوه من عسكره بعد الضّعف الشديد إلى بلاده؛ و أشار على مبارك و وثّاب و شبيب بالاحتياط على أنفسهم أو الهرب إلى حلب.

و لم يك بقى مع تاج الدّوله من بنى كلاب غيرهم فى نفر يسير، فكاتبهم سابق و تألفهم و قال لهم: «إنى إنّما أذبّ و أحامى عن بلادكم و عزّكم، و لو صار هذا البلد إلى تتش لزال ملك العرب و ذلّوا» و جرت أمور أوحشتهم من الأتراك؛ فهربوا إلى حلب بعد أن قتل أصحابهم قبل الهزيمه و بعدها، و صاروا إلى سابق.

و كتب سابق إلى الأمير أبى زائده محمد بن زائده قصيده من شعر وزيره أبى نصر بن النّحاس، يعرّفه ما هو فيه من الضّيق، و يسأله الإقبال عليه و القيام بمعونته؛ و يحذّره من التخلّف عنه، فيكون ذلک مسببا لزوال ملک العرب، و يعتب عليه فى التوقف عنه فيما كان جرى مع أحمد شاه التركىّ، و القصيده هى:

دعوت لكشف الخطب و الخطب معضل فلبّيتنى لمّا دعوت مجاوبا

و وفّيت بالعهد الذى كان بينناوفاء كريم لم يخن قطّ صاحبا

و ما زلت فرّاجا لكلّ ملمّهإذا المحرب الصّنديد ضجّع هائبا

فشمّر لها و انهض نهوض مشيّع له غمرات تستقلّ النّوائبا

و قل ل «كلاب»: بدّد اللّه شملكم أو يحكم ما تتّقون المعايبا!

أتستبدلون الذّلّ بالعزّ ملبساو تمسون أذنابا و كنتم ذوائبا

و ما زلتم الآساد تفترس العدى فما بالكم مع هؤلاء ثعالبا

ثبوا وثبه تشفى الصّدور من الصّداو لا تخجلوا أحسابنا و المناقبا

و لا بدّ من يوم نحكّم بينناو بين العدى فيه القنا و القواضبا

أرى الثّغر روحا أنتم جسد له إذا الرّوح زالت أصبح الجسم عاطبا

و قد ذدت عنه طالبا حفظ عزّكم إباء و لاقيت المنايا السّواغبا

و ها أنا لا أنفكّ أبذل، فى حمى حماكم مجدّا، مهجتى و الرّغائبا

أأدخر مالى عنكم و ذخائرى إذا بتّ عن طرق المكارم عازبا

شكرت صنيع «ابن المسيّب» إذ أتى يجرّ مغاويرا تسدّ السّباسبا(۱)

و منها:

أيا راكبا يطوى الفلاه بجسرههملّعه(۲) لقّيت رشدك راكبا

ألا أبلغ «أبا الرّيّان» عنى ألوكهتزيح من الإيلاف ما كان واجبا

أخا شخصه لا يبرح الدّهر حاضراتمثّله عينى و إن كان غائبا

متى تجمع الأيّام بينى و بينه أشدّ عليه ما حييت الرّواجبا(۳)

---

۱- السباسب: المفازات.

۲- الجسر من الابل: العظيم و مؤنثها جسره، و الهملع السريع، و مؤنثها الهملعه.

۳- الرواجب: مفاصل أصول الأصابع.

و أهد إلى «شبل» سلامى و قل له:لك الخير دع ما قد تقدّم جانبا

فتلك حقود لو تكلّم صامت لجاء إليها الدّهر منهنّ تائبا

و قد أمكنتكم فرصه فانهضوا لهاعجالا و إلا أعوز الدرّ جالبا

فإنّى رأيت الموت أجمل بالفتى و أهون أن يلقى المنايا مجاوبا

و كان قد بلغ «سابقا» أنّ أميرا من أمراء خراسان يقال له تركمان التّركىّ قد توجّه منجدا لتاج الدّوله، و معه عسكر، فأخرج سابق منصور بن كامل الكلابى- أحد أمراء بنى كلاب- من حلب ليلا، و أعطاه كتابه إلى الأمير أبى زائده، و فيه هذه الأبيات؛ و معه بعض أصحاب سابق و معهم مال.

فلمّا وقف الأمير أبو زائده محمد بن زائده على هذه الأبيات، اتّفق مع منصور و نائب سابق، و جمعوا ما يزيد عن ألف فارس و خمسمائه راجل من بنى نمير، و قشير، و كلاب، و عقيل، و كلّ ذلك بتدبير الأمير شرف الدّوله أبى المكارم و مشورته.

و وفد بهم الأمير أبو زائده، و وصلوا إلى «وادى بطنان». و اتّفق وصول

المعروف بتركمان التّركى فى ألف فارس من الغزّ، و معه جمله من العدد لمحاصره حلب و معونه تتش.

و عبر تركمـان على طريق الفايـا، فسـار الأـمير أبو زائـده بمن معه من الجمع؛ و لقوا تركمـان فى أرض الفايا، فأوقعوا به و كبسوا عسكره، و قتلوه، و نهبوا ما كان فيه بأسره و جميع ما كان للتجّار الواصلين فى صحبته، و اتّصل هذا الخبر بتاج الدّوله و هو منازل حلب، فرحل عنها إلى الفرات، و توجّه نحو ديار بكر و شتى بها.

ثم عاد و قطع الفرات، و تسلّم منبج و حصن الفايا و حصن الدّير، و شحنها بالرّجال، و سار بالعسكر إلى حصن بزاعا(۱)، و كان صاحبه شبل بن جامع؛ و بعض رجال هـذا الحصن ممّن كانت له النكايه العظيمه فى عسكر تركمان، فقاتله تاج الـدّوله، و فتحه بالسّيف، و قتل كافّه من كان فيه، و نهبه و شحنه بالرّجال.

و رحـل إلى عزاز وقـد انضوى إلى قلعتها خلق عظيم، و منعهم الوالى بها من الصّعود إليها فالتجئوا إلى سـند القلعه بأقمشـتهم، و النّاس عليها؛ و أساء الوالى بها- و كان اسمه عيسى- التدبير و السياسه.

فزحف العسكر إلى القلعه؛ و قاتلها؛ و ضربها بالنار، فاحترقت أقمشه

---

۱- بزاعـا: بلـده من أعمـال حلب فى وادى بطنـان بين منبـج و حلب- معجم البلـدان. و تتبع بزاعه الآـن منطقه الباب، و تطل على وادى الذهب الذى يتجه من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى نحو مملحه الجبول. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

الناس، و غلاتهم، و حرمهم، و أولادهم؛ و أشرفت على الأخذ. و خرج قوم من الحريق إلى عسكر تاج الدّوله فأمّنهم، و تقدّم إليهم بالعوده إلى ضياعهم.

و رحل الملك تاج الدّوله إلى جبرين قورسطايا(١)؛ فأخذها و شحنها بالرّجال؛ فخرج الأمير أبو زائده محمد بن زائده من حلب في الليل؛ و وصل إلى ضيعه تعرف بكرمين(٢)، فوجد بها خمسين فارسا من الغزّ، فقتلوا أكثرهم، و غنموا كلّ ما كان معهم، و عادوا إلى حلب سالمين.

فأسرى تاج الدّوله في الليل من جبرين عند ذلك في جميع عسكره، و هم ملبسون مستعدّون، فصبّحوا حلب صباحا، و أغاروا عليها، فخرج عسكر حلب فالتقوا على الخنّاقيّه على باب حلب. ثم إنّ بعض عسكر حلب انهزموا لغير موجب؛ و هزم اللّه عسكر تتش بغير قتال.

و كان الأمير أبو زائده محمد بن زائده و ابن عمه شبل بن جامع بن زائده في قدر خمسين فارسا مقابلهم، فحملوا عليه، و اتّفقت هزيمتهم، فقتلوا من الغزّ جماعه و غنموا.

و لو عاد عسكر حلب في اثرهم ما كان أفلت منهم إلا من سبق به فرسه. و شاع لمحمّد بن زائده في ذلك اليوم ذكر جميل.

---

١- سلف بي القول: إن جبرين تبعد عن حلب مسافه ٨ كم نحو الشرق. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

٢- اسمها الآن كفر كرمين على مقربه من خان العسل الذي يبعد عن حلب ١٠ كم باتجاه الجنوب الغربي. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

و تقدّم الأمير محمّد بن زائده إلى الشيخ أبى نصر منصور بن تميم المعروف بابن زنكل أن يجيب أبا الفضائل سابق بن محمود عن القصيده التى أنفذها إليه، و يعرّفه ما لبنى كلاب من الأيّام المعروفه، و يذكر هذه الوقائع، فعمل:

دعوت مجيبا ناصحا لک مخلصايرى ذاک فرضا لا محاله واجبا

فلبيّت لا مستنكفا جزعا و لاهدانا(۱) إذا خاض الكريهه هائبا

و منها:

و لمّا دعانى المدركىّ ابن صالح شققت، و لم أرهب؛ إليه الكرائبا

أسابق صرف الدّهر فى نصر «سابق»إلى «تركمان» التّرک أزجى النّجائبا

فلمّا التقيناهم غدا البعض سالبالأنفسهم، و البعض للمال ناهبا

فيا لک من يوم سعيد بيمنه عن الثّغر أضحى عسكر الضدّ هاربا

و كان يرى فى كفّه الشّام حاصلاو يوم «بزاعا» ردّ ما ظنّ خائبا

---

۱- الهدان: الأحمق، الوخم الثقيل فى الحرب.

و لیله «کرمین» ترکنا کرامهم کضأن بها لاقت مع القدر قاصبا

و فی یوم «خنّاقیه» قد خنقتهم بعثیر ذلّ ردّ ذا الشّرخ شائبا

عطفت لهم إذ خام من خام منهم بفتیان کالعقبان شامت توالبا(۱)

فللّه قومی الصّادرون لو انثنوامعی، أو فریق کنت للجمع ناکبا

فولّوا و قضبان المخافه فیهم مسابقه أرماحنا و القواضبا

فکم فارس منهم ترکنا مجدّلایباشر ترب القاع منه التّرائبا

و إذ أیقنوا أن لیس للکسر جابرتولّوا و عن «جبرین» حثّوا الرّکائبا

و خلّوا بها کسبا حووه، و أبصرواسلامتهم منّا أجل مکاسبا

و أما تاج الدوله تتش فإنّه رحل من جبرین، و سار إلى دمشق فملکها؛ و تسلّمها من أتسز بن أوق التّرکیّ(۲)، ثم فسح من عسکره أفشین الترکیّ،

---

۱- التولب: ولد الحمار.

۲- انظر حول استیلاء تتش على دمشق کتابی مدخل إلى تاریخ الحروب الصلیبیه ص ۱۶۴- ۱۶۵.

و معه أكثر العسكر؛ و عاد شمالا و نهب عسكره ضياعا فى أعمال بعلبكّ.

و وصل رفنيّه فى اليوم العاشر من جمادى الأولى، و فيها جماعه كثيره من التّجار و القوافل متوجّهين إلى طرابلس، فهجمها بغته؛ و قتل مّمن كان بها جماعه، و استباح أموالهم و حريمهم، و أقام بها عشره أيام.

ثم سار فنزل حصن الجسر، فأكرمه أبو الحسن بن منقذ فأعلمه بما عوّل عليه من نهب الشّام، فسأله فى بلده كفر طاب ألا يعترضها فأجابه.

و سار فنزل قسطون فجرى أمرها فى النهب و العقوبه مجرى رفنيّه، و أقام بها نيفا و عشرين يوما. ثم تنقّل و عسكره بالمنجنيقات على أبراج جبل السّمّاق[1] و غيرها؛ حتى لم يبق بها موضع و لا برج إلا افتتحه و أهلكه؛ و استباح حريمهم و أولادهم، و استغرق أحوال أهل سرمين و المعرّه بالقطائع، و طلع إلى جبل بنى عليم[2] فلم يتمّ له بها شى ء.

و سار فنزل ضياع معرّه النّعمان الشرقيه بالمنجنيقات، ففتح أبراجها و حصونها بالسّيف، و أخذ ما لا يمكن إحصاؤه، و غلب أهلها فهلك منهم خلق؛ و نزل تلّ منس، و قطع عليها خمسه آلاف دينار، و لم يتمكّن من أخذها.

و انتقل إلى عمل معرّه النعمان ففعل مثل ذلك؛ و سار إلى معرتارح[3]-

---

۱- هو جبل الأربعين هذه الأيام.

۲- هو جبل الزاويه فوق بلده أريحا.

۳- معرتارح: من نواحى كفر طاب، فى شماليها. تاريخ معره النعمان لمحمد سليم الجندى- ط. دمشق ۱۹۹۴ ج ۱ ص ۲۰.

من بلد كفرطاب- فتحصّن أهلها فى أبراجها؛ و تعذّرت عليه فأحرقها، و هلك جميع من كان فيها.

و بلغ تاج الدّوله ذلك، و هو بدمشق، فأسرع السّير إلى أن وصل إلى ظاهر كفرطاب يطلب أرسلان تاش، فوجده قد رحل إلى بلاد الروم، فعاد إلى دمشق و سكن الناس فى طريقه.

و حين رجع أفشين من الشّام و لم يبق فى أعمال حلب ضيعه مسكونه من بلد المعره إلى حلب، توجه إلى بلد أنطاكيه فأخرب ما قدر عليه، و نهب و سبى ما وجده، و حمل إليه من أنطاكيه مال؛ و توجّه إلى الشرق بعد امتلاء صدره و صدر عسكره من النّهب.

و جرى من هذا الحادث بالشّام أمر لم يسمع بمثله، و تلف أهله بعد ذلك بالجوع. و وجد قوم قد قتلوا قوما و أكلوا لحومهم؛ و بيعت الحنطه سته أرطال بدينار و ما سوى ذلك بالنسبه.

و جلا من سلم من الشام إلى بلد شرف الدوله أبى المكارم مسلم بن قريش، فأحسن إليهم و تصدّق عليهم؛ و كان ذلك الاحسان منه أكبر الأسباب فى مملكته حلب.

و لمّا جرى هذا الحادث طمع شرف الدّوله فى الشّام؛ و كاتبه سابق بن محمود يبذل له التّسليم إليه؛ و وفدت عليه بنو كلاب بأسرها، فتوجّه إلى حلب، و نزل بالس(١) يوم عيد النّحر من سنه اثنتين و سبعين و أربعمائه.

---

١- هى بلده مسكنه الحاليه فى سوريه.

و نزل حلب فی السّادس عشر من ذی الحجه، سنه اثنتین و سبعین و أربعمائه فغلّقت أبوابها فی وجهه، و کان عند سابق أخواه شبیب و وثّاب بحلب، فلم یمکّناه من التّسلیم، فلم یقاتلها، و أهلها یحرصون علی التّسلیم إلیه لما هم فیه من الجوع و عدم القوت.

و کان مع شرف الدّوله فی عسکره غلّه کثیره و قوّه تجوز الحدّ، و تزید عن الوصف. و کان الرّئیس بحلب و نقیب الأحداث بها الشریف حسن بن هبه اللّه الهاشمیّ، المعروف بالحتیتی، و کان ولده أبو منصور قد خرج مع عسکر سابق لقتال بعض الأتراک المخالفین فی بیت لاها(۱) فأسروه؛ و بقی أسیرا فی الموضع مع خطلج أحد أصحاب أحمد شاه.

فلمّا وصل شرف الدّوله إلی حلب وفد التّرک کلّهم علیه؛ و تقرّبوا إلیه بولد الشّریف الحتیتی.

و قیل: إنّه طلبه منهم فلمّا حضر عنده خلع علیه، و أطلقه فدخل البلد، و أخذ معه جماعه من أصحابه، و فتح باب حلب، و نادی بشعار شرف الدّوله فی الیوم السادس و العشرین من ذی الحجه، من سنه اثنتین و سبعین و أربعمائه.

و تسلّمها، و دخل أصحابه إلیها، و قلع أبوابها جمیعها، و فتح باب

---

۱- یقال لبیت لاها الغربی جبل اللکام، و هو مسکن العباد و الزهاد، و فیه من الفواکه المباحه ما یقتاتون به، و هو یفصل بین الثغور الشامیه و الجزریه. و بغیه الطلب ج ۱ ص ۴۳۹.

أربعين(١)- و كان مسدودا- و أحسن إلى كافّه أهلها، و خلع على أحداثهم، و تصدّق بمال كثير و غلّه.

و كان سديد الملك بن منقذ قد وفد على شرف الدّوله و نزل معه على حلب، و كان شرف الدّوله قد عزم على الرّحيل من حلب لما حلّ بهم من الضجر و مصابره أهل حلب؛ و غلت الأسعار عندهم حتى صار الخبز ستّه أرطال بدينار.

و فرّ سديد الملك أبو الحسن بن منقذ من سور القلعه، فاطلع إليه صديق له من أهل الأدب، فقال له: «كيف أنتم» فقال: «طول جبّ» خوفا من تفسير الكلمه. فعاد ابن منقذ و هو يقلّب هذا الكلام فصحّ له أنّه قصد بكلامه أنّهم قد ضعفوا. و أوجس أنّها كلمتان، و أنّ قوله: «طول» يريد به:

«مدا» و «جبّ» يريد به «بير» فقال «مدابير و اللّه». فأعلم شرف الدّوله بذلك فقوّى نفسه فملكها.

و لمّا فتحت المدينه انحاز سابق إلى القلعه، و أخواه شبيب و وثّاب فى القصر، لضيق القلعه؛ و شرف الدّوله محاصر للقلعه بالمنجنيقات و العساكر. و لم يبق بالشّام و حصون جبل بهراء(٢)، و حمص، و فاميه شيزر و من لم يفد على السّلطان إلا وفد عليه.

---

١- وصف ابن العديم هذا الباب، و تحدث عن سبب تسميته. بغيه الطلب ج ١ ص ٥٥- ٥٦.

٢- جبال اللاذقيه أو العلويين.

و دبّر شبيب و وثّاب، و هما فى القصر على سابق و قفزا فى القلعه، و صاح الأجناد بها: «شبيب يا منصور». و قبض سابق و حبس؛ و تسلّم شبيب ما كان بها من مال و سلاح.

ثم وقعت السّفاره بينهم و بين شرف الدّوله على أن أقطع شبيبا و وثّابا قلعتى عزاز و الأثارب و عدّه ضياع. و أقطع سابق بن محمود مواضع أخر فى أعمال الرّحبه، و أن يتزوج منيعه بنت محمود أخت سابق، و كان السّفير بينهم فى ذلك الأمير سديد الملك علىّ بن منقذ؛ و بتدبيره جرى ذلك.

و وافق ذلك أنّ غار الماء فى قلعه حلب؛ و نزل منها أولاد محمود و انقضت دوله آل مرداس.

و كان الوزير لسابق بن محمود الشّيخ أبا نصر محمد بن الحسن بن النّحّاس و عزله، و اعتقله مدّه ثمّ أطلقه.

و ولّى وزارته أبا منصور عيسى بن بطرس النّصرانىّ فامتنع؛ فألزم بها؛ و وزر له فى النّصف من شوّال سنه تسع و ستّين و أربعمائه(۱).

---

۱- إماره حلب ص ۱۶۱- ۱۶۴.

## [إماره مسلم بن قريش العقيلى]

(۱) و تسلّمها أبو المكارم فى شهر ربيع الآخر من سنه ثلاث و سبعين و أربعمائه، بعد حصار أربعه أشهر للقلعه. و قال ابن أبى حصينه يهنى ء شرف الدّوله بفتح القلعه:

لقد أطاعك فيها كلّ ممتنع خوف انتقامك حتّى غارت القلب(۲)

و لمّا ملك شرف الدّوله حلب أحسن إلى أهلها، و خفّف عنهم أثقالا كثيره، و صفح عن كلف كانت عليهم فى أيام بنى مرداس. و نقلت الغلات إلى حلب، فرخصت الأسعار بعد الغلاء الشّديد.

و فى يوم تسلّمه القلعه و دخوله إليها دخل بزوجته منيعه أخت سابق، فى اليوم و السّاعه، و هو اتّفاق لم يسمع بمثله، ففتح حصنين و قال فى ذلك أبو نصر بن الزّنكل يمدح شرف الدّوله:

فرعت أمنع حصن و افترعت به نعم الحصان ضحى من قبل يعتدل

و حزت بدر الدّجى شمس الضّحى فعلى مثليكما شرفا لم تسدل الكلل

---

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- ديوان ابن أبى حصينه ج ۱ ص ۳۷۷.

و مدحه ابن حيّوس بالقصيده التى أولها:

ما أدرك الطّلبات مثل متمّم إن أقدمت أعداؤه لم يحجم

فلما وصل إلى قوله:

أنت الّذى نفق الثّناء بسوقه و جرى النّدى بعروقه قبل الدّم(۱)

اهتزّ شرف الدّوله و أمره بالجلوس، فأتّمها جالسا و أجازه بألفى دينار و قريه.

و قيل: أنّه لما مدحه ابن حيوس قال له أبو العزّ بن صدفه البغدادى وزير شرف الدّوله: «هذا رجل كبير السنّ و لم يبق من عمره إلا القليل، فأرى أن تعظم له الجائزه فتحصل على الذكر الجميل»؛ فأقطعه الموصل جائزه له.

فمات فى هذه السنه قبل أن يصل إليها و ترك مالا حزيلا فقيل لشرف الدوله: «هذا لا وارث له إلا بيت المال» فقال «و اللّه لا يدخل خزانتى مال قد جمعه من صلات الملوك انظروا له قرابه». فسألوا عن ذلک فوجوا له من ذوى الأرحام بنت أخ فأعطاها ماله جميعه و هى بنت أخيه أبى المكارم محمّد بن سلطان بن حيّوس.

و لما سفر ابن منقذ فى تسليم حلب و تسلّمها شرف الدّوله وعد ابن منقذ و عودا جميله، و منّاه أمانى حسنه و أكرمه غايه الاكرام.

---

۱- ديوان ابن حيوس ج ۲ ص ۵۶۹ مع فوارق.

و نقـل شـرف الـدّوله إلى الشّـام من الغلالـ ما ملأ الأهراء، و عاد بالرّفق على الناس؛ و كـذلك نقل إليها من سائر الحبوب و من البقر و الغنم و المعز و الدجاج شى ء كثير.

و عاش الناس فى أيامه و رخصت الأسعار بحسن تدبيره. و تسلّم حصن عزاز من واليها عيسى. و تسلّم حصن الأثارب بعد حصار و حرب؛ و كذلك الحصون التى كانت فى أيدى أصحاب تاج الدّوله من أعمال حلب التى افتتحها.

وصفت له جميع أعمال حلب، و قال لسديد الملك: «أمض فى دعه اللّه فأنا سائر إلى بلادى. و يجب أن تصلح حالك فأنا أصل و أبلغك كل ما تؤثره». و رجع إلى بلاده، و جعل أخاه علىّ بن قريش بحلب مع قطعه من عسكره بحلب.

و كاتب السّلطان أبا الفتح ملك شاه يعلمه بما جرى، و يسأله فى تقرير شى ء يحمله من الشّام فأجيب إلى ذلك.

و وصل أبو العزّ بن صـدقه البغـدادى وزير شـرف الدّوله إلى حلب لجمع أموالها فى سـنه أربع و سـبعين و أربعمائه؛ و عدل عما كان ابتدأ به من العدل و الاحسان، و صادر جماعه، و ضاعف الخراج.

و كان شـرف الدّوله بالقادسـيّه، فدخل الحمام و هى ملاصـقه لداره، فوثب عليه مملوكان برسم خدمته، فجعلا فى حلقه أنشوطه ليخنقاه، و انتظرا صاحبا لهما يدخل بسكّين؛ فصاح شرف الدّوله، فسمعت صياحه زوجته

خاتون أخت السّلطان ألب أرسلان، فخرجت إليه فانهزما عنه. و مرض من ذلك أياما، و أخذا و قتلا.

و لمّا بلغ ذلك أبا العز بن صدقه البغدادى عاد من حلب إلى القادسيّه.

و كان سديد الملك ابن منقذ قد عمر قلعه الجسر(۱)، و قصد مضايقه شيزر و بها أسقف الباره(۲) و ضيّق عليه إلى أن راسله و اشتراها منه، و استحلفه على أشياء اشترطها عليه(۳).

و لم يزل ابن منقذ يعده الجميل و يتلطّف له إلى أن سلم إليه حصن شيزر ليله الأحد النصف من شهر رجب من سنه أربع و سبعين و أربعمائه.

و وفى له ابن منقذ بكلّ ما عاهده عليه، فثقل ذلك على شرف الدّوله و حسد ابن منقذ على شيزر فسار عسكر حلب مع مؤيّد الدّوله عليّ بن قريش إلى شيزر، و نزلوا عليها فى يوم الجمعه خامس ذى الحجه سنه أربع و سبعين و أربعمائه، بعد مراسلات جرت فلم يجب ابن منقذ إلى ما التمس منه.

و كان عليّ بن قريش قد أخذ فى طريقه حصنا لابن منقذ يقال له أسفونا غربيّ كفر طاب، و كان ابن منقذ قد تأهب للحصار، و حمل من الجسر إلى شيزر ما يكفى لمن فيه مده طويله من سائر الأشياء.

و حصره عليّ بن قريش مده إلى أن وصل شرف الدّوله بنفسه، فنزل

---

۱- على مقربه من شيزر.

۲- الباره الآن قريه فى وسط جبل الزاويه، تتبع منطقه أريحا- محافظه ادلب. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

۳- انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۱۶۸- ۱۸۷.

على شيزر يوم الأربعاء سلخ المحرم من سنه خمس و سبعين و أربعمائه.

ثم رحل عنها إلى حمص يوم السبت ثالث صفر، و أقام عسكره على شيزر، فتطارح ابن منقذ عليه، و سيّر ابنه أبا العساكر و امرأته منصوره بنت المطوع و أخته رفيعه بنت منقذ إلى حمص؛ فدخلوا عليه، و حملوا إليه مالا، فأنفذ إلى عسكره، و رحّله عن شيزر في الثامن و العشرين من صفر من السنه.

و لما وصل شرف الدّوله إلى حماه قبض على جميع الأتراك الذين بالشام و أخذ منهم الحصون التى كانت فى أيديهم، و هى: بيت لاها، و تل أعذى، و هاب، و كفرنبل(۱). و قبض على وثّاب و شبيب ابنى محمود، و أخذ منهما قلعه عزاز و الأثارب، و أطلقهما بعد ذلك، و حمل الأتراك، و حبسهم فى الرحبه فداموا بها إلى أن قتل.

و قبض شرف الدّوله على أكثر أقطاع بنى كلاب بالشام؛ و عاد إلى حلب؛ و قبض على حسن بن وثّاب النّميرى أمير بنى نمير، و كان قد حصره بسروج(۲) فى العام الخالى فسلّمها إليه بعد أن عوّضه عنها بنصيبين فاعتقله بحلب مده و قتله.

و فى نزوله على شيزر، و قتاله حصن الجسر، و فعل وزيره أبى العزّ، ابن

---

۱- ما تزال بعض هذه الأماكن تحتفظ بأسمائها فى منطقه معره النعمان.

۲- سروج الآن إلى الشمال من عين العرب على الحدود السوريه التركيه، و هى تابعه لمحافظه حلب. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

صدقه من المصادره، يقول أبو المعافى سالم بن المهذّب المعرّى[(۱)].

أمسلم لا سلمت من حادث الرّدى وزرت وزيرا ما شددت به أزرا

ربحت ولم تخسر بحرب ابن منقذمن اللّه و النّاس المذمّه و الوزرا

فمت كمدا «فالجسر» لست بجاسرعليه؛ و عاين شيزرا أبدا شزرا

فبلغت الأبيات شرف الدّوله، فقال: «من يقول هذا فينا؟» قالوا:

«رجـل من أهـل المعرّه يقال له ابن المهـذّب». قال: «ما لنا و له اكتبوا إلى الوالى بالمعرّه يكفّ عنه، و يحسن إليه فربّما يكون قد جار عليه و أحوجه إلى أن قال ما قال».

و عاد شـرف الدّوله إلى الجزيره، و قد جرت منه هذه الحوادث، و أجحف ببنى كلاب، فأجمع رأى وثّاب و شبيب ابنى محمود، و خلف ابن ملاـعب الأشـهبى صاحب حمص[(۲)]، و أبى الحسن بن منقـذ، و منصور بن الـدّوح على مكـاتبه الملك تاج الـدّوله بدمشق، و شكوا أحوالهم، و عرضوا عليه خدمتهم، و أطمعوه فى الشّام.

فسار من دمشق إلى الشام و قصد ناحيه أنطاكيه و أقام عليها مدّه، و اتّصل به خبر شرف الدّوله و ما هو عليه من الجمع و التّأهّب، و اجتماع

---

۱- له ترجمه فى بغيه الطلب ص ۴۱۴۶- ۴۱۵۰، و كان شاعرا مجيدا، بينه و بين الأمراء بنى منقذ موده و اختلاط.

۲- شـغل خلف بن ملاـعب دورا هامـا فى أحـداث هـذه المرحله، و فى أثناء نشاطات الحمله الصـليبيه الأولى، له ترجمه فى بغيه الطلب، كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۳۸۰- ۳۸۵.

العرب إليه من بنى نمير، و عقيل، و الأكراد، و المولده، و بنى شيبان، للنّزول على دمشق، و المضايقه لها و الطمع فى تملّك دمشق؛ فعاد تاج الدّوله إلى دمشق. و خرج عسكر مع بعض أصحاب شرف الدّوله إلى أعمالها، و رتّبوا ولاتهم فيها و ساروا إلى حماه، و بها وثّاب بن محمود، فلقى عسكر شرف الدّوله و كبسه و قتل منه جماعه، و عاد من سلم منهم إلى حلب.

فنزل وثّاب بن محمود و منصور بن كامل بن الدّوح و ابن ملاعب و ابن منقذ على معرّه النّعمان، و قطعوا كثيرا من شجرها، و رعوا زرعها بالظعون، و قلبوه بالفدن، و قاتلوها أياما، و لم يمكنهم أهلها من فتحها خوفا منهم.

و بلغ شرف الدّوله ذلك كله، فسار و معه أكثر بنى كلاب و بنى نمير، و بعض بنى عقيل؛ و وصله بعض بنى طّى ء و كلب و عليم؛ و نزل فى بالس فى محرّم سنه ستّ و سبعين.

و سار إلى دمشق و حاصرها(١)، و قاتل دمشق فى بعض الأيّام و خرج إليه عسكر دمشق، و حمل عليه حمله صادقه فانكشف عسكره و تضعضع، و عاد كل فريق إلى مكانه.

و عاد عسكر دمشق بحمله أخرى، فانهزمت العرب، و ثبت شرف الدّوله مكانه، و أشرف على الأسر، و تراجع إليه أصحابه؛ و كان قد ظنّ أنّ

---

١- عالجت مسأله حصار دمشق من قبل مسلم بن قريش فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٨٨- ١٩١.

العسكر المصرى ينجده فخاف أمير الجيوش من ميل العرب إليه فتثاقل عنه.

و ورد عليه من حرّان خبر أزعجه؛ و ذلک أنّه کان قد تسلّمها من يحيى بن الشّاطر أحد عبيد ابن وثّاب النّميرى، و كان يليها لعلّى بن وثّاب الطفل، و كان وثّاب يعدل فيهم و يرفق بهم، فولّى فيها جعفر العقيلى، فعدل عمّا كان وثّاب يسلكه من العدل، و أظهر مذهب التشيّع و الاعلان به؛ و كان يتولى الحكم بها القاضى ابن جلبه، فاتّفق مع أهل حرّان على العصيان على شرف الدّوله، و كاتبوا يحيى بن الشّاطر الّذى تسلّمها منه مسلم، فوصل إليهم و معه ابن عطيه النميرى و جماعه، و وثبوا على أصحاب شرف الدّوله فهربوا إلى الحصن، و قاتلهم ابن جلبه و من انضم إليه.

فسيّر الوالى جماعه إلى شرف الدّوله يعلمه بالحال، فبعضهم أخذ بالقرب من حرّان، و بعضهم أخذه أصحاب تاج الدّوله؛ فعرف تاج الدّوله الخبر قبل معرفه شرف الدوله فقويت نفسه.

و عرف شرف الدّوله ذلک و استضر عسكره بتواصل الغارات عليه عندما قويت نفس تاج الدّوله، و كان ذا مكر و خديعه، فرحل إلى مرج الصّفر(۱)، و أوهم أنه يسير مقتبلا لأمر عزم عليه، و قلق أهل دمشق لذلک.

ثم رحل مشرّقا فى البرّيّه على وادى بنى حصين و نزل شرقىّ حماه، و راسل ابن ملاعب، و طيّب نفسه إلى أن نزل فخلع عليه؛ و قرّر معه أن يكون بينه و بين تاج الدّوله ردءا يمنع من الأذيه فى بلاده، فأجابه إلى ذلک؛

---

۱- إلى الجنوب من دمشق فيما بين خان ذى النون و قريه شقحب.

و خلع علیه شرف الدوله و أکرمه و طیّب نفسه.

و سار شرف الدّوله إلی حرّان بعد أن أشرف الحصن علی الأخذ، فقاتل حرّان، و نقب نقوبا فی سورها و ثلم ثلمتین، و أقام علیها شهرین؛ و مضی أبو بکر ابن القاضی ابن جلبه و یحیی بن الشّاطر.

و استنجدا بجماعه من الأتراک فسیّر ابن عمّه ثروان بن وهیب فکسرهم و أسر منهم خلقا عبر بهم علی حرّان و سیّرهم إلی بلاده.

و هجم حرّان بالسّیف من الثلمتین و هم یقاتلون و لم تسکن الحرب حتی أعطی لؤلؤ الخادم الأمان، و أمن أبا بکر ابن القاضی و کان قد عاد إلی البلد، فحینئذ تفرّق النّاس.

و نهب عسکر شرف الدّوله البلد، و قطع علیهم ألف دینار، و قبض علی خلق منهم، و قتل ابن جلبه و ولدیه و ثلاثه و تسعین رجلا صبرا، و صلبهم، و صلب ابن جلبه أمامهم، و لم یف له بعهده، و ذلک کله فی سنه ستّ و سبعین(۱).

و وصل ابن جهیر(۲) وزیر القائم لیتسلّم دیار بکر و معه عسکر من ملک شاه- و کان ابن جهیر قد وزر مرّه لثمال بن صالح، ثمّ وزر لابن مروان، ثمّ للقائم- فوصل ابن مروان إلی شرف الدّوله، و استنجده علیه فأنجده، فالتقوا

---

۱- مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص ۱۹۱- ۱۹۲.

۲- درست حیاه فخر الدّوله محمد بن محمد بن جهیر و نشاطاته فی الجزیره فی کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص ۱۹۳- ۱۹۶.

على آمد، فكسرهم ابن جهير، و أخذ أموال شرف الدّوله، و أسر أصحابه، و أطلق من أسر من بنى عقيل.

ثم إنّ ابن جهير بثّ سراياه فى أعمال شرف الدّوله فعاثت فى بلاده، و نهبت؛ و ذلك فى سنه سبع و سبعين.

و وصله(١) مال من حلب فتقوّى به؛ و سار إلى الرّحبه و سيّر عمه مقبل بن بدران(٢) رسولا إلى مصر يطلب معونتهم، و يبذل لهم الطاعه، و كاتب السّلطان ملك شاه يذكّره بخدمته و طاعته و يذكر ما فعله ابن جهير.

فلما عرف ملك شاه ذلك و انفاذه عمّه إلى مصر سار إلى الموصل و معه نظام الملك- و كان نظام الملك يميل إلى شرف الدّوله، و يشير بالإحسان إليه و الصفح عنه- و كاتب الوزير نظام الملك شرف الدّوله يشير عليه بالوفود على السّلطان، و وعده بما طابت به نفسه، فسار من الرّحبه إليه، و لقيه نظام الملك على مراحل من الموصل.

فترجّل شرف الدّوله و قبّل يده؛ و كان فى محفّه لمرض منعه من الرّكوب، فأمره بالرّكوب، و قال له: «ذهب خوفك و شرح صدرك، و حقّق أملك». و كان قد استصحب معه كلّ ما قدر عليه من بقايا ذخائره و أمواله و خيله عقيب هذه النّكبه العظيمه(٣).

---

١- النكبه العظيمه هى أن مسلم بن قريش هزم من قبل ابن جهير هزيمه ساحقه، و هرب مسلم و التجأ إلى آمد، مما جعل ابن جهير يسرع باستدعاء السلطان ملكشاه، فسارع بالتحرك نحو الجزيره، لكن ابن قريش تدبر أمره مع أرتق قائد قوات ابن جهير، و خرج ناجيا بحياته من آمد، مما غير موازين القوى مجددا. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۱۹۴- ۱۹۵.

٢- الضمير عائد هنا إلى مسلم بن قريش.

٣- النكبه العظيمه هى أن مسلم بن قريش هزم من قبل ابن جهير هزيمه ساحقه، و هرب مسلم و التجأ إلى آمد، مما جعل ابن جهير يسرع باستدعاء السلطان ملكشاه، فسارع بالتحرك نحو الجزيره، لكن ابن قريش تدبر أمره مع أرتق قائد قوات ابن جهير، و خرج ناجيا بحياته من آمد، مما غير موازين القوى مجددا. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۱۹۴- ۱۹۵.

و دخل على السّلطان فأكرمه و أحسن إليه، و أجابه إلى كلّ ما طلبه؛ و سامحه بما كان بقى عليه من مقاطعه الشّام؛ و جدّد له التّوقيع بالبلاد الشّاميه و الجزريه و كلّ ما كان فى يده؛ و قرّر معه مسير ولده محمد و ان يكون فى عسكره، و كاتب أخاه تاج الدّوله أن لا يعرض لبلاده، و كان قد توجّه إليها، و سار أبو العزّ ابن صدقه إلى حلب لانجادها عليه، و بلغه خروج عسكر من مصر فرجع من لطمين.

و فى سنه سبع و سبعين و أربعمائه، شرع سليمان بن قطلمش فى العمل على أنطاكيه و الاجتهاد فى أخذها إلى أن تمّ له ما أراد.

فأسرى من نيقيه فى عسكره، و عبر الدّروب و أوهم أن الفلاردوس استدعاه، و أسرع السّير إلى أن وصل أنطاكيه ليلا، فقتل أهل ضيعه تعرف بالعمرانيّه جميعهم لئلا ينذروا به، و علقوا حبالا فى شرفات السّور بالرّماح، و طلعوا مما يلى باب فارس؛ و حين صار منهم على السّور جماعه نزلوا إلى باب فارس و فتحوه.

و دخل هو و عسكره من الباب و أغلقوه، و كانوا مائتين و ثمانين رجلا، و ذلک يوم الأحد العاشر من شعبان؛ و قيل يوم الجمعه الثامن، و لم يشعر بهم أهل البلد إلى الصبّاح.

و صاح الأتراك صيحه واحده فتوّهم أهل أنطاكيه أنه عسكر الفلاردوس حتى قاتلوهم فانهزموا و علموا أن البلد قد هجم فبعضهم هرب إلى القلعه و بعضهم رمى بنفسه من السّور فنجا.

و استقلّ سليمان عسكره فوصل إليه ابن منجاك فى ثلاثمائه فارس، و لم يزل عسكره يتواصل حتى قوى، فأمن النّاس و ردّهم إلى دورهم، و ردّ أكثر السّبى، و صلّى المسلمون يوم الجمعه خامس عشر شعبان فى القسيان(۱)، و أذّن فيه ذلك اليوم مائه و عشره من المؤذنين و خلق كثير من أهل الشّام.

و كان يوم فتحها أوّل يوم من كانون الأول؛ و كان فتح الرّوم لها أول ليله من كانون الثانى لثلاث عشره ليله خلت من ذى الحجه من سنه ثمان و خمسين و ثلاثمائه.

و وجد خطّ بعض المنجمين و هو ابن أخت الصّابى على ظهر كتاب عند القاضى أبى الفضل بن أبى جراده يقول: «ذكر المخبر عن أخذ مدينه أنطاكيه أنّ دخول العدو- يعنى الرّوم- إليها فى وقت كذا و كذا من اللّيل؛ فان صحّ قول المخبر فإنها تثبت فى أيدى الرّوم مائه و تسع عشره سنه».

و كان قد وقف على هذا الخطّ محمود بن نصر بن صالح؛ و قد ذكر فى مجلسه، و أظنّ ذلك حين نزل الأفشين التركىّ على أنطاكيه، و خاف محمود من أن يملك أنطاكيه فلم يتفق فتحها حينئذ، و كان الأمر كما ذكر المنجّم، ففتحها سليمان بن قطلمش عند تمام المدّه.

---

۱- القسيان: كاتدرائيه أنطاكيه.

و أقام سليمان بن قطلمش يحاصر قلعه أنطاكيه إلى الثانى عشر من شهر رمضان من السّنه و فتحها بالأمان ليقيها من القتل و السّبى، و نهب الترک من أنطاكيه ما يفوت الاحصاء و يزيد عن الوصف.

و سكنها سليمان بعسكره و فتح الحصون المجاوره لها، بعضها عن طوع و بعضها عن استدراج.

و صار لسليمان من نيقيه إلى طرابلس، و ملک الثّغور الشّاميه، و كان حسن السيره فى جنده و عسكره جوادا بماله، فمال إليه الناس لذلک. و لما فتح أنطاكيه أهدى إلى شرف الدّوله من الغنيمه هدّيه حسنه.

و لما استقرّ حال شرف الدّوله مع ملک شاه و اطمأن عاد إلى القادسيّه، و ناصف الجند فى أرزاقهم، و نقصها عليهم، فصار أكثرهم إلى سليمان، و تركوه فأقطعهم؛ و أحسن إليهم و سبّب لهم أرزاقا تكفيهم.

و كان جماعه من أصحاب بنى مرداس يخافون شرف الدّوله و هم متفرقون فى الشّام فصاروا إليه.

و كان من ضياع أنطاكيه و أعمالها مواضع عده تغلّب محمود و الأتراک عليها، و قبضوها من الرّوم لضعفهم، و صارت فى أعمال حلب، فقبضها سليمان و أقطعها و غيرها مما يجاور أعمال أنطاكيه.

و كان الشريف حسن الحتيتى رئيس حلب و غيره من أصحاب شرف الدّوله خافوا منه لمّا استقر حاله مع السّلطان أن يتمّ له الصلح مع ابن

قطلمش فيتفرغ لهم و يقبضهم، و يستأصل أموالهم؛ فتوصّلوا إلى المفاسده بينهما بمن صار فى حلّته من أهل الشام ليشتغل عنهم شرف الدّوله.

و كان لأبى المكارم قطيعه على أنطاكيه يحملها الروم إليه فطمع بها من سليمان فلم يجبه إلى ذلك و قال: «تلك جزيه كانت على الروم لتمسك عن جهادهم، و قد قمت أنا بفريضه الجهاد، و صارت أنطاكيه للمسلمين فكيف أؤدى عنها إليك جزيه؟». ففسد ما بينهما لذلك.

و سار شبيب بن محمود و منصور بن الدوح و جماعه من بنى كلاب إلى أنطاكيه، و حضروا عند سليمان، و وعدهم و وعدوه بما لم يقبح من بعضهم لبعض؛ و أخذوا قطعه من عسكره؛ و خرجوا فعاثوا فى بلاد شرف الدّوله، ثم إنّهم خافوا منه فهربوا إلى أسفونا.

و تواصلت غاراته على بلد حلب و سرمين و بزاعا و قبض شرف الدّوله على وزيره أبى العزّ بن صدقه و صادره و حبسه، و سيّر ابن الحلزون إلى حلب ليدبّر أمرها؛ فوصل إلى حلب، و راسل سليمان فى الصّلح.

و قبض على علىّ بن قريش بأمر أخيه شرف الدّوله، و صادره على عشره آلاف دينار، و أخذ منه منبج لأنها كانت أقطاعه، فعند ذلك ازدادت وحشه الشّريف و غيره لما شاهدوه من فعله بأخيه. و كذا كانت سيرته فى أصحابه.

و بهذا الطريق فسد حاله؛ و أما رعيّته فكانوا معه على أجمل حال و أحسنه.

و حيث تحقّق شرف الدّوله اختلال حلب و نواحيها بغارات سليمان جمع

عسكره و انضاف إليه بعض الأتراك، و وصل إلى عزاز فى صفر من سنه ثمان و سبعين و أربعمائه.

و أشير عليه بالنّزول على حلب و مراسله سليمان فى الصّلح، فامتنع و استدعى بنى كلاب فوصله منهم جماعه من أعيانهم و فرسانهم، و سار فنزل على نهر عفرين بموضع يقال له قرزاحل(۱).

و وصل سليمان من أنطاكيه فى أربعه آلاف فارس، و كان شرف الدّوله فى عدّه تزيد عن سته آلاف ليس فيهم مناصح؛ و جاء شرف الدّوله بطيخ فنزل هو و بعض بنى عمه و أكلوا، فقال ابن عمه:

كلوا أكله من عاش يخبر أهله و من مات يلقى اللّه و هو بطين

فقال شرف الدّوله: «قتلنا فألك يابن العمّ».

و التقوا فى آخر نهار السّبت، لستّ بقين من صفر سنه ثمان و سبعين و أربعمائه، و الشّمس فى وجوه عسكر شرف الدّوله؛ و كان اللقاء بغته فى غير وقت يظن فيه؛ فانهزم عسكر شرف الدّوله، و جاءته طعنه فقتل(۲). و لما طعن قال: «يا شام الشّؤم» و أتّهم بعض أصحابه بقتله. و كان القتل بين الفريقين قليلا لأن أصحاب شرف الدّوله لم يثبتوا معه لقبح رأيهم فيه. و رحل سليمان

---

۱- اسمها الآن قرزيحل، و هى قريه بجبل سمعان، تتبع منطقه عفرين، محافظه حلب، و تبعد عن عفرين ۷ كم، و هى إلى الجنوب الشرقى منها.

۲- ثبت مع مسلم فى القتال أحداث حلب فقط، و كانوا ستمائه، فقد أربعمائه منهم حياتهم، و هم يحاولون تغطيه انسحاب ابن قريش. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۱۹۹- ۲۰۱.

و نزل بظاهر حلب، و حمل شرف الدّوله، و طرحه على باب حلب فدفن هناك.

و انفرد الشريف أبو على الحسن بن هبه اللّه الهاشمى المعروف بالحتيتى بتدبير حلب و سالم بن مالك العقيلى بالقلعه(۱).

و كان القاضى بحلب فى أيّام شرف الدّوله القاضى كسرى بن عبد الكريم بن كسرى و تولى قضاء حلب فى سنه اثنتين و أربعين و أربعمائه و مات فى أيام أبى المكارم مسلم بن قريش؛ فولى قضاءها أبو الفضل هبه اللّه بن أحمد بن أبى جراده- و هو ابن بنت كسرى المذكور، و ابن القاضى أبى الحسن المتقدم قبل كسرى- و كان أبو المكارم شرف الدّوله يخاطبه بابن العمّ لكونه عقيليا؛ و القاضى عقيلى. و من شعر أبى المكارم بن قريش:

إذا قرعت رجلى الرّكاب تزعزعت لها الشمّ و اهتزّ الصعيد إلى مصر

و من شعره أيضا:

الدّهر يومان ذا أمن و ذا خطرو الماء صنفان ذا صاف و ذا كدر(۲)

و أما سليمان بن قطلمش فإنّه حاصر حلب مدّه، ثم تردّدت الرّسل إلى أهل حلب فى التّسليم، فاستقرّت الحال بينهم على موادعه مده.

و سيّر سليمان بن قطلمش قطعه من عسكره لاتباع العرب الذين كانوا

---

۱- لسالم بن مالك ترجمه فى بغيه الطلب كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۴۰۵- ۴۰۷، و هو مؤسس حكم الأسره العقيليه فى قلعه جعبر.

۲- بهامش الأصل: بلغ مقابله بخط المؤلف رحمه اللّه.

مع شرف الدّوله، فهربوا، و لحقهم شدّه عظيمه من دخول البريّه فى حزيران.

و توجّه سليمان إلى معرّه النعمان و كفر طاب، و تسلّمهما، ثمّ سار إلى شيزر، فقاتلها و قرّر أمرها على مال يحمل إليه، و أخذ لطمين، و شحنها بالرّجال، و عدل أصحابه بالشام عما عرف من سيره العرب.

و جرت بالمعرّه أسباب وصل لأجلها حسن بن طاهر وزير سليمان، فى النصف من جمادى الأولى، يطلب أصحابه فثارت فتنه بالبلد، و أخرجوه منه فخرج لوقته، و أصبح قاتل البلد، و قتل جماعه من أهله فى الحرب، و أمن الناحيه الغربيه، و أمن الباقى منها و قطع على أهل البلد عشره آلاف دينار.

و أما بلاد شرف الدّوله فملكها من بعده أخوه إبراهيم، ما خلا حلب؛ و كاتب من بحلب فى تسليمها إليه فلم يجيبوه.

و أما الشّريف حسن الحتيتى فإنّه كان متقدم الأحداث و رئيسهم، فعمر لنفسه فى صفر من سنه ثمان و سبعين قلعه الشّريف المنسوبه إليه، و بنى عليها سورا دائرا، و فصل بينها و بين المدينه بسور و خندق خوفا على نفسه أن يسلمه أهل حلب، و كانوا يبغضونه، و يكرهون ولايته عليهم.

و اتّفق الشّريف و سالم بن مالك صاحب القلعه الكبيره على أن كاتبا السّلطان ملكشاه يبذلان له تسليم حلب إليه، و يحثّانه على الوصول أو وصول نجده تدفع سليمان بن قطلمش.

و عمر سليمان بن قطلمش قلعه قنّسرين و تحول إليها و تزوج منيعه بنت محمود بن صالح زوجه مسلم بن قريش.

و نزل على حلب و طال انتظار الشّريف حسن لنجده تصله من السّلطان، فاجتمع بمبارك بن شبل أمير بنى كلاب، و اتفقا على أن سار مبارك بن شبل إلى تاج الدّوله تتش يستدعيه إلى حلب ليتسلّمها.

و عرفه ما استقرّ بينه و بين الشريف الحتيتى عن تسليمه حلب، و رغبه الكافه فى مملكته، ففرج بذلك و جمع العسكر، و خرج من دمشق فى المحّرم من سنه تسع و سبعين و أربعمائه إلى حلب، فحصر حصن سليمان بن قطلمش فى قنّسرين.

و وصل إلى تاج الدّوله جماعه من بنى كلاب، و رحل إلى النّاعوره و عوّل على مراسله الشريف حسن فان سلم إليه و إلّا عاد لحربه، فبادر سليمان و هو نازل فى عسكره على حلب، و عارضه فى طريقه على عين سيلم(۱)، و تراءى العسكران، فدبّر أرتق عسكر تاج الدّوله أحسن تدبير، و التقوا فانهزم عسكر سليمان.

و قتل سليمان، و أسر وزيره الحسن بن طاهر و خلق من عسكره فى يوم الأربعاء الثّامن عشر من صفر، فأطلق تاج الدّوله الوزير و من أسر، و غنم عسكره و العرب الذين معه جميع ما كان فى العسكر.

---

۱- بينها و بين حلب ثلاثه أميال. معجم البلدان.

و اختلف فى قتل سليمان، فقيل: عارضه فارس من فرسان تاج الدّوله فرماه فى صدغه بسهم فقتله.

و قيل: بأنه لما يئس من النّصره نزل عن فرسه، و قتل نفسه بسكّين خفّه، و قيل: إنّ المصامده تتبّعت أسلاب القتلى فظفروا بدرع مرّصع بالياقوت و العقيان النفيس.

و نمى الخبر إلى تاج الدّوله، فأحضره فقال: «هذا يشبه سلب الملوك»، و سار إلى الموضع و إذا به مختلط بدمه فقال: «يشبه أن يكون هذا». و قد كان قال لهم: «لا تبينوه لى حتى أريكموه من بين القتلى»، فقيل له: «و من أين علمت ذلك؟» فقال: «قدمه تشبه قدمى و أقدام بنى سلجوق تتشابه».

ثم قال بلسانه: «ظلمناكم، و أبعدناكم و نقتلكم!» ثم مسح عينيه و اغتمّ لقتله، و ترّحم عليه، و أحضر أكفانا نفيسه فكفّنه، و صلّى عليه، و حمله إلى حلب فدفنه إلى جانب مسلم بن قريش قبل أن ينقل مسلم إلى سرّ من رأى، و قيل: دفن معه فى قبر واحد.

و لما جرى ما جرى من قتل سليمان و سار تاج الدّوله إلى حلب عدل الشّريف حسن الحتيتى عما كان اتّفق عليه مع مبارك بن شبل، و امتنع من تسليم حلب إلى تاج الدّوله، و احتجّ بأنّ كتب ملكشاه وصلته بتجهيز العساكر إليه.

فأقطع تاج الدّوله بلد حلب و أعمالها لعسكره إلّا ما كان لبعض العرب الّذين وفدوا عليه، فانّه أقرّه فى أيديهم؛ ثم رحل إلى مرج دابق(١) و أقام أيّاما.

ثم عاد و نازل حلب؛ فعمد رجل من تجار حلب يعرف بابن البرعونى الحلبىّ، و راسل تاج الدّوله فى تسليم حلب إليه، و رفع بعض أصحابه بحبال إلى بعض أبراج السور، و ساعده قوم من الأحداث و نادوا بشعار تاج الدّوله فى ذلك الموضع، و تسامع الناس فنادوا بشعاره فى البلد جميعه، و ذلك فى ليله السّبت السّادس و العشرين من شهر ربيع الأوّل من السّنه.

فانهزم هبه اللّه أبو الشريف حسن من قلعه ابنه إلى القلعه الكبيره إلى سالم بن مالك(٢)، و بقى الشّريف حسن فى قلعته المجدّده، و معه فيها رجال من أحداث حلب، فخافوا على أهلهم بحلب، فخرجوا منها و بقى الشريف حسن فى قلعته فى نفر قليل، فطلب الأمان فأمّنه تاج الدّوله بوساطه ظهير الدّين أرتق.

و خرج إلى أرتق و صار عنده بماله و أهله، و سلّم القلعه إلى تاج الدّوله تتش، و سيّره أرتق إلى بيت المقدس بماله فأقام به.

و عصى سالم بن مالك بالقلعه الكبيره، و كان شرف الدّوله بن قريش

---

١- دابق قريه قرب حلب من أعمال عزاز بينها و بين حلب أربعه فراسخ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان، و به قبر سليمان بن عبد الملك. معجم البلدان.

٢- انظر ترجمه سالم فى بغيه الطلب ص ٤١٥٧- ٤١٥٩. و كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٤٠٥- ٤٠٧.

لما ولّاه فيها أوصاه أن لا يسلّمها إلّا إلى السلطان ملكشاه، فالتزم بوصيّته، و امتنع أن يسلّمها إلى تتش.

و أقام تتش بمدينه حلب إلى اليوم السّابع و العشرين من شهر ربيع الآخر، و أحسن إلى أهلها، و خلع على أحداثها، فوصله الخبر أنّ السلطان ملكشاه وصلت عساكره إلى نهر الجوز(١) قاصدين مدينه حلب، فسار تاج الدّوله إلى دمشق، و ترك بعض أصحابه بقلعه الشريف و معه عدّه فى اليوم المذكور، و معه قوم من بياض حلب، فأقام نائبه أياما يسيره، ثم سار و لحقه فى دمشق.

و وصلت عساكر ملكشاه حلب مع برسق و بوزان و غيرهم، و نزل بعضهم إلى بلد الرّوم، و امتدوا فيما بينها و بين أنطاكيه؛ و وصل بعضهم إلى حلب، و سارع أهل حلب و سالم بن مالك و مبارك بن شبل إلى طاعه الواصل و خدمته.

ثم إنّ السلطان وصل بعدهم إلى الرّها فسلّمها إليه الفلاردوس(٢) و أسلم على يده، و سار منها إلى قلعه دوسر- و هى المعروفه بجعبر- فتسلّمها فى طريقه من جعبر بن سابق القشيرى، و قتله لما بلغه عنه من الفساد و قطع الطّريق.

---

١- نهر الجوز جزء من نهر الفرات كان يعبر منه نحو الغرب. انظر بغيه الطلب ص ١٩٧٤.

٢- هو فيلارتيوس براخاموس، كان بالأصل أرمنيا من قاده الإمبراطور رومانوس دايجينس، انظر كتاب« الرها المدينه المباركه» ترجمه عربيه، ط. حلب ١٩٨٨ ص ٢٧٣.

و سار حتّى وصل حلب فى الثّالث و العشرين من شعبان من سنه تسع و سبعين و أربعمائه.

و تسلّم حلب و قلعتها و سائر قلاع الشّام، و عوّض سالم بن مالك عن قلعه حلب بقلعه دوسر، و أقطعه معها الرّقه و عدّه ضياع.

و توجّه السّلطان إلى أنطاكيه فتسلّمها من الحسن بن طاهر وزير سليمان بن قطلمش، و رتب بأنطاكيه يغى سيان بن ألب فى عسكر و استخدم حسن بن طاهر فى ديوانها، و تمّ إلى السّويديّه(۱)، و صلّى على البحر، و حمد اللّه على ما أنعم عليه ممّا تملكه من بحر المشرق إلى بحر المغرب.

و عاد إلى حلب، و رتّب بها الأمير قسيم الدّوله أقسنقر(۲) و معه عسكر، و استخدم بها تاج الرّؤساء ابن الخّلال فى جمع الأموال.

و وصل إليه الشّريف حسن الحتيتى و هو بحلب يلتمس العوده إلى حلب، و يذكر خدمته و ما جرى عليه، فتظلّم منه أهل حلب فلم يأذن له السّلطان فيما التمسه.

و كان هذا السّلطان من أعظم الناس هيبه و أكثر الملوك عدلا حتى أنّ أحدا لا يقول: إنّ أحدا من ذلك العالم العظيم من عسكره- و حزره أربعمائه

---

۱- ميناء مدينه أنطاكيه على شاطى ء البحر المتوسط.

۲- انظر ترجمته المنتزعه من بغيه الطلب فى ملاحق مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۲۶۹- ۲۷۷.

ألف- أخذ لأحد من الرّعايا قسرا و ظلما ما يساوى درهما واحدا؛ حتى أنّ البازيار الّذى له اقتنص طائرين من الدّجاج من الأثارب(۱) طعما للبزاه فى الطّريق، فعلم بذلك فعظم عليه حين رآه و هدّده حتى أعادها إلى صاحبها بعد عوده من أنطاكيه.

و خرج هذا السّلطان إلى ضياع معرّه النّعمان يتصيّد، و بات بضيعه بينه و بين المعرّه ثلاثه فراسخ، فابتاع منها أصحابه ما احتاجوه بأوفى ثمن؛ و وضع السّلطان فى هذه السّنه المكوس من جميع بلاده، و لم يبق من يستخرج مكسا فى مملكته.

و أقام السّلطان بحلب إلى أن عيّد بها عيد الفطر، و عاد منكفئا إلى الجزيره، و قد قرّر ولايه حلب، و ولّى بقلعتها نوحا التركى، و بلغه عصيان تكش(۲) بترمذ فسار السّلطان، و قطع ما بين حلب و نيسابور فى عشره أيّام، و عاد منكفئا إلى الجزيره و قد قرّر ولايه حلب لقسيم الدّوله أقسنقر التركى فى سنه تسع و سبعين و أربعمائه، و جعل معه أربعه آلاف فارس و مكّنه فيها.

و قيل إنّه مملوك لملكشاه، و قيل إنه لصيق و انّ اسم أبيه أل ترغان، و ولّى على جمع المال بحلب فى الديوان تاج الرؤساء أبا منصور بن الخّلال

---

۱- الأثارب قلعه معروفه بين حلب و أنطاكيه، تبعد عن حلب ثلاثه فراسخ. معجم البلدان.

۲- هو أخو السلطان ملكشاه. انظر حول عصيانه الكامل لابن الأثير ط. القاهره مطبعه الإستقامه- ج ۸ ص ۱۳۶.

الرحبىّ، و قال شاعر حلبىّ فيه و فى الوزير ابن النّحاس:

قد زنجر العيش على النّاس ما بين «خلّال» و «نحّاس»

فأحسن قسيم الدّوله فى حلب السّيره و أجمل السّياسه و أقام الهيبه، و أفنى قطّاع الطريق، و تتبع الذعّار فى كلّ موضع فاستأصل شأفتهم.

و عمرت حلب فى أيامه بسبب ذلك لورود التجار و الجلّابين إليها من كل مكان.

و حكى لى والدى- رحمه اللّه-: أنّه استأصل أرباب الفساد إلى حدّ بلغ به أن نادى فى قرى حلب و ضياعها أن لا يغلق أحد بابه، و أن يتركوا آلاتهم الّتى للحرث فى البقاع فى اللّيل و النّهار.

فخرج متصيّدا فمرّ على فلّاح و قد فرغ من عمله، و أخذ آله الحرث معه إلى منزله، فانفرد من عسكره، و قال له: «ألم تسمع مناداه قسيم الدّوله بأن لا يرفع أحد من أهل القرى شيئا من آله الحرث؟» فقال: «بلى و اللّه- حفظ اللّه قسيم الدّوله- و اللّه لقد أمنّا فى أيّامه من كل ذاعر و مفسد، و ما رفعت هذا خوفا عليها ممّن يأخذها، و إنّما ههنا دويبه يقال لها ابن آوى إذا تركنا هذه العدّه ههنا جاءت و أكلت هذه الجلود التى عليها».

فلما عاد قسيم الدوله أمر بالصيّادين و بثّهم فى أقطار بلد حلب لصيد بنات آوى حتى أفنوها من ضواحى حلب، و كان ذلك سببا لقلّتها فى بلد حلب إلى يومنا هذا، دون غيرها من البلاد.

و فی أیّام قسیم الدّوله جدّد عماره مناره حلب الموجوده فی زماننا هذا، و جددت فی سنه اثنتین و ثمانین و أربعمائه.

و جری خلف بین لطمین(۱) و بین نصر بن علیّ بن منقذ فی سنه إحدی و ثمانین، فخرج أقسنقر إلی شیزر، و قتل من أهلها مائه و ثلاثین رجلا، و عاد إلی حلب بعد أن نهب ربضها، و استقّرت الموادعه بینه و بین نصر صاحب شیزر.

و کان أقسنقر قد تزوّج خاتون دایه السّلطان ملکشاه(۲) و کانت جالسه معه فی بعض الأیّام فی داره بحلب، و فی یده سکّین فأومأ بها إلیها علی سبیل المداعبه و المزاح، فوقعت فی قلبها للقضاء المحتوم غیر متعمد لها؛ فماتت و حزن علیها حزنا شدیدا؛ و تأسّف لفقدها، و حملها فی تابوت لتدفن فی مقابر لها بالشّرق؛ و خرج من حلب لتودیع تابوتها فی مستهلّ جمادی الآخره.

و تسلّم أقسنقر حصن(۳) برزویه، فی شعبان سنه اثنتین و ثمانین و أربعمائه، من الأرمن- و هو آخر ما کان قد بقی فی أیدی الکفّار من أعمال أنطاکیه- و أقام فی یده تسعه أشهر، و هدمه فی ربیع الأوّل من سنه ثلاث و ثمانین.

---

۱- تتبع قریه لطمین ناحیه محرده فی محافظه حماه و تبعد عن حماه مسافه ۳۶ کم.

۲- فی ترجمه أقسنقر- مدخل ص ۲۶۹:« دایه السلطان ادریس بن طغان شاه، و حظی عند السلطان ملکشاه».

۳- حصن قرب السواحل الشامیه علی سن جبل شاهق. معجم البلدان.

و كتب ولاه الشّام إلى السلطان ملكشاه يشكون ما يلقونه من خلف بن ملاعب بحمص من قطع الطّريق و إخافه السّبيل، فكتب إلى قسيم الدّوله و يغى سيان و بوزان صاحب الرّها، فساروا فى عساكرهم، فحاصروها و ضايقوها ففتحوها؛ و أعطاها السّلطان تاج الدّوله تتش.

و نزل قسيم الدّوله على أفاميه، فأخذها من خلف بن ملاعب و سلّمها إلى نصر بن منقذ.

ثمّ إنّ السّلطان أمر بحمل ابن ملاعب فى قفص حديد إلى أصبهان، فحبسه إلى أن مات ملكشاه؛ و توجّه إلى مصر و عاد إلى الشّام، و احتال حتى ملك أفاميه بالحيله بعد ذلك.

و لما فتحت حمص تسلّمها قسيم الدّوله إلى أن ورد عليه أمر السّلطان بتسليمها إلى تتش(١).

و مات السّلطان ملكشاه ببغداد فى اللّيله السّادسه عشر من شوّال سنه خمس و ثمانين و أربعمائه، و كان أقسنقر قد خرج وافدا عليه، فلما بلغه الخبر عاد إلى حلب، و خطب لابنه محمود مدّه يسيره، ثم إنّه خطب بعد ذلك لتاج الدّوله تتش- على ما يذكر-(٢).

---

١- لخلف بن ملاعب ترجمه مفيده المعلومات فى كتاب بغيه الطلب، سلف و نشرتها فى ملاحق كتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٣٨٠- ٣٨٥.

٢- انظر تفاصيل هذا الموضوع فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٢١- ٢٢٨.

و لما عاد إلى حلب قبض على شبل بن جامع أمير بنى كلاب و على ولده مبارك، و اعتقلهما بالقلعه، و راسل تاج الدّوله قسيم الدّوله و يغى سيان و بوزان و جذبهم إلى طاعته، و الكون فى جملته ليسيروا معه إلى بلاد أخيه ليفتحها، و يأخذ المملكه فأجابوا إلى ذلك، و خطبوا له فى أعمالهم.

فسار فى أوّل سنه ستّ و ثمانين، و سار إليه قسيم الدّوله و يغى سيان و بوزان، و وثق به أق سنقر، و فتح تاج الدّوله الرّحبه و نصيبين، فجمع ابراهيم بن قريش و تأهّب للقاء تاج الدّوله.

و التقى العسكران على دارا(۱)، و عاد كلّ فريق إلى موضعه، فركب الأمير قسيم الدّوله فى خلق من العسكر، و حمل حتّى توسّط عسكر ابراهيم فلم يثبت العرب، و تبعه باقى العسكر، فقتل منهم ما يقارب عشره آلاف.

و أسر ابراهيم بن قريش و عمه مقبل و غيرهم. فقتلهم تاج الدّوله صبرا و سبيت الحرم، و قتل جماعه من نساء العرب نفوسهن.

و أمر تاج الدّوله بعد ذلك بجمع الأسرى و وهبهم من محمّد بن شرف الدّوله- و كان قد صار فى جملته قبل الحرب- و أقطعه نصيبين(۲).

و عظمت هيبه تاج الدّوله بعد هذه الوقعه، و راسلته زوجه أخيه تحثّه

---

۱- دارا بلد فى لحف جبل بين نصيبين و ماردين. معجم البلدان.

۲- لمزيد من التفاصيل، أنظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۲۲۲- ۲۲۳.

على الوصول؛ و استقرّ الحال على أن تتزوّجه؛ فسار عند ذلك بعد أن تسلّم من ابن جهير آمد و جزيره ابن عمر، حتى وصل إلى تبريز، ففسخ عنه قسيم الدّوله أق سنقر صاحب حلب و عماد الدّوله بوزان و سارا إلى بركيارق ليكونا فى خدمته- و كان بالقرب من الريّ(۱).

و كان سبب نفار قسيم الدّوله و بوزان تقريب تاج الدّوله يغى سيان و ميله إليه؛ و قيل: لأنّه لم يولهما شيئا من البلاد الّتى افتتحها، فرجع تاج الدّوله إلى ديار بكر، و شحنها بالرّجال، و سار منها إلى سروج فأخذها و ولّى فيها بعض ثقاته.

و وصله الخبر بوصول أق سنقر و بوزان إلى باب السّلطان بركيارق، و إكرامه لهما، و أنّهما وجدا خاله مستوليا على أمره، فقتلاه و بعض الأمراء.

فانبسطت يد بركيارق، و استقامت أحواله، و خاطبه أق سنقر و بوزان أن يسير معهما إلى بلادهما حلب و الرّها و حرّان، لئلا يجرى عليهما حادث من تاج الدّوله عند عودته، و ضمنا له أن يكونا بينه و بين تاج الدّوله؛ فسار معهما إلى الرّحبه، و عقد بينهما و بين علىّ بن شرف الدّوله حلفا.

و سار علىّ بن قريش، و معه جماعه من بنى عقيل و قطعه من عسكر السّلطان بركيارق مع قسيم الدّوله؛ فأوصلوه إلى حلب، فدخلها فى شوّال من سنه ستّ و ثمانين و أربعمائه.

---

۱- الرى الآن ضاحيه لمدينه طهران.

و سار بوزان إلى بلاده، و عاد من كان معهما إلى السّلطان.

و أما تتش فانّه قطع الفرات و توجّه إلى أنطاكيه، و أقام بها مع يغى سيان مدّه، فغلت بها الأسعار، فسار إلى دمشق فى ذى القعده من هذه السّنه.

و كان وثّاب بن محمود مع نفر يسير من بنى كلاب، فأنفذ أق سنقر بعد مسير تتش إلى دمشق من أحرق حصن أسفونا و حصن(١) القبّه، و قبض اقطاع وثّاب.

و فى سنه سبع و ثمانين، قبض على الوزير أبى نصر محمّد بن الحسن بن النحاس بسعايه المجنّ بركات الفوعى به إلى قسيم الدّوله. و لم يزل به إلى أن أمره بخنقه، و هو معتقل عنده، فخنقه فى هذه السّنه.

و فى شهر ربيع الأوّل من سنه سبع و ثمانين و أربعمائه، خرج تاج الدّوله تتش من دمشق، و معه خلق عظيم من العرب، و لقيه يغى سيان بعسكر أنطاكيه بالقرب من حماه و أقاموا هناك أياما؛ و زوّج ولده الملك رضوان من ابنه يغى سيان، و سيّره عائدا إلى دمشق.

و سار تاج الدّوله بعساكره فنزل تلمنس(٢)، و أقام بها أياما، فوصله الخبر بوصول كربوقا صاحب الموصل و بوزان صاحب الرّها، و يوسف بن

---

١- قرب معره النعمان. معجم البلدان.

٢- تتبع تلمنس الآن منطقه معره النعمان فى محافظه أدلب السوريه و تبعد عن المعره مسافه ۶ كم و عن أدلب ۴۵ كم.

أبق صاحب الرّحبه، فی ألفین و خمسمائه فارس إلی حلب، لنجده أق سنقر، فعدل تاج الدّوله إلی الحانوته، و رحل إلی النّاعوره، و عوّل علی قصد الوادی(۱)، و أن یسیر منه إلی أعمال أنطاکیه؛ و أخذ العسکر دوابّ النقره و [أحرق] بعض زرعها(۲).

فخرج أق سنقر و من وصله من النّجده و جماعه کثیره مع شبل بن جامع و مبارک بن شبل من بنی کلاب- و کان قد أطلقهما من الاعتقال فی هذه السّنه- و محمّد بن زائده فی جماعته و جماعه من أحداث حلب و الدیّلم و الخراسانیّه؛ و عدّه عسکره تزید عن ستّه آلاف فارس و راجل، فی أحسن أهبه و أکمل عدّه.

و قصد عسکر الملک تاج الدّوله، یوم السبت تاسع جمادی الأولی من السّنه، و التقوا علی «سبعین»(۳)، و کان أوّل من قطع السواقی التی کانت بین العسکرین و برز للحرب أق سنقر، و رتّب مصاف عسکره.

و بقی عسکر بوزان و کربوقا لم یتمکن من قطع السواقی، فیختلطون بالعسکر، و لم یستنصح أق سنقر العرب الّذین معه؛ و خاف میلهم إلی تاج الدّوله، و کان عسکر تاج الدّوله فی مثل هذه العدّه من العرب و الرّجاله،

---

۱- وادی بزاعا. انظر مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص ۲۷۲.

۲- أضیف ما بین الحاصرتین من ترجمه آق سنقر. مدخل ص ۲۷۲.

۳- سبعین قریه قریبه من حلب. معجم البلدان.

و كان التّرك معه فى قلّه لأنّ أصحابه و خواصّه كانوا متفرقين فى البلاد التى افتتحها.

و حمل عسكر تاج الدّوله على عسكر أق سنقر فلم يثبت لحظه واحده، و انهزمت العرب و بوزان و كربوقا نحو حلب فدخلاها، و استأمن يوسف بن أبق إلى تاج الدّوله.

و أسر أق سنقر و جماعه من خواصه و وزيره أبو القاسم بن بديع، و أحضر بين يدى تاج الدّوله أسيرا، فقتله صبرا، و قال له تاج الدّوله: «لو ظفرت بى ما كنت صنعت؟» قال: «كنت أقتلك» فقال له: «فأنا أحكم عليك بما كنت تحكم علىّ» فقتله.

و حكى وثّاب بن محمود قال: «جلس تاج الدّوله، و طلب قسيم الدّوله، فأحضر مكشوف الرّأس، مكتوفا، فقام تاج الدّوله، و كلّمه كلاما كثيرا، فلم يردّ عليه جوابا، فضربه بيده أطار رأسه».

و حمل رأسه إلى حلب والى دمشق، و دفن جسده فى القبّه التى على سطح جبل قرنبيا(۱)، غربىّ المشهد الذى ابتناه بقرنبيا؛ ثم نقله ابنه زنكى لمّا فتح حلب إلى مدرسه الزجّاجين(۲)، و وقف شامر- قريه من بلد حلب- على من يقرأ على قبره.

---

۱- مشهد قائم بين حلب و قريه النيرب. الآثار الاسلاميه فى حلب لأسعد طلس. ط. دمشق ۱۹۵۶ ص ۲۴۱.

۲- انظر حولها الآثار الاسلاميه ص ۹۰- ۹۱ ذلك أنها درست.

و اختار قسيم الدّوله وقتا للخروج إلى اللّقاء، و هو وقت قران زحل للمرّيخ فى برج الأسد- و هو طالع بيت السّلطان بحلب- و كان موقنا بالظّفر، فخرج و أمرهم أن يلحقوه بالجبال لكتافهم بها، و كان تاج الدّوله قد عزم على ما ذكرناه؛ و لم يكن مؤثرا لقاءه؛ فنصره اللّه تعالى كما شاء و أراد؛ لا راد لأمره، و لا معقّب لحكمه، و لا تأثير لشى ء فى ملكوته.

و أسر شبل بن جامع أمير بنى كلاب فوهبه تاج الدّوله لابن أخيه وثّاب بن محمود.

و عوّل بوزان و كربوقا على الاعتصام بحلب، و انتظار النّجده من بركيارق؛ لأن كتاب الطّائر وصل إلى حلب يخبر بوصول النّجده إلى الموصل، و قرّروا مع الأحداث ذلك.

فوصل تاج الدّوله بعسكره إلى حلب، و تحيّر أهلها فيما يفعلونه، فبادر قوم من الأحداث ممّن لا يعرف و لا يذكر ففتحوا باب أنطاكيه.

و دخل وثّاب بن محمود فى مقدّمه أصحاب تاج الدّوله إلى حلب، و سكن البلد، فنزل الوالى بقلعه الشّريف، و سلّمها إلى تاج الدّوله فدخلها، و بات بها، فراسله نوح والى القلعه الكبيره، و سلّمها إليه بعد أن توثّق منه، و طلع تاج الدّوله إليها فى الحادى عشر من جمادى الأولى من السّنه(۱).

---

۱- ۴۸۷ ه/ ۱۰۹۴ م.

و قبض تاج الدّوله على بوزان فضرب رقبته صبرا، و أخذ كربوقا و اعتقله بحمص، و أقطع الشّام لعسكره، و أقطع معرّه النّعمان و اللّاذقيه ليغى سيان، و رتّب أبا القاسم بن بديع وزيرا بحلب.

و أقام ثلاثه أيّام ثمّ توجّه فقطع الفرات، و تسلّم حرّان، و سار إلى الرّها فتسلّمها، و قيل: بأنّ واليها امتنع من تسليمها إلّا بعلامه من بوزان، و أنّ بوزان كان محبوسا بحلب، فأنفذ إليه من قطع رأسه و رماهم به، فسلّموا الرّها إليه، و تسلّم ديار بكر.

و سار إلى ميّافارقين فقتل بنى جهير بعد أن قطع رؤوس أولادهم و علّقها فى رقابهم.

و عدل عن الموصل، و سار للقاء زوجه أخيه خاتون الجلاليّه لإتمام ما كان استقرّ بينهما فماتت فى الطريق.

و توجّه تاج الدّوله إلى الرّى، فوصله خلق كثير من التركمان و عساكر أخيه، و ملك كلّ بلده مرّ بها، و خطب له على منابر الإسلام: الشّام و الفرات، و بغداد.

و عند وصوله إلى همذان كتب إلى ولده الملك رضوان يستدعيه من دمشق فتوجّه إليه و معه بقيّه من تخلّف من أصحابه بالشّام.

و دخل تاج الدّوله الرّى و ملكها فى المحرّم سنه ثمان و ثمانين و أربعمائه، و خرج بركيارق من أصبهان، و التقوا على خمسه فراسخ من

الرّى فى يوم الأحد السّابع عشر من صفر، فانهزم عسكر تاج الدّوله تتش و استبيح و نهب، و قتل ذلک اليوم تاج الدّوله و خواصّه فى الحرب.

و قتل تاج الدّوله بعض أصحاب قسيم الدّوله بعد أن اصطنعه و قربّه، ضربه بنشّابه فى ترقوته اليسرى فوقع؛ و قطع رأسه و طيف به العسکر، ثمّ حمل إلى بغداد فطيف به، و تفرّق من سلم منهم إلى مواضعهم.

و وصل الخبر إلى ولده الملک رضوان، و هو نازل على الفرات بعانه(۱) متوجها إلى والده، فقلق و خاف من وصول من يطلبه فحطّ خيمه فى الحال(۲).

و رحل مجدّا حتّى وصل حلب فى جماعه من غلمانه و حاشيته؛ و ترک باقى عسکره من ورائه، فسلم وزير أبيه أبو القاسم بن بديع إليه المدينه و القلعه؛ و صعد إليها؛ و أخذوا الأهبه لمن يقصدها.

و وصل إليه إلى حلب من الفلّ أخوه أبو نصر دقاق(۳) و جناح الدّوله حسين(۴)، فاستولى جناح الدّوله على تدبير ملک الملک رضوان؛ و کان تاج

---

۱- عانه بلد مشهور على الفرات بين الرقه و هيت يعد فى أعمال الجزيره. معجم البلدان.

۲- لرضوان ترجمه مطوله فى کتاب بغيه الطلب کنت قد نشرتها فى ملاحق کتابى- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه- ص ۳۸۷- ۳۹۶.

۳- لدقاق ترجمه فى تاريخ ابن عساکر، انظرها فى کتاب المدخل ص ۳۸۶.

۴- لجناح الدّوله حسين ترجمه فى بغيه الطلب کنت قد نشرتها فى ملاحق کتابى المدخل ص ۳۷۶- ۳۷۹.

الدّوله قد جعله مدبّرا له، و هو أتابكه فى حياته، و جعل دقاق مع أتابك ظهير الدين.

و لمّا افتتح ديار بكر سلّمها إلى ظهير الدّين، و شمس الملوک دقاق معه، و لم يزل بها إلى أن سار إلى الرّىّ فسارا معه.

و عاد دقاق إلى حلب فأقام بها مدّه يسيره، و راسله الأمير ساوتكين الخادم- و كان نائب تاج الدّوله بدمشق فى حفظ القلعه و البلد- [و قرّر] لدقاق مملكه دمشق سرّا، و خاف من أخيه رضوان(۱)، فخرج من حلب و هرب إلى دمشق من غير أن يعلم به أحد. و جدّ فى السّير، و تبعه رضوان، و أنفذ خلفه عدّه من الخيل ففاتهم، فدخل دمشق فسارع ساوتكين إلى طاعته، و صارت دمشق و بلادها بحكمه.

و قتل رضوان أخويه: أبا طالب و بهرام ابنى تتش، و كان أتابک طغتكين معتقلا عند السّلطان بركيارق، و قبض فى الوقعه فطلبوا منه كربوقا و الجماعه الذين معه، و كانوا فى يد رضوان فاتّفق رأيهم أن يسيروا عضب الدّوله أبق بن عبد الرّزّاق إلى رضوان لاستخلاص كربوقا.

و كان أبق أيضا من جمله من قبض عليه من الجماعه الذين كانوا مع تتش فخاطبوا السّلطان فى إطلاقه و تسييره فأجابهم إلى ذلک، و سيّره إلى حلب، فلمّا وصله أكرمه رضوان و أطلق كربوقا فى شعبان و سيّره مكرما.

---

۱- انظر لمزيد من التفاصيل ترجمه رضوان- المدخل ص ۳۹۱- ۳۹۵.

فأطلق بركيارق أتابک طغتكين(١) و جميع من كـان فی اعتقـاله من خواصّ تاج الـدّوله، و وصل دمشق فابتهـج دقاق بوصوله و قويت نفسه؛ و ألقى تدبير أموره إليه، فقام فيها أحسن قيام.

فاستأذن عضب الـدّوله الملـك رضـوان فی الوصـول إليه فـأذن له، و قرّر معه قرب العوده إلى حلب و ترک اقطـاعه بحلب على حاله، فوصل دمشق و اختار المقام بها، و كتب إلى أصحابه بعزاز يأمرهم بتسليمها إلى رضوان فسلّموها.

و لمّا وصـلت هذه الأخبار وثب أهل أفاميه على حصنها فأخذوه من الأتراک، و قتلوا بعضهم، و كان تاج الدّوله قد أخذه من ابن منقذ، و سار جماعه من أهلها إلى مصر يستدعون واليا من قبلهم [لميلهم](٢) إلى الإسماعيليه و نفورهم من التّرک.

و وصل خلف بن ملاعب فی سنه تسع و ثمانين و أربعمائه و تسلمها، و عاد إلى الفساد و قطع الطريق، و قتل خلقا من أفاميه.

و أمّا الملک رضوان فإنّه خرج فی سـنه ثمان و ثمانين من حلب، و معه جناح الدّوله حسين، و وصله يغی سيان و يوسف بن أبق من أنطاكيه بعسكرهما، و توجهوا إلى الرّها، و معهم رهائن أهلها ليتسلمها الملک رضوان من المقيمين فيها من أصحاب والده.

---

١- لطغتكين ترجمه قصيره فی تاريخ ابن عساكر، نشرتها فی ملاحق- المدخل ص ٤٠٨.

٢- أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامه السياق- أنظر ترجمه خلف بن ملاعب.

فلمّـا نزلوا الرّهـا أراد يغى سـيان و يوسف أن يقبضا جناح الـدّوله و يتفرّدا بتـدبير رضوان، فهرب منهما، و قطع الفرات، و وصـل حلـب، و تبعـه رضـوان، فـدخل حلـب، و هرب رهـائن الرّهـا من العسـكر و دخلوهـا، و عـاد يغى سـيان و يوسـف بن أبـق، و قد استوحش رضوان منهما.

و كتب رضوان إلى سكمان(١)- و اقطاعه سروج(٢)- يستدعيه إلى حلب لمعونته، فسار و قطع الفرات فلقيه يوسف بن أبق فى عدّه وافره فخافه سكمان، فأظهر موافقته و صار معه.

و خاف جناح الدّوله من اجتماعهم، و كان عقيب وصول رضوان من الرّها قد سيّر جماعه من عسكر حلب إلى معرّه النّعمان مع عضب الدّوله لأخذها من يغى سيان.

و كاتب وثّاب بن محمود فوصل ببنى كلاب لمساعدته على أخذ المعرّه، فأخرجوا ابن يغى سيان و أصحابه منها، و تسلّموها.

و عاد عضب الدّوله و وثّاب، فلمّا وصـلا حلب حدث ما ذكرناه من أمر سـكمان و يوسف بن أبق، فخرج جناح الدّوله بالعسـكر، فلقيه يوسف بالقرب من مرج دابق فهرب يوسف و نهبوا عسكره، و أعانهم على ذلك

---

١- سكمان بن ارتق. انظر المدخل ص ٣٨٨. و من المفيد مقارنه ما جاء هنا بما جاء فى الترجمه لوجود بعض التعارض.

٢- سروج بلده قريبه من حران من ديار مضر. معجم البلدان.

سكمان، و دخل يوسف أنطاكيه. و عاد جناح الدّوله و سكمان و وثّاب و أبق إلى حلب.

و أقطع الملك رضوان معرّه النّعمان سكمان بن أرتق و أعمالها، ثم سار رضوان و سكمان لقصد دمشق و انتزاعها من أخيه دقاق، و ترك جناح الدوله بحلب.

فلمّا نزلا دمشق، وصل إليهما أن دقاق قبض على نجم الدين إيلغازى ابن أرتق، و اعتقله لتهمه وقعت به، فعاد الملك رضوان إلى حلب، و سار سكمان إلى بيت المقدس و تسلّمها من نواب أخيه و أقام بها.

و راسل يوسف بن أبق الملك رضوان و استأذنه فى الوصول إلى خدمته فأذن له، و وصل حلب و سكنها.

ثم خاف رضوان و حسين منه فتقدّما إلى بركات بن فارس رئيس حلب المعروف بالمجن(۱) بقتله، فهجم عليه و أصحابه فقتلوه و نهبوا داره و أخذوا رأسه، و سيّروه إلى بزاعا و منبج، فتسلموها من أصحابه، و قبضوا على اقطار أخيه و أصحابهما؛ و هربوا من حلب، و كان الملك قد توهّم منه الارتداد عن الاسلام.

ثم أنّ رضوان و جناح الدّوله خرجا فى سنه تسع و ثمانين إلى تلّ باشر؛ و شيح الدّير(۲)، و فتحاها بالسّيف من أصحاب يغى سيان، و أغارا على

---

۱- المجن الفوعى، مقدم أحداث حلب. انظر المدخل ص ۳۸۸- ۳۹۲.

۲- انظر بغيه الطلب ص ۳۲۱- ۳۲۲، ۴۷۴.

أعمال أنطاكيه، و عادا إلى حلب، و سارا فى أول شهر رمضان منها إلى دمشق.

فسار يغى سيان منجدا لدقاق فضعفت نفس رضوان و لم يتمكن من العوده، فسار إلى بيت المقدس، فتبعه دقاق و طغتكين و يغى سيان و أقاموا متحابسين مده.

و أشرف عسكر رضوان على التّلف فانفصل عنه جناح الدّوله، و هرب على طريق البريه إلى حلب، و تبعه الملك رضوان بعد مدّه و حصلا بجميع العساكر بحلب.

و عاد دقاق و طغتكين إلى دمشق و يغى سيان إلى أنطاكيه. و عاد سكمان بن أرتق من القدس على البريّه حتّى وصل حلب على البريه فى المحرّم من سنه تسعين و أربعمائه.

و اجتمع بجناح الدّوله و اتفقا على قصد بلاد يغى سيان فخرج دقاق و طغتكين، فوصلا حماه و عاث العسكر فى بلدها و وصلهما يغى سيان، و ساروا إلى كفر طاب فى الثّانى من ربيع الأوّل، فقاتلوها، و نهبوها، و قرّروا على أهلها مالا.

و هرب أصحاب سكمان من المعرّه فتسلّمها يغى سيان و قرّر عليها مالا، و تنقّل العسكر فى الجزر(۱) و غيرها من أعمال حلب، فاستنجد رضوان

---

۱- الجزر كوره من كور حلب وقعت بينها و بين أنطاكيه. معجم البلدان.

بسلیمان بن إیلغازی صاحب سمیساط(۱) فوصل بعسکر کثیر إلی حلب.

و جمع رضوان من قدر علیه من التّرک و العرب و أحداث حلب، و نزل عسکر دقاق بقنّسرین.

و نزل عسکر حلب بحاضر قنّسرین فاتّفق الأمر علی أن یجتمعوا علی نهر قویق و یتحدّثوا، فاجتمعوا و تحدّثوا، و النهر بینهم؛ فلم یتّفق الصّلح، فقال یغی سیان لسکمان: «هؤلاء الملوک یقتتلون علی ملکهم، أنت یا بیّاع اللّبن دخولک معهم لأی صفه؟» قال: «غدا تبصر ایش أنا».

فأصبحوا و التقوا یوم الاثنین خامس شهر ربیع الآخر من سنه تسعین و أربعمائه فأبلی سکمان بلاء حسنا.

و لم تزل الحرب بینهم إلی آخر النهار، فانهزم یغی سیان إلی أنطاکیه، و دقاق و طغتکین إلی دمشق؛ و أسر فی الحرب اصباوه(۲)، فاعتقل بحلب ثم أطلق، فهرب إلی دمشق و لم یقتل من العسکر إلّاالقلیل.

و قتل الفلّاحون فی الطّریق وقت الهزیمه من الأرمن الذین کانوا مع یغی سیان جماعه کثیره، و تغیّرت نیّه الملک رضوان علی جناح الدّوله حسین

---

۱- سمیساط مدینه علی شاطی ء الفرات، هی الآن فی ترکیا. معجم البلدان- الأعلاق الخطیره- قسم الجزیره- ص ۸۰۱.

۲- من أمراء الترکمان وقاده جیوشهم و هو عند ابن الأثیر فی الکامل: ۸/ ۲۲۸« أصبهبذ صباوو».

فهرب من حلب إلى حمص، و خرج من حلب ليلا ـ و معه زوجته أمّ الملك رضوان؛ و أقام بحمص لأنها كانت في يده و حصّنها.

و وصل يغي سيان إلى حلب عقيب ذلك، و خدم رضوان، و دبّر أمره، و تزوّج رضوان ابنه يغي سيان خاتون جيجك(١).

و عوّل رضوان على قصد جناح الدّوله بحمص، و قصد دقاق بدمشق، و وصله رسول الأفضل(٢) من مصر يدعوه إلى طاعه المستعلي و إقامه الدّعوه له، و على يده هديّه ستيّه من مصر، و وعده بأن يمدّه بالعساكر و الأموال.

فتقدم بالدّعوه للمصريين على سائر منابر الشّام التي في يده، و دعا الخطيب أبو تراب حيدره بن أبي أسامه بحلب للمستعلي ثمّ للأفضل ثم لرضوان، في يوم الجمعه السّابع عشر من شهر رمضان من هذه السّنه.

و كان قد ولّى الخطابه أبا تراب و عزل جدّ أبي غانم أبا محمّد بن هبه اللّه بن أبي جراده عن القضاء و الخطابه بحلب، لأن توليته كانت على قاعده أبيه من بغداد في سنه ثمان و ثمانين و أربعمائه.

و كان أبوه القاضي أبو الفضل هبه اللّه قد مات في هذه السّنه المذكوره، و هو على القضاء و الإمامه بحلب.

---

١- انظر المدخل ص ٣٨٨.

٢- الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المتحكم بالخلافه الفاطميه. انظر المدخل ص ٣٩٢.

و ولی رضوان قضاء حلب فی سنه تسعین القاضی فضل اللّه الزّوزنی العجمی الحنفی، و سیّره رسولا إلی مصر، و ناب عنه فی القضاء حال غیبته أبو الفضل أحمد بن أبی أسامه الحلبی، و دامت الدّعوه بحلب إلی رجب من سنه اثنتین و تسعین و أربعمائه. و قیل: لم تدم أکثر من أربع جمع(۱).

و أعادها رضوان للإمام المستظهر ثم للسّلطان برکیارق ثمّ لنفسه، و لم یصحّ له مما التمسه من المصریین شی ء.

و أعاد القضاء و الخطابه إلی جدّ أبی أبی غانم علی قاعدته الأولی، فی سنه خمس و تسعین و أربعمائه، حین قتل الزّوزنیّ، و کان خرج من بین یدی رضوان، فقتل فی بعض الدّروب؛ و کان أزری علی الباطنیّه و علی معتقدهم فقیل إنّهم قتلوه.

و لما سار رضوان و یغی سیان وصلا إلی شیزر متوجّهین إلی حمص لقصد(۲) حمص، فتواصلت الأخبار بوصول خلق من الفرنج قاصدین أنطاکیه، فقال یغی سیان: «عودنا إلی أنطاکیه و لقآء الفرنج أولی»، و قال سکمان: «مسیرنا إلی دیار بکر و أخذها من المتغلّبین علیها و نتقوی بها، و أنزل أهلی بها و نعود إلی حمص أولی»؛ و اختلفوا.

فسار الملک رضوان نحو حلب جفلا و کان معه وزیره أبو النّجم بن بدیع أخو وزیر أبیه تتش أبی القاسم، و کان قد ولّاه وزارته حین ملک

---

۱- انظر تاریخ دمشق لابن القلانسی ص ۲۱۷.

۲- فی تاریخ دمشق لابن القلانسی ص ۲۱۷« لمعاوده النزول علی دمشق» و هو الأقوم.

حلب، فاتهماه أنه هو الذى يفسد حال رضوان، فطلع إلى حصن شيزر، و أقام به عند ابن منقذ خشيه من يغى سيان و سكمان، فلما سارا عن شيزر سار إلى حلب و لحق بالملك رضوان بها.

و لما عاد رضوان مغاضبا ليغى سيان و سكمان عاد(۱) و الأمراء من شيزر إلى أنطاكيه، و بلغهم نزول الفرنج البلّانه و نهبها(۲).

و لما دخل يغى سيان أنطاكيه أخرج ولديه شمس الدّوله و محمدا، فسار أحدهما إلى دقاق و طغتكين يستنجدهما، و بثّ كتبه إلى جناح الدّوله و وثاب بن محمود و بنى كلاب، و سار محمّد ابنه إلى التركمان و كربوقا و أمراء الشرق و ملوكه، و سارت كتبه إلى جميع أمراء المسلمين.

و فى ثامن شهر رمضان، وصل من قبرس إلى ميناء اللاذقيه اثنتان و عشرون قطعه فى البحر، فهجموه و أخذوا منه جميع ما كان للتجّار؛ و نهبوا اللّاذقيه، و عادوا، و وصلت الفرنج إلى الشّام، و اعتبروا عسكرهم فكانوا ثلاثمائه ألف و عشرين ألف إنسان، لأنّهم وصلوا من جهه الشمال.

و فى اليوم الثّانى من شوّال نزلت عساكر الفرنج على بغراس(۳) و أغاروا على أعمال أنطاكيه، فعند ذلك عصى من كان فى الحصون و المعاقل المجاوره لأنطاكيه، و قتلوا من كان بها، و هرب من هرب منها.

---

۱- الضمير يعود هنا إلى يغى سيان. انظر ابن القلانسى ص ۲۱۸.

۲- انظر ابن القلانسى ص ۲۱۸.

۳- بغراس: مدينه فى لحف جبل اللكام بينها و بين أنطاكيه أربعه فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكيه من حلب. معجم البلدان.

و فعل أهل أرتاح[۱] مثل ذلک و استدعوا المدد من الفرنج، و هذا کله لقبح سیره یغی سیان و ظلمه فی بلاده.

و نزل الفرنج علی أنطاکیه للیلتین بقیتا من شوال من سنه تسعین و أربعمائه.

و خرج فی المحرّم من سنه إحدی و تسعین و أربعمائه نحو ثلاثین ألفا من الفرنج إلی أعمال المسلمین ببلد حلب، فأفسدوا و نهبوا و قتلوا من وجدوا.

و کان قد وصل الملک دقاق و أتابک و معهما جناح الدّوله، و نزلوا أرض شیزر، و معهم ابن یغی سیان و هم سائرون لانجاد أبیه، فبلغهم خبر هذه السریّه، فساروا إلیها بقطعه من العسکر، فلقوهم فی أرض الباره[۲] فقتلوا منهم جماعه.

و عاد الفرنج إلی الروج[۳]، و عرجوا منه إلی معرّه مصرین[۴]، فقتلوا من وجدوا و کسروا منبرها، و حین عاد العسکر الدمشقی من الباره فارقهم ابن یغی سیان و وصل إلی حلب یستنجد بالملک رضوان، فأخذ عسکر حلب و سکمان، و دخل بهما إلی أنطاکیه فلقیهم من الفرنج دون عدّتهم، فانهزم

---

۱- أرتاح اسم حصن منیع کان من العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان.

۲- بلیده فی منطقه أریحا محافظه ادلب السوریه، کان بها حصن، ما زالت خرائبها شاهده علی عظمه ماضیها، انظر معجم البلدان و انظر الخبر أیضا عند ابن القلانسی ص ۲۱۹.

۳- الروج من کور حلب المشهوره فی غربیها. معجم البلدان.

۴- معره مصرین من قری محافظه ادلب و تتبع إداریا لها و تبعد عن ادلب مسافه ۱۰ کم.

عسكر المسلمين إلى حارم(۱) و ذلك فى آخر صفر، و تبعهم عسكر الفرنج إلى حارم فانهزموا إلى حلب، و غلب أهل حارم من الأرمن عليها.

و فى شهر ربيع الأول من السّنه وصل خلق من الأرمن إلى تل قبّاسين بناحيه الوادى فقتلوا من فيه، و خرج المسلمون الذين بالوادى و جماعه من الأتراك تبعوهم و قتلوا منهم جماعه، و التجأ الباقون إلى بعض الحصون الخربه، فأدركهم عسكر حلب فقاتلهم يومين، و أخذوهم فقتلوا بعضهم، و حمل الباقى أسرى إلى حلب فقتلوا، و كانوا يزيدون عن ألف و خمسمائه.

و لما نزل الفرنج- لعنهم اللّه- بأنطاكيه جعلوا بينهم و بين البلد خندقا لأجل غارات عسكر أنطاكيه عليهم و كثره الظّفر بهم، و لا يكاد يخرج عسكر أنطاكيه و يعود إلّا ظافرا.

و جعل يغى سيان النّاس على البعد و القرب، و كان حسن التّدبير فى سياسه العسكر.

و جمع كربوقا صاحب الموصل عسكرا عظيما، و قطع به الفرات، و وصل دقاق و طغتكين و جناح الدوله، و وصل سكمان بن أرتق، و فارق رضوان و سار مع دقاق.

و وصل وثّاب بن محمود و معه جماعه من العرب و وصلوا تل منس و قاتلوها لأنه بلغهم أنهم كاتبوا الفرنج و أطمعوهم فى الشّام، و قرّر عليهم

---

۱- حارم الآن من مناطق محافظه ادلب و تبعد عن ادلب مسافه ۵۳ كم.

دقاق مالا أخذ بعضه و رهائن على الباقى، و سيّرهم إلى دمشق.

و سار دقاق بالعساكر إلى مرج دابق، و اجتمع بكربوقا فيه فى آخر جمادى الآخره، و رحلوا منه نحو أنطاكيه.

فلما كان ليله الخميس أوّل ليله من رجب واطأ رجل يعرف بالزّرّاد من أهل أنطاكيه و غلمان له على برج كانوا يتولّون حفظه؛ و ذلك أن يغى سيان كان قد صادر هذا الزّرّاد و أخذ ماله و غلّته، فحمله الحنق على أن كاتب بيمند و قال له: «أنا فى البرج الفلانى، و أنا أسلّم إليك أنطاكيه إن أمنتنى و أعطيتنى كذا و كذا». فبذل له ما طلب، و كتم أمره عن باقى الفرنج.

و كان بعسكر الفرنج تسعه قوامص مقدّمين عليهم كندفرى، و أخوه القمص، و بيمند، و ابن اخته طنكريد و صنجيل و بغدوين و غيرهم، فجمعهم بيمند و قال لهم: «هذه أنطاكيه إن فتحناها لمن تكون؟» فاختلفوا، و كلّ طلبها لنفسه، فقال: «الصّواب أن يحاصرها كلّ رجل منا جمعه؛ فمن فتحت فى جمعته فهى له»، فرضوا بذلك.

فلما كانت نوبته دّلى لهم الزّرّاد- لعنه اللّه- حبلا فطلعوا من السّور، و تكاثروا، و رفع بعضهم بعضا و جاءوا إلى الحراس، فقتلوهم، و تسلّمه بيمند بن الانبرت(۱).

---

۱- معلومات ابن العديم هنا على درجه عاليه من الدقه، و الانبرت هو الامبراطور، أراد به والد بوهموند جويسكارد النورمندى، و هناك خلاف حول أصل و شخصيه الزراد. انظر وقارن وليم الصورى- تاريخ الحروب الصليبيه- ترجمتى- ط. بيروت ۱۹۹۰ ص ۲۷۹- ۳۳۲.

و طلع الفرنـج فى سـحره هـذه اللّيله إلى البلـد و صاح الصّائح من ناحيه الجبل، فتوهّم يغى سـيان أنّ القلعه قد أخذت فخرج من البلد فى جماعه منهزمين فلم يسلم منهم أحد.

و لمّا حصل بالقرب من أرمناز و معه خادم من غلمانه وقع عن ظهر فرسه، فحمله الخادم الـذى كان معه، و أركبه، فلم يثبت على ظهر الفرس، و عاد فسقط، و أدركه الأرمن؛ فهرب الخادم عنه، و قتله الأرمن و حملوا رأسه إلى الفرنج.

و استشـهد فى ذلـك اليوم بأنطـاكيه مـا يفوت الإحصـاء و يجـاوز العـدد، و نهبت الأـموال و الآلاـت و السّـلاح؛ و سبى من كان بأنطاكيه، و وصل هذا الخبر إلى عمّ و انّب(۱)، فهرب من كان بها من المسلمين و تسلمها الأرمن.

و بلغ الخبر إلى دقاق و كربوقا و من كان معهما، فرحلوا إلى أرتاح، و سار بعضـهم إلى جسـر الحديد(۲) و قتلوا من كان فيه من الفرنـج، و توجّهوا نحو أنطـاكيه، فعرفوا أنّ قلعتهـا بـاقيه فى أيـدى المسـلمين، فـأعلموا العسـاكر الإسـلاميه بـذلك، فوصـلوا إلى أنطاكيه سحره يوم الثلاثاء سادس رجب، فانهزم من كان بظاهر البلد من الفرنج إليها.

---

۱- إنب: حصن من أعمال عزاز من نواحى حلب. و عم قريه غناء بين حلب و أنطاكيه. معجم البلدان.

۲- انظر وليم الصورى ص ۳۳۳- ۳۳۶، و جسر الحديد كان مقاما على العاصى انظر خريطه أنطاكيه ص ۱۲۴ من وليم الصورى.

و نزل المسلمون بظاهرها ممّا يلى الجبل، و دخلوا البلد من ناحيه القلعه، و قاتلوا الفرنج فى جبل المدينه، و أشرف الفرنج على التّلف فبنوا سورا على بعض الجبل يمنع المسلمين من النزول إليهم، و أقاموا أيّاما، و عدم القوت عندهم.

و احتوى كربوقا على كثير ممّا كان فى قلعه أنطاكيه، و ولّى فيها أحمد بن مروان، و ترادفت رسل الملك رضوان فى أثناء ذلك إلى كربوقا، فتوهّم دقاق من ذلك، و خاف جناح الدّوله من أصحاب يوسف بن أبق و أخيه.

و جرت بين الأتراك و العرب الّذين مع وثّاب منافره عادوا لأجلها، و تفرّق كثير من التّركمان بتدبير الملك رضوان و رسالته.

و تخيّل بعض الأمراء من بعض ثم اجتمع رأيهم على التحوّل إلى المنازله فى السّهل بظاهر أنطاكيه، فنزلوا باب البحر، و جعل المسلمون بينهم و بين البلد خندقا.

و أكل الفرنج بأنطاكيه الميتات و الدّواب، فخرجوا من أنطاكيه يوم الاثنين السّادس و العشرين من شهر رجب.

فأشار وثّاب بن محمود أن يمنعوا من الخروج، و أشار بعض الأمراء أن لا يمكنوا من الخروج بأجمعهم و يقتلوا أوّلا فأوّلا، فلم يعرّج المسلمون على شى ء من ذلك لأنهم أيقنوا بالظّفر بالفرنج، و خرجوا بأجمعهم فى خلق عظيم.

و عاث التّركمان فى العسكر فانهزم، و توهّم الفرنج أن ذلك مكيده

فتوقفوا عن تبعهم، فكان ذلك سببا لسلامه من أراد اللّه سلامته؛ و لم يبق غير كربوقا و معه أكثر عسكره، فأحرق سرادقه و خيامه و انهزم نحو حلب.

و قتل من المطوعه و الغلمان و السّوقه خلق كثير، و لم يقتل مذكور، و نهب من المسلمين من الآلات و الخيام و الكراع و الغلّات ما لا يحصى، و من انقطع من العسكر نهبه الأرمن(١).

و عاد الفرنج إلى قلعه انطاكيه، و بها أحمد بن مروان، فراسله الفرنج و أمّنوه، و من كان معه، و سلّمها إليهم يوم الأحد الثّانى من شعبان من السّنه، و أنزلوه فى دار بأنطاكيه و أطلقوا أصحابه و سيّروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب؛ فخرج الأرمن فأخذوا بعضهم و قتلوا بعضهم، و لم يسلم منهم إلّا القليل.

و لمّا وصل كربوقا إلى حلب خرج إليه الملك رضوان، و حمل له خياما و غيرها، و رحل عنها، و عاد عسكر دمشق إليها و تفرّقت العساكر.

و بعد أيّام من هذه الوقعه خرج جماعه من الفرنج فى شعبان، و زحفوا مع أهل تلمنس و جميع نصارى بلد المعرّه على المعرّه و قاتلوها، فوصلت قطعه من عسكر حلب إليهم، فالتقوا بين تلّ منس و المعرّه، فانهزم الفرنج و بقى الرّجاله منهم، فقتل منهم زائدا عن ألف رجل، و حملت رؤوسهم إلى معرّه النّعمان.

---

١- انظر يوميات صاحب أعمال الفرنجه فى كتابى الحروب الصليبيه- ط. دمشق ١٩٨٤ ص ٢٣٩- ٢٦١. وليم الصورى ص ٣٣٧- ٣٦٤.

و فی هذه السّنه- و هی سنه إحدی و تسعین- فی جمادی الأولی عزل الملک رضوان وزیره أبا النجم هبه اللّه بن محمد بن بدیع؛ و ولّی وزارته أبا الفضل هبه اللّه بن عبد القاهر بن الموصول. و کان أبو الفضل حسن السّیره جوادا کثیر المعروف و الصّدقات، و وافق ذلک شده الغلاء و الجوع بحلب، حتّی أکلوا المیتات، فأخرج غلّه کثیره، و تصدّق بها علی النّاس.

و قیل: إنّه کان یخرج فی کل سنه صدقه و برّا ثلاثه آلاف مکوک غلّه سوی ما یطلقه لمن یسأله معونته من الوفود و الضّیوف، و غیر ما یطلقه من العین و الورق و غیر ما کان یعتمد من افتکاک الأسری من المسلمین.

و فیها قتل الملک رضوان رئیس حلب برکات بن فارس الفوعی المعروف بالمجنّ، و کان هذا المجن أوّلا من جمله اللّصوص الشّطّار و قطّاع الطّریق الذعّار فاستتابه قسیم الدّوله أق سنقر، و ولّاه رئاسه حلب لشهامته و کفایته و معرفته بالمفسدین، و کان فی حال اللّصوصیه یصلّی العشاء الآخره بالفوعه(۱)، و یسری إلی حلب و یسرق منها شیئا و یخرج، و یصلّی الفجر بالفوعه فاذا اتهم بالسّرقه أحضر من یشهد له أنّه صلّی العشاء بالفوعه و الصبح فیبرئونه.

و استمرّ علی رئاسه حلب فی أیّام قسیم الدّوله و أیّام تاج الدّوله و بعده فی أیّام رضوان، و امتدّت یده و حکم علی القضاه و الوزراء و من دونهم، و هو الّذی قتل الوزیر أبا نصر بن النّحاس فی أیام قسیم الدّوله.

---

۱- الفوعه الآن من قری محافظه ادلب و تبعد عنها مسافه ۱۳ کم.

و بلغنی أنه حنق علیه بسبب حصر أراد شراءها فاشتراها المجنّ، فشقّ علی أبی نصر، فسیّرها المجنّ إلیه، فردّها علیه أبو نصر، و تکلّم فی حقّه بکلام قبیح فحنق بسببها علی ابن النّحاس، فاعتقله بعد ذلک عنده و خنقه.

و کان کثیر السّعایه فی قتل النّفوس و سفک الدّماء و أخذ الأموال و ارتکاب الظّلم، فعصی علی الملک رضوان، ثم ضعف و اختفی بعد أن حصر رضوان فی قلعه حلب فی سنه تسعین و أربعمائه.

فأمر رضوان منادیا نادی بالقلعه بأن الملک قد ولّی رئاسه حلب صاعد بن بدیع فانقلب الأحداث عنه لبغضهم إیّاه، و مضوا إلی صاعد فاختفی المجنّ، ثم ظهر علیه فعجل اللّه المکافأه له علی قبیح فعله.

و سلّط علیه الملک رضوان فسجنه فی ذی القعده من سنه تسعین و عذّبه عذابا شدیدا بأنواع شتی، و أراد بذلک أن یستصفی ماله. فممّا عذّبه به أنّه أحمی الطست حتّی صار کالنّار، و وضعه علی رأسه، و نفخ فی دبره بکیر الحدّاد، و ثقب کعابه، و ضرب فیها الرّزز و الحلق.

و لمّا وضع النّجار المثقب علی کعبه قطع الجلد و اللّحم و لم یدر المثقب، فلطمه المجنّ و قال: «ویلک لا تعرف! أحضر خشبه، وضعها علی الکعب». فأحضر خشبه و وضعها علی کعبه، فدار المثقب و نزل و نزل، و ثقب الکعب.

فلما فرغ قيل له: «كيف تجد طعم الحديد؟» فقال: «قولوا للحديد كيف يجد طعمى»، و لم يقرّ المجنّ مع هذا كلّه بدرهم واحد، و لم يحصل للملك رضوان من ماله إلّا ما أقرّ به غلام أو جاريه؛ و ذلك شى ء يسير، و استغنى جماعه من أهل حلب من ماله.

و لما طال الأمر على رضوان أشير عليه بقتله، فأخرج إلى ظاهر باب الفرج من نحو الشّرق، و معه ابنان له شابان مقتبلا الشباب، فقتلا قبله؛ و هو ينظر إليهما و لا يتكلم.

ثم قتل بعد ذلك فى سنه إحدى و تسعين، و سلّمت رئاسه حلب إلى صاعد بن بديع، و لما قدم المجنّ للقتل صاح بصوت عال: «يا معشر أهل حلب، من كان لى عنده مال، فهو فى حلّ منه».

و كان ابن بديع من أولاد الدّيلم الّذين كانوا فى أيّام سيف الدّوله، و ولد أبوه بحلب.

و فى سنه إحدى و تسعين و أربعمائه عصى عمر والى عزاز على الملك رضوان فخرج عسكر حلب و حصره، فاستنجد بالفرنج، فوصل صنجيل بعسكر كبير، فعاد عسكر حلب فنهب صنجيل ما قدر عليه و عاد إلى أنطاكيه، و أخذ ابن عمر رهينه، فمات عنده، فوقع الملك رضوان على عمر إلى أن أخذه من تلّ هراق(۱) فسلّم إليه عزاز و أقام عنده بحلب مدّه، ثم قتله.

---

۱- انظر حوله الأعلاق الخطيره لابن شداد- قسم حلب- ط. دمشق ۱۹۹۱ ج ۲ ص ۶۴.

و خرج صنجيل فى ذى الحجّه، و حصر الباره فقل الماء فأخذها بالأمان، و غدر بأهلها، و عاقب الرّجال و النّساء، و استصفى أموالهم و سبى بعضا و قتل بعضا، ثم خرج بقيّه الفرنج من أنطاكيه و الأرمن الّذين فى طاعتهم و النّصارى، و انضموا إليه، و وصلوا إلى معرّه النّعمان لليلتين بقيتا من ذى الحجه فى مائه ألف.

و حصروا معرّه النّعمان فى سنه اثنتين و تسعين، و قطعوا الأشجار، و استغاث أهلها بالملك رضوان و جناح الدوله فلم ينجدهم أحد.

و عمل الفرنج برجا من خشب يحكم على السّور و زحفوا إلى البلد، و قاتلوه من جميع نواحيه حتى لصق البرج بالسّور فكشفوه و أسندوا السّلالم إلى السّور و ثبت النّاس فى الحرب من الفجر إلى صلاه المغرب، و قتل على السّور و تحته خلق كثير، و دخلوا البلد بعد المغرب ليله الأحد الرّابع و العشرين من محرّم سنه اثنتين و تسعين و أربعمائه.

و دخل عسكر الفرنج جميعه إلى البلد، و انهزم بعض الناس إلى دور حصينه، و طلبوا الأمان من الفرنج فأمّنوهم، و قطعوا على كل دار قطيعه، و اقتسموا الدّور، و هجموها و ناموا فيها، و جعلوا يهدّئون النّاس حتى أصبح الصبح، فاخترطوا سيوفهم، و مالوا على النّاس، و قتلوا منهم خلقا؛ و سبوا النّساء و الصّبيان.

و قتل فيها أكثر من عشرين ألف رجل و امرأه و صبّى، و لم يسلم إلّا القليل ممّن كان فى شيزر و غيرها من بنى سليمان و بنى أبى حصين

و غيرهم، و قتلوا تحت العقوبه جمعا كثيرا، فاستخرجوا ذخائر النّاس، و منعوا النّاس من الماء، و باعوا منهم فهلك أكثر النّاس من العطش، و ملكوها ثلاثه و ثلاثين يوما بعد الهجمه، و لم يبقوا ذخيره بها إلّا استخرجوها.

و هدموا سور البلد و أحرقوا مساجده و دوره و كسروا المنابر(۱). و عاد بيمند إلى أنطاكيه و قمص الرّها إليها، و فى هذه السّنه فتحوا بيت المقدس و فعلوا فيها كما فعلوا بالمعرّه(۲).

و فى سنه ثلاث و تسعين، وصل مبارك بن شبل أمير بنى كلاب فى جمع كثير من العرب فخالف الملك رضوان، و رعوا زرع المعرّه، و كفر طاب، و حماه، و شيزر، و الجسر، و غير ذلك.

و خلت البلاد، و وقع الغلاء فى بلد حلب، و لم يزرع شى ء فى بلدها، و سلّط اللّه الوباء على العرب، فمات شبل و مبارك ولده، و اضمحلت دوله العرب.

و توّجه الملك رضوان فى سلخ رجب من هذه السّنه إلى الأثارب و أقام عليها أيّاما، و توّجه إلى «كلّا» فى الخامس و العشرين من شعبان لإخراج الفرنج منها، فاجتمع من كان فى الجزر و زردنا و سرمين من الفرنج

---

۱- انظر الحروب الصليبيه ص ۲۶۸- ۲۷۱.

۲- انظر الحروب الصليبيه ص ۲۷۸- ۲۸۲.

و التقوا؛ فانهزم رضوان، و استبيح عسكره، و قتل خلق كثير و أسر قريب من خمسمائه نفس و فيهم بعض الأمراء(۱).

و عاد الفرنج إلى الجزر و أخذوا برج كفر طاب(۲) و برج الحاضر، و صار لهم من كفر طاب إلى الحاضر، و من حلب غربا سوى تلّ منس فإنّ أصحاب جناح الدّوله كانوا بها.

و سار رضوان عقيب هذه النّكبه إلى حمص مستنجدا بجناح الدّوله فأجابه، و عاد إلى حلب و معه جناح الدّوله، و قد عاد الفرنج إلى أنطاكيه، فأقام جناح الدّوله بظاهر حلب أيّاما، فلم يلتفت إليه رضوان فعاد عنه إلى حمص.

و تجمع الفرنج بالجزر و سرمين و أعمال حلب و جمعوا العدد و الغلال لحصار حلب، و عولوا على حصارها فی سنه خمس و تسعين، و قيل قبلها.

و وصل بيمند و طنكريد إلى قرب حلب فنزلوا المشرفه- من الجانب القبلى على نهر قويق- لما بلغهم من ضعف رضوان و تمزيق عسكره، و عزموا أن يبنوا مشهد الجفّ، و مشهد الدّكّه، و مشهد قرنبيا حصونا، و أن يقيموا على حلب و يستغلوا بلدها.

فأقاموا فی تدبير ذلک يوما أو يومين فبلغهم خروج أنوشتكين

---

۱- انظر المدخل ص ۳۹۲.

۲- تبعد خرائب كفرطاب عن خان شيخون- الى الغرب منها- قرابه ۳ كم.

الدّانشمند، و أنه قد نازل بعض معاقل الفرنج، و هى ملطيه فعادوا للدّفع عنها.

فخرج الدّانشمند فلقى بيمند و جمعا من الفرنج بأرض مرعش فأسره، و قتل عسكره، و لم يفلت منهم أحد، فخيّب اللّه ظنّ الفرنج، و هربوا من أعمال حلب، و تركوا جميع ما كانوا أعدّوه، فخرج رضوان و أخذ الغلال التى جمعوها، و نزل سرمين.

و سار جناح الدّوله إلى أسفونا و به جماعه من الفرنج فهجمه و قتل جميع من فيه، و سار إلى سرمين فكبس عسكر الملك رضوان و نهبه؛ و انهزم رضوان و أكثر عسكره و أسر الوزير أبا الفضل بن الموصول و جماعه و حملهم إلى حمص.

و طلب الحكيم المنجّم الباطنى فلم يظفر به، و كان هذا الحكيم قد أفسد ما بينه و بين رضوان و استمال رضوان إلى الباطنيه جدّا، و ظهر مذهبهم فى حلب، و شايعهم رضوان و حفظ جانبهم، و صار لهم بحلب الجاه العظيم و القدره الزّائده، و صارت لهم دار الدّعوه بحلب فى أيامه، و كاتبه الملوك فى أمرهم، فلم يلتفت و لم يرجع عنهم؛ فوصل هذا الحكيم حلب سالما فى جمله من سلم فى هذه الوقعه.

و استغلّ جناح الدّوله سرمين و معرّه النّعمان و كفر طاب و حماه، و فدى الوزير ابن الموصول نفسه من جناح الدوله بأربعه آلاف دينار، و فدى أصحاب الملك نفوسهم أيضا بمال حملوه إليه.

و لم یبق فی أیدی المسلمین فی سنه خمس و تسعین إلّا حصن بسرفوث(۱)- من عمل بنی علیم- و تسلم دقاق الرّحبه فی سنه ست و تسعین و أربعمائه، و کان المقیم بها زوج آمنه بنت قیماز(۲)، و کان قیماز من أصحاب کربوقا فمات، و کانت الرّحبه له، و کان جناح الدّوله قد خرج إلیها فوجد الأمر قد فات، فعاد و نزل النّقره و خرج إلیه رضوان إلی النقره و اصطلحا، و أخذه معه إلی ظاهر حلب، و ضرب له خیاما، و أقام فی ضیافته عشره أیام، و لم یصف قلب أحد منهما لصاحبه.

و سار جناح الدّوله إلی حمص فسیّر الحکیم المنجّم الباطنی ثلاثه أعجام من الباطنّیه فاغتالوه، و قد نزل یوم الجمعه الثانی و العشرین من شهر رجب، لصلاه الجمعه فقتلوه، و قتلوا بعض أصحابه و قتلوا، و قیل: إنّ ذلک کان بأمر رضوان و رضاه.

و بقی المنجّم الباطنی بعده أربعه و عشرین یوما و مات، و قام بعده بأمر الدّعوه الباطنیّه بحلب رفیقه أبو طاهر الصّائغ العجمیّ.

و وصل صنجیل الفرنجی و نزل حمص بعد قتل جناح الدّوله بثلاثه أیّام، فسیّرت زوجته خاتون أم الملک رضوان تستدعیه لتسلم إلیه حمص و یدفع الفرنج، فکره المقدّمون ذلک، و خافوا منه لسوء رأیه فیهم، و سیّروا

---

۱- انظر الأعلاق الخطیره- قسم حلب- ج ۲ ص ۱۳۸.

۲- انظر ابن القلانسی ص ۲۲۹.

إلى نواب دقاق إلى دمشق، و كان دقاق بالرّحبه فسار أيتكين الحلبى من دمشق و دخلها و طلع القلعه.

و وصل رضوان إلى القبّه(۱) فبلغه الخبر و عاد و رحل صنجيل عنها بعد أن قرّر عليهم مالا، و وصل دقاق فتسلّم حمص و أحسن إلى أهلها و نقل أهل جناح الدّوله و أولاده إلى دمشق، و سلم حمص إلى طغتكين.

و سار والى عزاز و أغار على الجومه- و هى من عمل أنطاكيه- فخرج عسكر أنطاكيه و عسكر الرّها فنزلوا المسلميّه(۲)، و قتلوا بعض أهلها، و قطعوا على عدّه مواضع قطائع أخذوها، و أقاموا ببلد حلب أياما، و راسلوا الملك رضوان.

و استقر الحال على سبعه آلاف دينار و عشره رؤوس من الخيل، و يطلقون الأسرى ما خلا من أسروه على المسلميه من الأمراء، و ذلك فى سنه ستّ و تسعين.

ثم خرج الفرنج من تلّ باشر، و أغاروا على بلد حلب الشمالى و الشّرقى، و أحرقوه، و تكرر ذلك منهم، و نزلوا على حصن بسرفوث، و فتحوه بالأمان، و وصلوا إلى كفرلاثا(۳)، فكبسهم بنو عليم فانهزموا إلى بسرفوث.

---

۱- قبه ابن ملاعب« و هى حصن دثر فى طرف بلد حلب، بينها و بين سلميه». معجم البلدان.

۲- المسلميه من قرى منطقه جبل سمعان فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۱۵ كم.

۳- بلده من نواحى حلب بينهما يوم واحد. معجم البلدان.

و وقع بین الفرنج و بین سکمان و جکرمش وقعه عظیمه استظهر فیها المسلمون، و هلک الفرنج، و أسر القمص، و غنم المسلمون غنیمه عظیمه(۱).

و کان الملک رضوان قد سار إلی الفرات ینتظر ما یکون من خبر الفرنج، فلما وصله الخبر أنفذ إلی الجزر و غیره من أعمال حلب الّتی فی أیدی الفرنج، فأمرهم بالقبض علی من عندهم من الفرنج، فوثب أهل الفوعه و سرمین، و معرّه مصرین و غیرها، ففعلوا ذلک.

و طلب بعض الفرنج الأمان من رضوان فأمّنهم من القتل، و حملهم أسری، و لم یبق بأیدی الفرنج غیر الجبل و «هاب»(۲)، و حصون المعرّه، و کفر طاب، و صوران(۳).

فوصل شمس الخواص و فتح صوران، فهرب من کان بلطمین و کفر طاب و بلد المعرّه و الباره إلی أنطاکیه، و سلّموها إلی رضوان و أصحابه ما خلا «هاب».

و استرجع رضوان بالس(۴) و الفایا ممن کان بهما من أصحاب جناح الدّوله

---

۱- لمزید من التفاصیل انظر ابن القلانسی ص ۲۳۲.

۲- هاب قلعه عظیمه من العواصم. معجم البلدان.

۳- ما تزال تحمل هذا الاسم تبعد عن حماه مسافه ۱۸ کم إلی الشمال منها.

۴- اسمها الآن مسکنه تبعد عن حلب مسافه ۹۰ کم. و الفایا کوره بین منبج و حلب. معجم البلدان.

و جرى بحماه خلف؛ و خافوا من شمس الخواص، فكاتبوا رضوان، و سلّموها إليه و سلميه، فأمنت أعمال حلب و تراجع أهلها إليها و قوى جأش رضوان.

و اتّصلت غارات عسكر حلب إلى بلد أنطاكيه، و عرف بيمند ضعفه عن حفظ البلد، و أنّه لم يفلت من وقعه سكمان إلا فى نفر قليل، و خاف من المسلمين فصار إلى بلاده فى البحر يستنجد بمن يخرج بهم إلى البلاد، و استخلف ابن أخته طنكريد يدبّر أمر أنطاكيه و الرّها(۱).

و مات الملك دقاق سنه سبع و تسعين فى رمضان، و أوصى بالملك لولد له صغير اسمه تتش(۲)، و جعل التدبير إلى أتابك طغتكين، فتوجّه الملك رضوان نحو دمشق، و حاصرها، و قرّر له الخطبه و السكّه، فلم تستتب أموره و عاد إلى حلب.

ثم إنّه خرج فى شهر رجب فى سنه ثمان و تسعين، و جمع خلقا كثيرا، و عزم على قصد طرابلس معونه لفخر الملك بن عمّار على الفرنج النّازلين عليه.

و كان الأرمن الذين فى حصن أرتاح قد سلّموه إلى الملك رضوان لجور الأفرنج، فخرج طنكريد من أنطاكيه لاستعاده أرتاح، و خرج جميع من فى

---

۱- أنطاكيه نعم أما الرها فكانت دويله قائمه بذاتها لها حاكمها.

۲- انظر ترجمه دقاق منتزعه من تاريخ دمشق لابن عساكر. المدخل ص ۳۸۶.

أعماله من الفرنج معه، و نزل عليها، فتوجّه نحوه رضوان فى عساكره و جموعه و جميع من أمكنه من عمل حلب و الأحداث.

فلمّا تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين فثبت راجل المسلمين و انهزمت الخيل، و وقع القتل فى الرجاله فلم يسلم منه إلّا من كتب اللّه سلامته، و وصل الفلّ إلى حلب، و قتل من المسلمين مقدار ثلاثه آلاف ما بين فارس و راجل، و هرب من بأرتاح من المسلمين.

و قصد الفرنج بلد حلب فأجفل أهله، و نهب من نهب و سبى من سبى، و ذلك فى الثالث من شعبان.

و اضطربت أحوال بلد حلب من ليلون إلى شيزر، و تبدّل الخوف بعد الأمن و السّكون، و هرب أهل الجزر و ليلون إلى حلب، فأدركهم خيل الفرنج فسبوا أكثرهم، و قتلوا جماعه.

و كانت هذه النّكبه على أعمال حلب أعظم من النّكبه الأولى على كلّا.

و نزل طنكريد على تلّ أعذى- من عمل ليلون- و أخذه و أخذ بقيّه الحصون الّتى فى عمل حلب. و لم يبق فى يد الملك رضوان من الأعمال القبليه إلّا حماه و من الغربيّه إلّا الأثارب، و الشّرقيه و الشّماليه فى يده، و هى غير آمنه.

و سيّر أبو طاهر الصّائغ الباطنى جماعه من الباطنيّه من أهل سرمين إلى خلف بن ملاعب بتدبير رجل يعرف بابن القنج السّرمينى، من دعاه الاسماعيليه، فقتلوه و وافقهم جماعه من أهل أفاميه، و نقبوا سور الحصن، و دخلوا منه، و طلع بعضهم إلى القلّه فأحسّ بهم، فخرج فطعنه أحدهم

بخشت(۱) فرمی بنفسه، فطعن أخری فمات؛ و نادوا بشعار الملک رضوان.

و وصل أبو طاهر الصّائغ إلی الحصن عقیب ذلک و أقام به، و سار طنکرید إلی أفامیه، فقطع علیها مالا أخذه، و عاد فوصله مصبح بن خلف بن ملاعب و بعض أصحابه، فأطمعوه فی أفامیه، فعاد و نزلها، و حاصرها فتسلّمها فی الثّالث عشر من محرّم من سنه خمسمائه بالأمان.

و قتل ابن القنج السّرمینی بالعقوبه، و لم یف لأبی طاهر الصّائغ بالأمان، و حمله معه أسیرا فاشتری نفسه بمال، و دخل حلب.

و فی سنه إحدی و خمسمائه، عصی ختلغ بقلعه عزاز، و استقرّ أن یسلّمها إلی طنکرید، و یعوّضه عنها موضعا غیرها، فسار رضوان إلیها فتسلم عزاز منه.

و بلغ رضوان، فی سنه إحدی و خمسمائه، ما ذکر به من مشایعه الباطنیّه، و أنّه لعن بذلک فی مجلس السّلطان محمّد بن ملکشاه، فأمر أبا الغنائم ابن أخی ابن القنج الباطنیّ الذی عمل فی قتل ابن ملاعب ما دبر الخروج من حلب فیمن معه، فانسلّ و خرج بجماعه من أصحابه بعد أن قتل أفراد منهم.

و فی سنه إحدی- و قیل: اثنتین- و خمسمائه اجتمع جاولی سقاوه و جوسلین الفرنجی، علی حرب طنکرید صاحب أنطاکیه؛ و استنجد

---

۱- الخشت من أنواع النبل أو الخناجر.

طنكريد بالملك رضوان، فأمدّه بعسكر حلب و التقوا، فقتل من الفرنج جماعه.

و وصل إلى جاولى من أخبره أنّ الفرنج يريدون الاجتماع عليه فمال على أصحابه من الفرنج و قتل فيهم، و هرب بعد أن قتلهم عن آخرهم و هلك جميع رجاله طنكريد و أكثر خيله.

و عاد إلى أنطاكيه و عاد عسكر حلب إلى رضوان، فتسلّم بالس من أصحاب جاولى، و خرج بيمند من بلاده و معه خلق عظيم، ثم عاد و توفى سنه أربع و خمسمائه، و كفى المسلمون شره.

و فى سنه ثلاث و خمسمائه، كاتب السّلطان الأمير سكمان القطبى صاحب أرمينيه و مودود صاحب الموصل، يأمرهما بالمسير إلى جهاد الفرنج، فجمعا و سارا، و وصل إليهما نجم الدّين إيلغازى بن أرتق فى خلق كثير من التّركمان، فرحلوا إلى الرّها فنزلوا عليها و أحدقوا بها فى شوّال من هذه السّنه.

فاتّفق الفرنج كلّهم، و أزالوا ما كان بينهم من الشّحناء، و كان المسلمون فى جمع عظيم، فتصافى طنكريد و بغدوين و ابن صنجيل بعد النّفار، و قصدوا إنجاد من بها من الفرنج، و أحجموا عن العبور إلى الجانب الجزرى لكثره من به من عساكر المسلمين.

فاندفع المسلمون عن الرّها إلى حرّان ليعبر الفرنج و يتمكنوا منهم، و وصلهم عسكر دمشق.

فحين عبر الفرنج و بلغهم خبر المسلمين عادوا ناكصين على الأعقاب إلى شاطى ء الفرات، فنهض المسلمون فى أثرهم، و أدركتهم خيول الإسلام، و قد عبر الأجلاد منهم، فغنم المسلمون جلّ سوادهم و أكثر أثقالهم، و استباحوهم قتلا و أسرا و تغريقا فى الماء، و أقام المسلمون بإزائهم على الفرات.

و لما عرف الملك رضوان هزيمه الفرنج عن الرّها خرج ليتسلّم أعمال حلب الّتى كانت فى أيدى الفرنج، و قاتل ما امتنع عليه منها، و أغار على بلد أنطاكيه و غنم منها ما يجلّ قدره، و كان بينه و بينهم مهادنه نقضها.

و كاتب الفرنج رضوان يوهنون رأيه فى نقض الهدنه، فلمّا تحقّق سلامه طنكريد و عوده رجع إلى حلب.

و عاد الفرنج من الفرات فقصدوا بلد حلب من شرقيّها، فقتلوا من وجدوا، و سبوا أهل النّقره، و أخذوا ما قدروا عليه من المواشى.

و هرب النّاس نحو بالس، و عاد طنكريد، فنزل على الأثارب(۱)، و طيّب قلوب الفلّاحين من المسلمين، و أمّنهم، و نصب على الأثارب المناجيق و كبشا عظيما ينطح به شرفات الأسوار فيلقيها، فخرب أسوارها و كان يسمع نطحه من مسيره نصف فرسخ،

و بذل رضوان لطنكريد فى الموضع عشرين ألف دينار على أن يرحل فامتنع، و قال: «قد خسرت ثلاثين ألف دينار، فان دفعتموها إلىّ و أطلقتم

---

۱- الأثارب من قرى محافظه حلب- منطقه جبل سمعان.

كلّ عبد بحلب منذ ملكت أنطاكيه فأنا أرحل». فاستعظم ذلك و اتّكل على الحوادث.

و كان الّذى بقى فى القلعه مقدار مائه دينار، و أخذها الخازن على وسطه، و هرب إلى الفرنج، و هرب جماعه أخر من المسلمين إليهم فكتبوا إلى الملك رضوان كتابا على جناح طائر يخبرونه بما تجدّد من قوّه الحصار و قلّه النفقه و قتل الرّجال، و أرسلوا الطّائر فسقط فى عسكر الفرنج، فرماه أحدهم بنشّابه فقتله.

و حمل الكتاب إلى طنكريد، ففرح و قويت نفسه، و بذل رضوان المال المطلوب له على أن يكون أقساطا و يضع عليه رهائن فلم يفعل، و يئس من فى الأثارب من نجده تصل إليهم فسلّموها إلى طنكريد فى جمادى الآخره منها، و أمن أهلها و خرجوا منها.

ثم صالح رضوان على عشرين ألف دينار و عشره رؤوس من الخيل، و قبضها و عاد إلى أنطاكيه.

ثم عاد و خرج إلى الأثارب، و قد أدركت الغلّه، و ضعفت حلب بأخذ الأثارب ضعفا عظيما، و طلب من حلب المقاطعه التى قررها على حلب و أسرى من الأرمن كان رضوان أخذهم وقت إغارته على بلد أنطاكيه، و الفرنج على الفرات، فأعادهم إليه، و طلب بعض خيل الملك رضوان فأعطاه، و طلب حرم الفلّاحين المسلمين من الأثارب، و كانوا وقت نزول طنكريد على الأثارب حصلوا بحرمهم فى حلب فأخرجهنّ إليه.

و ضاق الأمر بأهل حلب، و مضى بعضهم إلى بغداد و استغاثوا فى أيام الجمع، و منعوا الخطباء من الخطبه مستصرخين بالعساكر الإسلاميه على الفرنج.

و قلّت المغلّات فى بلد حلب، فباع الملك رضوان فى يوم واحد ستّين خربه من بلد حلب لأهلها بالثّمن البخس، و طلب بذلك استمالتهم، و أن يلتزموا بالمقام بها بسبب أملاكهم، و هى ستّون خربه معروفه فى دواوين حلب إلى يومنا هذا، غير ما باعه فى غير ذلك اليوم من الأملاك(١).

و لذلك يقال ان بيع الملك من أصحّ أملاك الحلبيين لأنّ المصلحه فى بيعها كانت ظاهره لاحتياج بيت المال إلى ثمنها، و لعماره حلب ببقاء أهلها فيها بسبب أملاكهم.

و لما استصرخ الحلبيّون العساكر الاسلاميه ببغداد و كسروا المنابر، جهّز السّلطان العساكر للذبّ عنهم، فكان أوّل من وصل مودود صاحب الموصل بعسكره إلى شبختان؛ ففتح تلّ قراد(٢) و عدّه حصون.

و وصل أحمديل الكرديّ فى عسكر ضخم و سكمان القطبى، و عبروا إلى الشّام فنزلوا تلّ باشر، و حصروها حتى أشرفت على الأخذ، و كان طنكريد قد أخذ حصن بكسرائيل(٣)، و توجّه مغيرا على بلد شيّزر و نازلها.

---

١- أملاك بيت المال. المدخل ص ۳۸۹.

٢- تل قراد حصن فى بلاد الأرمن قرب شبختان. معجم البلدان.

٣- غير اسمه الآن إلى بنى قحطان، كان يقع أمام جبله. معجم البلدان.

و شرع فی عماره تلّ ابن معشر(۱) و ضرب اللّبن و حفر الجباب لیودع بها الغلّه، فلما بلغه نزول عساکر السّلطان محمّد علی تلّ باشر رحل عنها. و أمّا العساکر الإسلامیه النازله علی تلّ باشر فانّ سکمان مات علیها- و قیل: بعد الرّحیل عنها- و أشرف المسلمون علی أخذها فتطارح جوسلین الفرنجی صاحبها علی أحمدیل الکردی و حمل إلیه مالا، و طلب منه رحیل العسکر عنه فأجابه إلی ذلک.

و کتب الملک رضوان إلی مودود و أحمدیل و غیرهما: «إننی قد تلفت و أرید الخروج من حلب، فبادروا إلی الرّحیل»، فحسّن لهم أحمدیل الرّحیل عنها بعد أن أشرفوا علی أخذها، و رحلوا إلی حلب، فأغلق رضوان أبواب حلب فی وجوههم، و أخذ إلی القلعه رهائن عنده من أهلها لئلّا یسلّموها.

و رتّب قوما من الجند و الباطنیه الّذین فی خدمته لحفظ السّور و منع الحلبیین من الصّعود الیه، و بقیت أبواب حلب مغلقه سبع عشره لیله.

و أقام النّاس ثلاث لیال ما یجدون شیئا یقتاتون به، فکثرت اللّصوص من الضّعفاء، و خاف الأعیان علی أنفسهم.

و ساء تدبیر الملک رضوان فأطلق العوامّ ألسنتهم بالسبّ له و تعییبه، و تحدثوا بذلک فیما بینهم، فاشتد خوفه من الرعیه ان یسلموا البلد، و ترک الرّکوب بینهم.

---

۱- هو العشارنه فی محافظه حماه فی منطقه الغاب.

و ضبر(۱) انسان من السّور فأمر به فضربت عنقه، و نزع رجل ثوبه و رماه إلى آخر فأمر به فألقى من السّور إلى أسفل، فعاث العسكر فيما بقى سالما ببلد حلب بعد نهب الفرنج له و سبيهم أهله.

و بثّ رضوان الحراميّه تتخطّف من ينفرد من العساكر فيأخذونه، فرحلوا إلى معرّه النّعمان فى آخر صفر من سنه خمس و خمسمائه، و أقاموا عليها أياما و وجدوا حولها ما ملأ صدورهم ممّا يحتاجون إليه من الغلّات و ما عجزوا عن حمله.

و كان أتابك طغتكين قد حصل معهم، فراسل رضوان بعضهم حتى أفسد ما بينه و بينهم، فظهر لأتابك منهم الوحشه، فصار فى جمله مودود صاحب الموصل، و ثبت له مودود، و وفى له.

و حمل لهم أتابك هدايا و تحفا من متاع مصر، و عرض عليهم المسير إلى طرابلس و المعونه لهم بالأموال، فلم يعرجوا؛ و سار أحمديل و برسق بن برسق و عسكر سكمان نحو الفرات، و بقى مودود مع أتابك، فرحلا من المعرّه إلى العاصى فنزلا على الجلالى.

فنزل الفرنج أفاميه: بغدوين و طنكريد و ابن صنجيل، و ساروا لقصد المسلمين، فخرج أبو العساكر بن منقذ من شيزر بعسكره و أهله؛ و اجتمعوا بمودود و أتابك و ساروا إليهم.

---

۱- أى قفز.

و نزلوا قبلی شیزر و الفرنج شمالیّ تلّ ابن معشر، و دارت خیول المسلمین حولهم و منعوهم الماء، و الأتراک حول الشرائع بالقسی تمنعهم الورد، فأصبحوا هاربین سائرین، یحمی بعضهم بعضا.

و وصل إلی حلب فی هذه السّنه فی شهر ربیع الأوّل من سنه خمس و خمسمائه، رجل فقیه تاجر کبیر یقال له أبو حرب عیسی بن زید بن محمد الخجندی، و معه خمسمائه جمل علیها أصناف التجارات، و کان شدیدا علی الباطنیّه أنفق أموالا جلیله علی من یقاتلهم، و کان قد صحبه من خراسان باطنیّ یقال له أحمد بن نصر الرّازی و کان أخوه قد قتله رجال الخجندی.

فدخل أحمد إلی حلب، و مضی(۱) إلی أبی طاهر الصّائغ العجمی رئیس الباطنیّه بحلب، و کان متمکّنا من رضوان، فصعد إلی رضوان، و أطمعه فی مال الفقیه أبی حرب، و أراه أنّه بری ء من التّهمه فی بابه، إذ هو معروف بعداوه الباطنیّه.

فطمع رضوان فی ماله و طار فرحا، و بعث غلمانا له یتوکّلوا به، و سیّر أبو طاهر الباطنیّ معه جماعه من أصحابه، فبینا أبو حرب الخجندی فی غلمان له یستعرض أحماله و حوله جماعه من ممالیکه و خدمه إذ هجم علیه أحمد بن نصر الرّازی فی جماعه من أصحاب أبی طاهر الباطنیّ، فقال لغلمانه: «ألیس هذا رفیقنا؟» فقالوا: «هو هو». فوقعوا علیه فقتلوه.

---

۱- فی ترجمه رضوان- المدخل ص ۳۹۰:« و استدل علی أبی الفتح الصائغ رئیس الملاحده بها».

و قتل الجماعه الّذين معه من أصحاب أبى طاهر الباطنىّ العجمى بأسرهم، ثم قال أبو حرب: «الغياث باللّه من هذا الباطنىّ الغادر، أمنّا المخاوف و رآنا إلى أن جئنا إلى الأمنه، فبعث علينا من يقتلنا».

فأخبر رضوان بذلك فأبلس، و صار السّنه و الشيعه إلى هذا الرجل، و أظهروا إنكار ما تمّ عليه. و عبث أحداثهم بجماعه من أحداث الباطنيّه فقتلوهم، و لم يتجاسر رضوان على إنكار ذلك.

و كاتب الفقيه أبو حرب أتابك طغتكين و غيره من ملوك الاسلام فتوافت رسلهم إلى رضوان ينكرون عليه، فأنكر و حلف أنه لم يكن له فى هذا الرجل نيّه.

و خرج الرّجل عن حلب مع الرّسل فعاد إلى بلده، و مكث الناس يتحدّثون بما جرى على الرجل و نقص فى أعين الناس، فتوثّبوا على الباطنيّه من ذلك اليوم.

ثم إنّ رضوان حين ضعف أمره بحلب رأى أن يستميل طغتكين أتابك إليه و يستصلحه، فاستدعاه إلى حلب عندما أراد أن ينزل طنكريد على قلعه عزاز، و بذل له رضوان مقاطعه حلب عشرين ألف دينار و خيلا و غير ذلك، فامتنع طنكريد من ذلك، فوصل طغتكين أتابك، و تعاهدا على مساعده كلّ منهما لصاحبه بالمال و الرّجال.

و استقرّ الأمر على أن أقام طغتكين الدّعوه و السكّه لرضوان بدمشق، فلم يظهر منه بعد ذلك الوفاء بما تعاهدا عليه.

و مات طنكريد فى سنه ستّ و خمسمائه، و استخلف ابن اخته روجار و أدّى إليه رضوان ما كان يأخذه منه طنكريد و هو عشره آلاف دينار.

و وصل مودود إلى الشّام، و اتفق مع طغتكين على الجهاد، و طلب نجده من الملك رضوان فتأخّرت إلى أن اتّفق للمسلمين وقعه استظهروا فيها على الفرنج، و وصل عقيبها نجده للمسلمين من رضوان، دون المائه فارس، و خالف فيما كان قرّره و وعد به، فأنكر أتابك ذلك، و تقدّم بابطال الدّعوه و السكّه باسم رضوان من دمشق فى أوّل ربيع الأوّل من سنه سبع و خمسمائه.

و كان رضوان يحب المال، و لا تسمح نفسه باخراجه حتّى كان أمراؤه و كتّابه ينبزونه بأبى حبّه، و هو الّذى أفسد أحواله و أضعف أمره.

و مرض رضوان بحلب مرضا حادّا و توفى فى الثّامن و العشرين من جمادى الآخره سنه سبع و خمسمائه، و دفن بمشهد الملك، فاضّطرب أمر حلب لوفاته و تأسّف أصحابه لفقده، و قيل: إنّه خلّف فى خزانته من العين و الآلات و العروض و الأوانى ما يبلغ مقداره ستّمائه ألف دينار.

و ملك حلب بعده ابنه ألب أرسلان، و يعرف بالأخرس، و عمره ستّ عشره سنه، و أمّه بنت يغى سيان صاحب أنطاكيه، و كان فى كلامه حبسه و تمتمه فلذلك عرف بالأخرس، و كان متهورا قليل العقل، و وضع عن أهل حلب ما كان والده جدّده عليهم من الرّسوم و المكوس.

و قبض على أخويه ملك شاه و مبارك، و كان مبارك من جاريه و ملك

شاه من أمّه، فقتلهما، و كـذلك فعل أبوه رضوان بأخويه؛ فانظر إلى هـذه المقابله العجيبه، و قبض جماعه من خواصّ والده فقتل بعضهم، و أخذ أموال الآخرين.

و كـان المتولّى لتـدبير أموره خـادم لأبيه يقال له لؤلؤ اليايا، و هو الـذى أنشأ خانكاه(۱) البلاط بحلب، و كـان قبل وصوله إلى رضوان خادما لتاج الرّؤساء ابن الخلّال، فدبر أسوأ تدبير مع سوء تدبيره فى نفسه.

و كـان أمر البـاطنيّه قـد قوى بحلب فى أيّام أبيه، و تـابعهم خلق كثير على مـذهبهم طلبا لجاههم، و صار كلّ من أراد أن يحمى نفسه من قتل أو ضيم التجأ إليهم.

و كـان حسـام الـدّين بن دملاج وقت وفاه رضوان بحلب، فصاروا معه، و صار ابراهيم العجمى الـدّاعى من نوّابه فى حفظ القليعه بظاهر بالس.

فكتب السّلطان محمّد بن ملك شاه إلى ألب أرسلان و قال له: «كـان والـدك يخالفنى فى الباطنيّه، و أنت ولـدى فأحبّ أن تقتلهم».

و شـرع الرّئيس ابن بـديع متقـدّم الأحـداث فى الحديث مع ألب أرسلان فى أمرهم، و قرّر الأمر معه على الإيقاع بهم، و النكايه فيهم، فساعده على ذلك.

---

۱- بقاياها فى سوق الصابون بحلب. انظر الآثار الإسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ۲۵۱- ۲۵۳.

فقبض على أبى طاهر الصائغ و قتله، و قتل اسماعيل الدّاعى و أخا الحكيم المنجّم و الأعيان من أهل هذا المذهب بحلب، و قبض على زهاء مائتى نفس منهم.

و حبس بعضهم و استصفى أموالهم، و شفع فى بعضهم فمنهم من أطلق و منهم من رمى من أعلى القلعه، و منهم من قتل. و أفلت جماعه منهم فتفرّقوا فى البلاد، و هرب إبراهيم الدّاعى من القليعه إلى شيزر، و خرج حسام الدين بن دملاج عند القبض عليهم فمات فى الرقه.

و طلب الفرنج من ألب أرسلان المقاطعه التى لهم بحلب، فدفعها إليهم من ماله، و لم يكلّف أحدا من أهل حلب شيئا منها.

ثمّ إنّ ألب أرسلان رأى أن المملكه تحتاج إلى من يدبّرها أحسن تدبير، و أشار خدمه و أصحابه عليه بأن كاتب أتابک طغتكين أمير دمشق، و رغب فى استعطافه، و سأله الوصول إليه ليدبر حلب و العسكر، و ينظر فى مصالح دولته، فأجابه إلى ذلک، و رأى موافقته لكونه صبيا لا يخافه الكفّار و لا رأى له، فدعا له على منبر دمشق بعد الدّعوه للسّلطان و ضربت السّكه باسمه، و ذلک فى شهر رمضان.

و أوجبت الصّوره أن يخرج ألب أرسلان بنفسه فى خواصّه، و قصد أتابک إلى دمشق ليجتمع معه، و يؤكد الأمر بينه و بينه، فلقيه أتابک على مرحلتين، و أكرمه و وصل معه و أنزله بقلعه دمشق.

و بالغ فى إكرامه و خدمته و الوقوف على رأسه، و حمل إليه دست ذهب

و طيرا مرصّعا و عدّه قطع ثمينه، و عدّه من الخيل، و أكرم من كان فى صحبته(۱).

و أقام بدمشق أيّاما و سار فى أوّل شوّال عائدا إلى حلب، و معه أتابک و عسكره، فأقام عنده أياما و استخلص كمشتكين البعلبكى مقدّم عسكره، و كان قد أشار عليه بعض أصحابه بقبضه، و قبض جماعه من أعيان عسكره و قبض الوزير أبى الفضل بن الموصول، ففعل ذلک؛ فاستوهب أتابک منه كمشتكين فوهبه إيّاه.

و قبض على رئيس حلب صاعد بن بديع، و كان وجيها عند أبيه رضوان، فصادره بعد التّضييق عليه حتى ضرب نفسه فى السجن بسكين ليقتل نفسه، ثمّ أطلقه بعد أن قرّر عليه مالا، و أخرجه و أهله من حلب، فتوجّه إلى مالک بن سالم إلى قلعه جعبر.

و سلّم رئاسه حلب إلى ابراهيم الفراتى، فتمكّن و لقّب و نوّه باسمه، و إليه تنسب عرصه ابن الفراتى بالقرب من باب العراق بحلب، ثمّ رأى أتابک من سوء السيره و فساد التدّبير مع التقصير فى حقّه و الاعراض عن مشورته ما أنكره، فعاد من حلب إلى دمشق، و خرجت معه أمّ الملک رضوان هربا منه.

و ساءت سيره ألب أرسلان، و انهمک فى المعاصى و اغتصاب الحرم

---

۱- انظر تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ۳۰۲- ۳۰۳. ترجمه ألب أرسلان المنتزعه من بغيه الطلب- فى ملاحق الجزء الأول من المدخل ص ۲۹۴- ۲۹۷.

و القتل(١)، و بلغنا أنّه خرج يوما إلى عين المباركه متنزها، و أخذ معه أربعين جاريه، و نصب خيمه، و وطئهنّ كلّهن.

و استولى لؤلؤ اليايا على الأمر، فصادر جماعه من المتصرّفين، و أعاد الوزاره إلى أبى الفضل بن الموصول، و جمع ألب أرسلان جماعه من الأمراء، و أدخلهم إلى موضع بالقلعه شبيه بالسّرداب لينظروه، فلمّا دخلوا اليه قال لهم: «ايش تقولون فى من يضرب رقابكم كلكم ههنا؟» فقالوا: «نحن مماليكك و بحكمك». و أخذوا ذلك منه بطريق المزاح، و تضرّعوا له حتى أخرجهم.

و كان فيهم مالك بن سالم صاحب قلعه جعبر فلمّا نزل سار عن حلب و تركها خوفا على نفسه.

و خاف منه لؤلؤ اليايا فقتله بفراشه بالمركز بقلعه حلب، فى شهر ربيع الآخر من سنه ثمان و خمسمائه، و ساعده على ذلك قراجا التركى و غيره.

و لزم لؤلؤ اليايا قلعه حلب و شمس الخواصّ فى العسكر، و نصب لؤلؤ أخا له صغيرا عمره ست سنين، و اسمه سلطان شاه بن رضوان، و تولّى لؤلؤ تدبير مملكته، و جرى على قاعدته فى سوء التّدبير.

و كاتب لؤلؤ و مقدّمو حلب أتابك طغتكين و غيره يستدعونهم إلى حلب لدفع الفرنج عنها، فلم يجب أحد منهم إلى ذلك.

---

١- الذى أبلغ ابن العديم هذا هو بدران بن حسين بن مالك بن سالم العقيلى. المدخل ص ٢٩٥.

و من العجائب أن يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها، و لا يمكنه ذبّ الفرنج عنها، و كان السبب فى ذلك أنّ المقدّمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه.

و قلّ الربيع ببلد حلب لاستيلاء الفرنج على أكثر بلدها و الخوف على باقيه، و قلّت الأموال و احتيج إليها لصرفها إلى الجند، فباع لؤلؤ قرى كثيره من بلد حلب، و كان المتولّى بيعها القاضى أبا غانم محمّد بن هبه اللّه بن أبى جراده قاضى حلب، و لؤلؤ يتولّى صرف أثمانها فى مصالح القلعه و الجند و البلد.

و قبض لؤلؤ على الوزير أبى الفضل بن الموصول، و استأصل ماله، و سار إلى القلعه فأقام عند مالك بن سالم، و استوزر أبا الرّجاء بن السّرطان الرحبى مدّه، ثم صادره و ضربه، و طلب أبا الفضل بن الموصول فأعاده إلى الوزاره بحلب.

و جاءت زلزله عظيمه ليله الأحد ثامن و عشرين من جمادى الآخره من سنه ثمان بحلب و حرّان و أنطاكيه و مرعش و الثّغور الشاميه، و سقط برج باب أنطاكيه الشّمالى و بعض دور العقبه و قتلت جماعه.

و خربت قلعه عزاز، و هرب واليها إلى حلب، و كان بينه و بين لؤلؤ مواحشه، فحين وصل إلى حلب قتله و أنفذ إليها من تداركها بالعماره و التّرميم، و خرب شى ء يسير فى قلعه حلب، و خرب أكثر قلعه الأثارب و زردنا.

و قيل: إنّ مؤذن مسجد عزاز كان حارسا بالقلعه، فحرس و نام على برج المسجد بالقلعه، فلما جاءت الزّلزله ألقته على كتف الخندق و هو نائم لم يعلم بها، فاجتاز به جماعه فظنّوه ميّتا، فأخذوا عنه اللّحاف فانتبه و سألهم فأخبروه بما جرى.

و صار شمس الخواصّ مقدّم عسكر حلب، و متولّى أقطاع الجند، و كانت سيرته إذ ذاك صالحه، و كان لؤلؤ فى أوّل أمره مقيما بقلعه حلب لا ينزل منها و يدبّر الأمور، فكتب إلى السّلطان على سبيل المغالطه يبذل له تسليم حلب و الخزائن التى خلّفها رضوان و ولده ألب أرسلان، و يطلب إنفاذ العساكر إليه.

فوصل برسق بن برسق مقدّم الجيوش و منكوبرس(۱) و غيرهم من أمراء السّلطان فى سنه تسع و خمسمائه، فتغيّرت نيّه لؤلؤ الخادم عمّا كان كتب به إلى السّلطان، و كتب إلى أتابك طغتكين يستصرخه و يستنجده، و وعده تسليم حلب اليه، و أن يعوّضه طغتكين من أعمال دمشق، فبادر إلى ذلك(۲).

و وصل حلب، و العساكر السّلطانيّه ببالس متوجّهين إلى حلب فرحلوا

---

۱- كذا بالأصل و جاء فى الكامل لابن الأثير ج ۸ ص ۲۷۱:« برسق بن برسق صاحب همذان و معه الأمير جيوش بك و الأمير كنتغدى».

۲- لم يذكر ابن القلانسى هذا الخبر لكن أكده ابن الأثير ج ۸ ص ۲۷۱ مع المزيد من التفاصيل الهامه.

منها إلى المعرّه، و وصلهم الخبر أنّ ذلک اليوم وصل أتابک إلى حلب فأعرضوا عن حلب، و ساروا إلى حماه فتسلّموها.

و تسلّموا رفنيه(۱) من أولاد على كرد، و سلّموها إلى خير خان بن قراجا، فخاف طغتكين من عساكر السلطان أن يقصد دمشق، فأخذ عسكر حلب، و شمس الخواص، و ايلغازى بن أرتق، و استنجد بصاحب أنطاكيه روجار و غيره من ملوک الفرنج و نزلوا أجمعين أفاميه.

و نزلت العساكر السّلطانيه أرض شيزر، و جعل أتابک يريّث الفرنج عن اللّقاء خوفا من الفرنج أن يكسروا العساكر السّلطانيه فيأخذوا الشّام جميعه، أو ينكسروا فتستولى العساكر السّلطانيه على ما فى يده.

و خاف الفرنج و ضاقت صدور أمراء عسكر السّلطان من المصابره، فرحلوا و نزلوا حصن الأكراد و أشرف على الأخذ، فاتّفق أتابک و الفرنج على عود كلّ قوم إلى بلادهم، ففعلوا ذلک.

و توّجه أتابک إلى دمشق، و عاد عسكر حلب و شمس الخواص إلى حلب، فقبض عليه لؤلؤ الخادم و اعتقله فعادت عساكر السّلطان حينئذ عن حصن الأكراد، و ساروا إلى كفر طاب، و حصروا حصنا كان الفرنج عمروه بجامعها و أحكموه، فأخذوه و قتلوا من فيه، و رحلوا إلى معرّه النّعمان.

---

۱- ما تزال بقايا رفنيه قائمه قرب بلده بعرين( بارين) على الطريق الذى يصل مصياف بحمص، هذا و ما أورده كل من ابن القلانسى ص ۳۰۶ و ابن الأثير ج ۸ ص ۲۷۲ بشأن رفنيه يخالف روايه ابن العديم هذه، و يوضح ابن الأثير أن الذى استولى عليه عسكر السلطان ثم آل إلى خير خان هو مدينه حماه، و هو الصحيح.

و أمن الترک و انتشروا فی أعمال المعرّه و اشتغلوا بالشّرب و النّهب و وقع التّحاسد فیما بینهم، و وصل رسول من بزاعا من جهه شمس الخواص یستدعیهم لتسلیم بزاعا، و یقول إنّ شمس الخواص مقبوض علیه عند لؤلؤ الخادم، و لؤلؤ یکشف أخبار العساکر و یطالع بها الفرنج، و رحل برسق و جامدار صاحب الرّحبه نحو دانیث(۱) یطلبون حلب، فنزل جامدار فی بعض الضّیاع.

و وصل برسق بالعسکر إلی دانیث بکره الثلاثاء العشرین من شهر ربیع الآخر، و الفرنج یعرفون أخبارهم ساعه فساعه، فوصلهم الفرنج؛ و قصدوا العسکر من ناحیه جبل السّماق، و العسکر علی الحال التی ذکرناها من الانتشار و التفرّق، فلم یکن لهم بالفرنج طاقه، فانهزموا من دانیث إلی تلّ السّلطان(۲).

و استتر قوم فی الضّیاع من العسکر فنهبهم الفلّاحون و أطلقوهم، و غنم أهل الضّیاع ممّا طرحوه وقت هزیمتهم ما یفوت الإحصاء، و أخذ الکفّار من هذا ما یفوت الوصف، و غنموا من الکراع و السّلاح و الخیام و الدّوابّ و أصناف الآلات و الأمتعه ما لا یحصی، و لم یقتل مقدّم و لا مذکور.

---

۱- دانیث بلد من أعمال حلب بین حلب و کفر طاب. معجم البلدان.

۲- تل السلطان موضع بینه و بین حلب مرحله نحو دمشق، و فیه خان و منزل للقوافل و هو المعروف بالفنیدق. معجم البلدان. و یبعد تل السلطان عن ادلب ۴۷ کم.

و قتل من المسلمين نحو خمسمائه و أسر نحوها و اجتمع العسكر على تلّ السّلطان، و رحلوا إلى النّقره مخذولين مختلفين، و نزلوا النّقره؛ و كان أونبا(۱) قد طلع أصحابه إلى حصن بزاعا، و كان قد تقدّم العسكر إليها، فلمّا بلغهم ذلك نزلوا و وصلوا إلى العسكر.

و توجّهت العساكر إلى السّلطان و إلى بلادهم، و وصل طغتكين من دمشق فتسلم رفنيه(۲) ممّن كانوا بها، و أطلق لؤلؤ شمس الخواص من الاعتقال، و سلّم إليه ما كان أقطعه من بزاعا و غيرها، فوصل إلى طغتكين فردّ عليه رفنيه، و عاد إلى دمشق و استصحبه معه.

و أما لؤلؤ الخادم فانّه صار بعد ملازمه القلعه ينزل منها فى الأحيان و يركب، فاتّفق أنّه خرج فى سنه عشر و خمسمائه بعسكر حلب و الكتاب إلى بالس، و هو فى صوره متصيّد، فلمّا وصل إلى تحت قلعه نادر قتله الجند(۳).

و اختلف فى خروجه، فقيل: إنّه كان حمل مالاـ إلى قلعه دوسر، و أودعه عند ابن مالك فيها، و أراد ارتجاعه منه و العود إلى حلب، و كان السّلطان قد أقطع حلب و الرّحبه أق سنقر البرسقى(۴)، فواطأ جماعه من

---

۱- كذا و عند ابن الأثير ج ۸ ص ۲۷۲« جيوش بك».
۲- يتوافق هذا مع ما أورده ابن القلانسى ص ۳۰۶ و ابن الأثير ص ۲۷۲.
۳- فى ترجمه ألب أرسلان بن تتش روى ابن العديم« فلما وصل إلى دير حافر»، و أورد ابن الأثير ج ۸ ص ۲۷۹ أنه قتل سنه ۵۱۱ ه و أعطى المزيد من التفاصيل، و من أجل قلعه نادر و هى قرب بالس انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۲ ص ۲۵. هذا و دير حافر مركز ناحيه تابعه لمنطقه الباب فى محافظه حلب، و يبعد عن حلب مسافه ۵۰ كم.
۴- للبرسقى ترجمه جيده فى بغيه الطلب ص ۱۹۶۳- ۱۹۷۰.

أصحابه على أن أظهروا مفارقته، و خدموا لؤلؤا و صاروا من خواصه، و واطأهم على قتل لؤلؤ، و أمّل أنّهم إذا قتلوه تصحّ له أقطاع حلب فقتلوه.

و سار بعضهم إلى الرّحبه فأعلمه، فأسرع أق سنقر البرسقى المسير إلى حلب من الرّحبه، و انضاف بعض عسكره إلى بقيّه القوم الّذين قتلوه، و طمعوا فى أخذ حلب لأنفسهم، و ساروا إليها فسبقهم ياروقتاش الخادم- أحد خدم الملك رضوان- و دخل حلب.

و قيل: إنّ لؤلؤا كان قد خاف فأخذ أمواله، و خرج طالبا بلاد الشّرق للنجاه بأمواله، فلمّا وصل إلى قلعه نادر قال سنقر الجكرمشيّ: «تتركونه يقتل تاج الدّوله و يأخذ الأموال و يمضى!» و صاح بالتّركيه: «أرنب أرنب» فضربوه بالسهام فقتلوه.

و لمّا خرج عن حلب أقامت القلعه فى يد آمنه خاتون بنت رضوان يومين إلى أن وصل ياروقتاش(۱) الخادم مبادرا فدخل حلب و نزل بالقصر، و أخرج عسكر حلب، و أوقع بالّذين قتلوا لؤلؤا، و ارتجع ما كان أخذوه من عسكر حلب و انهزم بعض من كان فى النّوبه فالتقوا أق سنقر فى بالس فى أوّل محرّم سنه إحدى عشره و خمسمائه.

و لم يتسهّل للبرسقى ما أمّل و راسل أهل حلب و من بها فى التّسليم إليه فلم يجيبوه إلى ذلك.

---

۱- ياروقتاش هو شمس الخواص المتقدم ذكره، انظر ابن الأثير ج ۸ ص ۲۷۹.

و كاتب ياروقتاش الخادم نجم الدّين إيلغازى بن أرتق ليصل من ماردين و يدفع أق سنقر، و كاتب روجار صاحب أنطاكيه أيضا فوصل إلى بلد حلب، و أخذ ما قدر عليه من أعمال الشّرقيه، فحينئذ أيس البرسقىّ من حلب، و انصرف من أرض بالس إلى حمص فأكرمه خير خان صاحبها، و سار معه إلى طغتكين إلى دمشق فأكرمه، و وعده بانجاده على حلب.

و هادن ياروقتاش صاحب أنطاكيه روجار، و حمل إليه مالا و سلّم إليه حصن القبّه، و رتّب مسير القوافل من حلب إلى القبله عليه، و أن يؤخذ المكس منهم له.

ثم إنّ ياروقتاش طلع إلى قلعه حلب، و عزم على أن يعمل حيله يوقعها بالمقدّمين و يملكها مثل لؤلؤ، فقبض عليه مقدّمو القلعه بأمر بنات رضوان بعد تمام شهر من ولايته، و أخرجوه من حلب و ولّوا فى القلعه خادما من خدم رضوان.

و ردّ أمر سلطان شاه و تقدمه العسكر و تدبير الأمور إلى عارض الجيش العميد أبى المعالى المحسن بن الملحّى، فدبّر الأمور وساسها، و ضعفت حلب و قلّ ارتفاعها و خربت أعمالها.

و وصل إيلغازى بن أرتق إلى حلب فأنزلوه فى قلعه الشّريف، و منعوه من القلعه الكبيره، و استولى على تدبير الأمور و تربيه سلطان شاه فى سنه إحدى عشره و خمسمائه، و سلّموا اليه بالس و القليعه.

و قبض على أبى المعالى بن الملحّى، و قصر ارتقاع حلب عما يحتاج إليه ايلغازى و التّركمان الـذين معه، و لم ينتظم له حال، و استوحش من أهل حلب و جنـدها فخرج عنها إلى ماردين، و بقيت بالس و القليعه فى يـده، و أخرج ابن الملحّى من الاعتقال و أعيد إلى تدبير الأمور.

و أفسـد الجند الّذين ببالس فى أعمال حلب فاسـتدعوا الفرنج، و خرج بعض عسـكر حلب و معهم قطعه من الفرنج و حصـروها، فوصل إيلغازى فى جمع من التركمان إليها، فعاد عسـكر حلب و الفرنج عن بالس و باعها لابن مالك، و عاد إلى ماردين، و بقى تمرتاش ولده رهينه فى حلب.

و وصل فى هذه السّـنه أتابک طغتکين و أق سـنقر البرسـقى إلى حلب، و راسل أهلها فى تسليمها فامتنعوا من إجابته، و قالوا: «ما نريد أحدا من الشّرق» و أنفذوا و استدعوا الفرنج من أنطاكيه لدفعه عنهم، فعاد أق سنقر إلى الرّحبه و أتابک إلى دمشق.

و اشـتدّ الغلاء بأنطاكيه و حلب، لأن الزّرع عرق و لحقه هواء عند إدراكه أتلفه، و هرب الفلّاحون للخوف، و استدعى أهل حلب ابن قراجا من حمص، فرتّب الأمور بها، و حصّنها، و سار إلى حلب، و نزل فى القصر خوفا من إيلغازى لما كان بينهما(١).

و خرج أتابک إلى حمص، و نهب أعمالها و شعّثها، و أقام عليها مدّه، و عاد إلى

---

١- كان خير خان قد أسر إيلغازى سنه ثمان و خمسمائه و ذلک أثناء نزوله على حمص. انظر ابن القلانسى ص ٣٠٥.

دمشق لحركه الفرنـج، و خرجت قافله من حلب إلى دمشق فيها تجار و غيرهم، و حملوا ذخائرهم و أموالهم لما قـد أشـرف عليه أهل حلب، فلمّا وصـلوا إلى القبّه نزل الفرنـج إليهم، و أخـذوا منهم المكس، ثم عادوا و قبضوهم و ما معهم بأسـرهم، و رفعوهم إلى القبّه، و حملوا الرجال و النساء بعد ذلك إلى أفاميه، و معرّه النّعمان، و حبسوهم ليقرّوا عليهم مالا.

فراسـلهم أبو المعالى بن الملحى و رغّبهم فى البقاء على الهـدنه و أن لا ينقضوا العهد، و حمل إلى صاحب أنطاكيه مالا و هدّيه، فردّ عليهم الأحمال و الأثقال و غير ذلك، و لم يعدم منه شى ء.

و قوى طمع الفرنج فى حلب لعدم النجد و ضـعفها، و غدروا و نقضوا الهدنه، و أغاروا على بلد حلب، و أخذوا مالا لا يحصيه إلّا اللّه، فراسل أهل حلب أتابك طغتكين، فوعـدهم بالإنجاد، فكسـره جوسـلين و عساكر الفرنج، و راسـلوا صاحب الموصل و كان أمره مضطربا بعد عوده من بغداد.

و نزل الفرنج بعد عودهم من كسـره أتابک على عزاز، و ضايقوها و أشـرفت على الأخذ، و انقطعت قلوب أهل حلب إذ لم يكن بقى لحلب معونه إلّا من عزاز و بلدها، و بقيّه بلد حلب فى أيدى الفرنج، و الشـرقىّ خراب مجدب، و القوت فى حلب قليل جدا، و مكوك الحنطه بدينار، و كان إذ ذاك لا يبلغ نصف مكوك بمكّوك حلب الآن، و ما سوى ذلک مناسب له.

و يئس أهل حلب من نجده تصلهم من أحد من الملوك، فاتّفق رأيهم

على أن سيّروا الأعيان و المقدّمين إلى إيلغازى بن أرتق، و استدعوه ليدفع الفرنج عنهم و ظنّوا أنّه يصل فى عسكر يفرّج به عنهم، و ضمنوا له مالا يقسطونه على حلب يصرفه إلى العساكر.

فوصل فى جند يسير و المدبّر لحلب جماعه من الخدم؛ و القاضى أبو الفضل بن الخشّاب هو المرجوع إليه فى حفظ المدينه و النظر فى مصالحها؛ فامتنع عليه البلد، و اختلفت الآراء فى دخوله، فعاد فلحقه القاضى أبو الفضل بن الخشّاب و جماعه من المقدّمين، و تلطّفوا به و لم يزالوا به حتّى رجع.

و وصل إلى حلب، و دخلها، و تسلّم القلعه، و أخرج منها سائر الجند و أصحاب رضوان و أنزل سلطان شاه بن رضوان و بنات رضوان فى دار من دور حلب.

و قبض على جماعه ممّن كان يتعلّق بالخدم و يخدمهم، و أخذ منهم ما كان صار إليهم من مال رضوان و مال الخدم الّذين استولوا على حلب بعده.

و راسل الفرنج فى مال يحمله عن عزاز ليرحلوا عنها، فلم يلتفتوا لقوّه أطماعهم فى أمر الاسلام؛ و كان إيلغازى يعجز بحلب عن قوت الدّواب، و حلب على حدّ التّلف.

فلما عرف من بعزاز ذلك و يئسوا من دفع الفرنج سلّموها إلى الفرنج، و راسلهم من بحلب فى صلح يستأنفونه معهم، فأجابوا إلى ذلك لطفا من

اللّه بهم، على أن يسلّموا إلى الفرنج تلّ هراق و يؤدّون القطيعه المستقرّه على حلب عن أربعه أشهر، و هى ألف دينار، و يكون لهم من حلب شمالا و غربا.

و زرعوا أعمال عزاز و قوّوا فلاحها و عادوا إلى أنطاكيه و صار يدخل إلى حلب ما يتبلّغون به من القوت.

و سار إيلغازى إلى الشّرق ليجمع العساكر و يعود بها إلى حلب؛ و سارت الرّسل إلى ملوك الشّرق و التّركمان يستنجدونهم.

و كان ابن بديع رئيس حلب عند ابن مالك بقلعه دوسر، فنزل إلى إيلغازى ليطلب منه العود إلى حلب، فلمّا صار عند الزّورق ليقطع الماء إلى العسكر وثب عليه اثنان من الباطنيّه فضرباه عدّه سكاكين، و وقع ولداه عليهما فقتلاهما، و قتل ابن بديع و أحد ولديه و جرح الآخر، و حمل إلى القلعه فوثب آخر من الباطنيّه و قتله، و حمل الباطنى ليقتل فرمى بنفسه فى الماء و غرق. و توجّه إيلغازى إلى ماردين و معه أتابك، و راسلا من بعد و قرب من عساكر المسلمين و التّركمان، فجمعا عسكرا عظيما، و توجّه إيلغازى فى عسكر يزيد عن أربعين ألفا فى سنه ثلاث عشره و خمسمائه، و قطع الفرات من عبر بدايا و سنجه(۱).

و امتدت عساكره فى أرض تلّ باشر و تلّ خالد و ما يقاربهما، يقتل

---

۱- سنجه نهر يجرى بين حصن منصور و كيسوم و هما من ديار مضر، و على هذا النهر قنطره عظيمه. معجم البلدان.

و ينهب و يأسر، و غنموا كلّ ما قدروا عليه، و وصل من رسل حلب من يستحثّه على الوصول لتواصل غارات الفرنج من جهه الأثارب و اياس أهلها من أنفسهم، فسار إلى مرج دابق ثمّ إلى المسلميه، ثمّ إلى قنّسرين فى أواخر صفر من سنه ثلاث عشره و خمسمائه.

و سارت سراياه فى أعمال الرّوج و الفرنج يقتلون و يأسرون، و أخذوا حصن قسطون فى الرّوج، و جمع سرجال صاحب أنطاكيه الفرنج و الأرمن و غيرهم، و خرج إلى جسر الحديد، ثمّ رحلوا و نزلوا بالبلاط بين جبلين، ممايلى درب سرمدا، شمالى الأثارب، و ذلك فى يوم الجمعه التّاسع من شهر ربيع الأول.

و ضجر الأمراء من طول المقام، و إيلغازى ينتظر أتابك طغتكين ليصل إليه و يتفقا على ما يفعلانه، فاجتمعوا و حثّوا إيلغازى على مناجزه العدوّ فجدّد إيل غازى الأيمان على الأمراء و المقدّمين أن يناصحوا فى حربهم، و يصابروا فى قتال العدوّ، و أنّهم لا ينكلون و يبذلون مهجهم فى الجهاد، فحلفوا على ذلك بنفوس طيبه.

و سار المسلمون جرايد، و خلّفوا الخيام بقنّسرين، و ذلك فى يوم الجمعه السّادس عشر من شهر ربيع الأوّل، فباتوا قريبا من الفرنج و قد شرعوا فى عماره حصن مطلّ على تل عفرين و الفرنج يتوهّمون أن المسلمين ينازلون الأثارب أو زردنا، فما شعروا عند الصبح إلّا ورايات المسلمين قد أقبلت، و أحاطوا بهم من كل جانب.

و أقبل القاضى أبو الفضل بن الخشّاب يحرّض النّاس على القتال، و هو راكب على حجر(۱) و بيده رمح؛ فرآه بعض العسكر فازدراه و قال: «إنّما جئنا من بلادنا تبعا لهذا المعمّم!» فأقبل على الناس، و خطبهم خطبه بليغه استنهض فيها عزائمهم، و استرهف هممهم بين الصفّين، فأبكى النّاس و عظم فى أعينهم.

و دار طغان أرسلان بن دملاج من ورائهم و نزل فى خيامهم، و قتل من فيها و نهبها، و ألقى اللّه النصر على المسلمين، و صار من انهزم من الفرنج و قصد الخيام قتل.

و حمل التّرك بأسرهم حمله واحده من جميع الجهات صدقوهم فيها، و كانت السّهام كالجراد، و لكثره ما وقع فى الخيل و السّواد من السّهام عادت منهزمه و غلبت فرسانها، و طحنت الرّجاله و الأتباع و الغلمان بالسّهام، و أخذوهم بأسرهم أسرى.

و قتل سرجال فى الحرب، و فقد من المسلمين عشرون نفرا منهم سليمان بن مبارك بن شبل، و سلم من الفرنج مقدار عشرين نفرا لا غير، و انهزم جماعه من أعيانهم.

و قتل فى المعركه ما يقارب خمسه عشر ألفا من الفرنج، و كانت الوقعه يوم السبت وقت الظهر، فوصل البشير إلى حلب بالنّصر، و المصافّ قائم،

---

۱- الحجر: الأنثى من الخيل. القاموس.

و النّاس يصلّون صلاه الظهر بجامع حلب، سمعوا صيحه عظيمه بذلك من نحو الغرب، و لم يصل أحد من العسكر إلى نحو صلاه العصر.

و أحرق أهل القرى القتلى من الفرنج، فوجد فى رماد فارس واحد أربعون نصل نشّاب، و نزل إيلغازى فى خيمه سرجال، و حمل إليه المسلمون ما غنموه، فلم يأخذ منهم إلّا سلاحا يهديه لملوك الإسلام، و ردّ عليهم ما حملوه بأسره.

و لمّا حضر الأسرى بين يدى إيلغازى، كان فيهم رجل عظيم الخلقه مشتهرا بالقوّه، و أسره رجل ضعيف قصير قليل السّلاح، فلمّا حضر بين يدى إيلغازى قال له التركمان: «أما تستحى يأسرك مثل هذا الضّعيف و عليك مثل هذا الحديد؟» فقال: «و اللّه ما أخذنى هذا، و لا هو مولاى و إنّما أخذنى رجل عظيم أعظم منى و أقوى، و سلّمنى إلى هذا؛ و كان عليه ثوب أخضر و تحته فرس أخضر»(۱).

و تفرّقت عساكر المسلمين فى بلد أنطاكيه و السويديه و غيرهما يقتلون و يأسرون و ينهبون، و كانت البلاد مطمئنّه لم يبلغهم خبر هذه الوقعه، فأخذ المسلمون من السّبى و الغنائم و الدّواب ما يفوت الاحصاء. و لم يبق أحد من التّرك إلّا امتلأ صدره و يداه بالغنائم و السّبى.

و لقى بعض السّرايا بغدوين الرويس و ابن صنجيل فى خيلهما بالقرب من جبله، و قد توجها لنصره سرجال صاحب أنطاكيه، فأوقع بهم التّرك،

---

۱- أى أن آسره كان من الملائكه.

و قتلوا جماعه و غنموا ما قدروا عليه، و انهزم بغدوين و ابن صنجيل، و تعلّقوا بالجبال.

و رحل إيلغازى إلى أرتاح، و بادر بغدوين فدخل أنطاكيه، و سلّمت إليه أخته زوجه سرجال خزائنه و أمواله، و قبض على أموال القتلى و دورهم، و أخذها و زوّج نساء القتلى بمن بقى، و أثبت الخيل، و جمع و حشد و استولى على أنطاكيه، و لو سبقه إيلغازى إلى أنطاكيه لما امتنعت عليه.

و وصل أتابک إلى نجم الدّين بأرتاح، فعاد و نزل الأثارب، و هجم الرّبض و نهبه، و قتل من قدر عليه، و خرج أحداث من حلب و نهبوا حصنها فطلبوا الأمان فأمّنهم بعد أن استأخذت، و سيّرهم إلى مأمنهم.

و رحل منها إلى زردنا و كانوا قد حصّنوها و أحكموا عمارتها، و قاتلها فطلبوا الأمان فأمّنهم، و سيّرهم إلى أنطاكيه فلقيهم بعض التّركمان، فنهبوهم و قتلوا بعضهم و مضوا إلى أهلهم.

و كان صاحب زردنا لمّا بلغه منازلتها، حمل بغدوين و الفرنج على الخروج لاستنقاذها، و قد عرفوا تفرّق التّركمان بالغنائم و عودهم إلى أهلهم، و أن إيلغازى فى عدّه قليله، فبلغه ذلک فجدّ فى قتالها حتى أخدها- كما ذكرناه- و رتّب أصحابه بها، و توجّه بمن بقى معه و استصحب معه عسكر أتابک و طغان أرسلان بن دملاج جرايد إلى دانيث بعد أن ردّ الأثقال و الخيام إلى قنّسرين.

و وصل إلى دانيث فى يومه، فوجد الفرنج قد نزلوها يوم فتحه زردنا فى

مائتى خيمه و راجل كثير، و قيل إنّهم كانوا يزيـدون على أربعمائه فارس سوى الرّجاله، و ذلك فى رابع جمادى الأولى، و التقوا فحمل صاحب زردنا و أكثر خيل الفرنج على عسـكر دمشق و حمص و بعض التركمان، فكشفوهم و انهزموا بين أيديهم، و سار ليتدارك أمر زردنا، و يكبس الأثقال و الخيام فعرف أخذها و تسيير الأثقال إلى قنّسرين فعاد.

و حمـل بقيّه المسـلمين على بغـدوين و من كـان معه، فقتلوهم و ردّوهم على أعقابهم، فحينئـذ حمل إيلغازى و طغتكين و طغان أرسـلان فيمن بقى من الخواصّ على الفرنج، فكسـروهم و قتلوا أكثر الرّجاله و بعض الخيّاله، و تبعوهم إلى أن دخلوا إلى حصن هاب، و غنموا أكثر ما كان معهم.

و عاد نجم الـدّين و طغتكين و طغان أرسـلان إلى دانيث، فوجـدوا صاحب زردنا و الفرنـج قـد عادوا بعد أن هزموا من كان بين أيـديهم من المسـلمين و معرفه أخذ المسـلمين زردنا، فلقوهم و قتلوا منهم جماعه كثيره، و انهزم الباقون إلى هاب، و عاد الترك بالظّفر و الغنيمه.

و حين بلغ من بقنّسـرين مع الأثقال هزيمه من كان فى مقابله صاحب زردنا رحلوا إلى حلب، و انزعـج أهل حلب غايه الانزعاج، فوصلهم البشير بعد ساعتين بما بدّل غمهم سرورا و همّهم حبورا.

و كان البشـير من الفرنـج قـد مضـى إلى بلادهم و أخبر بكسـره صاحب زردنا للمسـلمين، فزيّنوا بلادهم، و أظهروا فيها الجذل و المسرّه فوصل ابن

صنجیل من الکسره بعد ذلک، فانقلب سرورهم حزنا و راحتهم تعبا و عناء.

و کان صاحب زردنا، و هو القومص الأبرص و اسمه رونارد(۱)، قد سقط عن فرسه، فأدرکه قوم من أهل جبل السمّاق من أهل مریمین(۲)، فقبضوه و حملوه إلی إیلغازی بظاهر حلب، فأنفذه إلی أتابک طغتکین، فقتله صبرا.

ثم دخل إیلغازی إلی حلب، و أحضر الأسری فأفرد أصحاب القلاع و المقدّمین و ابن بیمند صاحب أنطاکیه و رسول ملک الروم و نفرا یسیرا ممّن کان معه مال فأخذه و أطلقهم، و بقی من الأسری نیّف و ثلاثون رجلا بذلوا من المال ما رغب عنه، فقتلهم بأسرهم.

و توجّه من حلب إلی ماردین فی جمادی الأولی من سنه ثلاث عشره و خمسمائه، لیجمع من الترکمان من یعود به إلی بلد حلب، و کانت حلب ضعیفه عن مقامه فیها، فخرج الفرنج إلی بلد المعره، فسبوا جماعه، و أدرکهم جماعه من الترک فرجعوا(۳).

ثم خرج بغدوین من أنطاکیه فی عسکره و نزل علی زور، غربیّ الباره- و هو حصن کان لابن منقذ و سلّمه إلیهم- و لما جرت الوقعه الأولی

---

۱- رینوماسیور. انظر حوله ولیم الصوری ج ۱ ص ۵۸۲.
۲- مریمین من قری منطقه جسر الشغور محافظه أدلب و تبعد عن ادلب ۸۵ کم.
۳- قارن ولیم الصوری ج ۱ ص ۵۷۹- ۵۸۲.

على البلاط عاد و أخذه، فقاتله بغدوين، و أخذه في جمادى الأولى، و أطلق من كان فيه.

و رحل إلى كفر روما(۱) فأخذ حصنها بالسّيف، و قتل جميع من كان فيه، و وصلوا إلى كفر طاب، و قد أحرق ابن منقذ حصنها، و أخذ رجاله منه خوفا منهم، فرمّموه، و رتّبوا رجالهم فيه، و ساروا إلى سرمين و معرّه مصرين فتسلّموها بالأمان، ثم نزلوا زردنا، و رحلوا عنها إلى أنطاكيه.

و مع هذا فغارات عسكر حلب متواصله على ما يقرب منهم، و تعود بالظّفر و الغنيمه.

و وصل جوسلين إلى بغدوين خاله وقت أخذه سرمين، فأقطعه الرّها و تلّ باشر، و سيّره إليهما، فأسرى إلى وادى بطنان دفعتين، و إلى ما يلى الفرات من جهه الشّام، و قتل و سبى ما يقارب ألف نفس، و أغار جوسلين على منبج و النّقره و أعمال حلب الشرقيه، و أخذ كلّ ما وجده من [دواب]، و أسر رجالا و نساء، و أسرى إلى الرّاوندان(۲) يتبع طائفه من التّركمان كانت قطعت الفرات، فاقتتلوا فانهزم الفرنج و قتل منهم جماعه.

و في صفر من سنه أربع عشره و خمسمائه، وقعت مشاحنه بين والى الأثارب بلاق بن اسحاق صاحب نجم الدين إيلغازى و بين الفرنج فأسرى و معه جماعه من عسكر حلب إلى أنطاكيه، فلقيهم عسكر أنطاكيه

---

۱- كفر روما قريه من قرى معره النعمان. معجم البلدان.

۲- الراوندان قلعه حصينه من نواحى حلب. معجم البلدان.

فکسرهم، و عاد فتبعه الفرنج و التقوا ما بین ترمانین(۱) و تلّ أعذی، من فرضه لیلون.

و وصل فی هذه السّنه إیلغازی بجمع کثیر من الترکمان، و قطع الفرات فی الخامس و العشرین من صفر، و توجّه إلی تلّ باشر، و أقام أیاما و لم یقاتلها، و رحل إلی عزاز یرید أخذها، و لم یمکّن أحدا من الترکمان من تشعیث ضیاعها، و رحل إلی أنطاکیه و أقام علیها یوما واحدا، و أقام فی أعمال الرّوم أیاما یسیره.

ثم خرج إلی قنسرین فتشوشّت قلوب الترکمان لأنهم أمّلوا من الغنائم مثل السّنه الخالیه، و لم یقاتل بهم حصنا، و لا غنموا شیئا، و باع الأسری الّذین أسرهم فی الوقعه الأولی، فعادوا إلی بلادهم، و بالغوا فی التشفّی من المسلمین و القتل و السّبی.

و جری من نجم الدین إساءه إلی بعض الترکمان علی شی ء أنکره علیهم، فبالغ فی هوانهم و حلق لحی بعضهم، و قطع أعصابهم، فتفرّق عسکره و بقی نفر یسیر متفرّقین فی أعمال حلب.

فطمع الفرنج و خرجوا إلی دانیث، فوصل طغتکین و عسکر دمشق، و اجتمعوا مع إیلغازی فی عسکر یقاوم الفرنج، فساروا إلی الفرنج، و هم فی ألف فارس و راجل کثیر، فدار التّرک حولهم فلم یخرج منهم أحد، و کرهوا

---

۱- ترمانین الآن أحدی قری منطقه حارم، محافظه ادلب، و تبعد عن ادلب مسافه ۷۶ کم.

أن يعودوا على أعقابهم فتكون هزيمه، فساروا نحو معرّه مصرين لا ينفرد منهم فارس و لا راجل.

و أشرف التّرك على أخذهم، و من خرج منهم قتل، و من وقفت دابّته تركها و أخذت، و لا يقدرون على الماء و هم على حاله الهلاك، و إيلغازى و طغتكين يردّان الناس عنهم بالعصا، فنزلوا بقرب معرّه مصرين، و عاد التّرك عنهم إلى حلب، و عادوا إلى أنطاكيه.(۱)

و صالحهم إيلغازى إلى آخر سنه أربع عشره، على أنّ لهم المعرّه و كفرطاب و الجبل و الباره، و ضياعا من جبل السّمّاق برسم هاب، و ضياعا من ليلون برسم تل أعذى، و ضياعا من بلد عزاز برسم عزاز.

و سار نجم الدّين إيلغازى إلى ماردين ليجمع العساكر، و هدم إيلغازى زردنا فى شهر ربيع الأوّل، و كان أهل حلب قد شكوا إليه تجديد رسوم جدّدت عليهم فى أيّام رضوان، لم تجر بها عاده فى دوله العرب و لا دوله المصريّين و لا فى أيّام أق سنقر، فأمر بكشف مقدارها، فأخبر أنّها مبلغ اثنى عشر ألف دينار فى كلّ سنه، فرسم بحذفها، و وقّع لهم بذلك، و كتب لوحا بذلك، و سمّره على باب الجامع و ذلك فى هذه السّنه.

---

۱- مزج ابن العديم هنا كما فعل قبله ابن القلانسى ص ۳۲۰، و ابن الأثير ج ۸ ص ۲۹۴، الروايات حول معركه دانيث لسنه ۵۱۳ ه/ ۱۱۱۹ م و معركه دانيث الثانيه لسنه ۵۱۴ ه/ ۱۱۲۰ م التى انتصر فيها الفرنجه حسب روايه وليم الصورى ج ۱ ص ۵۸۳- ۵۸۵.

و خرج الفرنـج فقبضوا على الفلّاحين الّذين تحت أيديهم فى هذه الأعمال من المسـلمين و عاقبوهم و صادروهم، و أخذوا منهم من الأموال و الغلّات ما تقوّوا به، و كانت الضّـياع الّتى فى أيدى المسلمين قد عمرت، و اطمأنوا بالصّلح، فغدر اللّعين جوسلين، و خرج فأغار على النّقره و الأحصّ، و احتـجّ بأنه أسـر له والى منبج أسـيرا، و أنّه كاتب فى ذلك فلم ينصف، و ذلك فى شوّال، و قتل و سبى و أحرق كل ما فى النّقره و الأحص؛ و نزل الوادى و عاث فيه.

ثم سار إلى تلّ باشـر، ثمّ عاد و حشـد و خرج و عمل كفعله الأول، و أخـذ فى غارته الأولى المشايخ و العجايز و الضـعفاء، فنزع عنهم ثيابهم و تركهم فى البرد عراه، فهلكوا بأجمعهم.

فأنفذ والى حلب إلى بغدوين فى ذلك، و قال: «إنّ نجم الدّين لم يترك هذه البلاد خاليه من العساكر إلّا ثقه بالصـلح» فقال: «ما لى على جوسلين يد». و تتابعت من جوسلين غارات متعدده.

ثم خرج الفرنـج من أنطاكيه عقيب ذلك، و أغاروا على بلد شـيزر و أخذوا ما لا يحصـى، و أسـروا جمعا، و طلبوا المقاطعه التى جرت عـادتهم قبـل الوقعه بأخـذها، فبـذل لهم ابن منقـذ ذلـك على أن يردّوا مـا أخـذوه، فلم يجيبوه إلى ذلك، فجعل لهم مالا حمله، و صالحهم إلى آخر السّنه.

و هرب ملك العرب دبيس بن صـدقه الأسـدىّ من المسترشـد و السـلطان محمود، فوصـل إلى قلعه جعبر، فـأكرمه نجم الـدّوله مالك، و أضافه، ثمّ

سار إلى إيلغازى إلى ماردين، و تزوّج ابنته فاشتدّ به و أجاره، و وصل معه الأموال العظيمه و النّعمه الوافره، و حمل إليه إيلغازى ما يفوت الإحصاء.

فاشتغل إيلغازى بدبيس عن العبور إلى الشّام، فخرب بلد حلب، و استولى الفرنج على معظمه، و أغار جوسلين إلى صفّين(۱)، و سبى العرب و التركمان، و نزل بزاعا و قاتلها، و أحرق بعض جدارها، و صونع على شى ء و دخل بلده.

ثم هجم الفرنج، فى صفر من سنه خمس عشره و خمسمائه، الأثارب، و قتلوا جماعه و أحرقوها و أسروا من لم يعتصم بالقلعه.

ثم إنّهم فى ربيع الآخر من السّنه، نزلوا نواز(۲)، و زحفوا إلى الأثارب ثانيه، و أحرقوا الدّور و الغلّه، و سار بغدوين، و أغار على حلب؛ و أخذ الناس و الدواب من حاضر حلب و من الفنادق، و أخذ ما يجلّ قدره من الماشيه، و أسر نحوا من خمسين أسيرا، و صاح الصائح فخرج نفر يسير من العسكر فظفروا بالفرنج و خلّصوا المواشى، و عاد الفرنج إلى أعمالهم.

و كان النائب بحلب شمس الدّوله سليمان بن نجم الدين إيلغازى، و كان إيلغازى قد ولّى رئاسه حلب، فى سنه أربع عشره فى رجب، مكى بن

---

۱- تتوافق هذه الروايه مع ما أراده باختصار ابن القلانسى ص ۳۲۳، لكن ابن الأثير تحدث فى ج ۸ ص ۲۸۹ عن نشاط جوسلين فى منطقه طبريه، و صفين هى منطقه أبى هريره قرب الرقه حاليا.

۲- قريه كبيره فى جبل السماق فى بلد حلب. معجم البلدان.

قرناص الحمویّ، و جعله بین یدیه، فکتب إلی ولده و نوّابه یأمرهم بصلح الفرنج علی ما یریدون، فصالحوهم علی سرمین و الجزر و لیلون و أعمال الشمال علی أنها للفرنج، و ما حول حلب للفرنج منه النّصف، حتی أنّهم ناصفوهم فی رحی الغربیه(۱) و علی أن یهدم تلّ هراق بحیث لا یبقی للفئتین فیه حکم، و طلبوا الأثارب فأجاب إیلغازی إلی ذلک، فامتنع من کان فیها من التّسلیم فبقیت فی أیدی المسلمین.

و کان الذی تولی الصلح جوسلین و جفری، و کان بغدوین فی القدس، فلما وصل رضی بذلک، و شرع فی عماره دیر خراب قدیم، بالقرب من سرمدا(۲)، و حصّنه ثمّ أطلقه لصاحب الأثارب سیر ألان دمسخین.

و أمر إیلغازی ولده باخراب قلعه الشّریف المجدّده بحلب و إخراج من کان فیها من جند رضوان، فأخرجهم شمس الدّوله و ابن قرناص بعذر الإغاره علی أعمال الفرنج، و أغلقت أبواب حلب فی وجوههم، و تولی الرئیس مکیّ بن قرناص خرابها فی جمادی الآخره.

و استنجد الملک طغرل بإیلغازی بن أرتق علی الکرج و ملکهم داود، فسار إلیه فی عالم عظیم و معه دبیس بن صدقه، فکسرهم المسلمون، و دخلوا وراءهم فی الدّرب، فکرّ الکرج علیهم فی الدّرب، فانهزم المسلمون

---

۱- لعلها کانت قرب باب الجنان.

۲- سرمدا قریه تابعه لمنطقه حارم فی محافظه ادلب و تبعد عن ادلب مسافه ۶۴ کم.

و تبعهم الكرج قتلا و أسرا، و نهب لدبيس ما مقداره ثلاثمائه ألف دينار، و وصل مع نجم الدين إيلغازى إلى ماردين سالما(۱).

و أنفذ إيلغازى إلى ابنه سليمان بحلب يلتمس منه أشياء، فقبّح بذلك عنده، و قيل له أشياء أوجبت عصيانه على والده، فعصى و أخرج الملوك:

سلطان شاه و ابراهيم و غيرهما من حلب، فمضوا إلى قلعه جعبر، و مدّ يده فى مصادره أهل حلب و ظلمهم و الفساد.

و قيل: إن دبيس بن صدقه لما سار مع إيلغازى إلى الكرج سأل إيلغازى فى الطّريق أن يهب له حلب و أن يحمل إليه دبيس مائه ألف دينار يجمع بها التركمان و يعاضده حتى يفتح أنطاكيه، فأجابه إيلغازى إلى ذلك، و أخذ يده على ذلك.

فلما وقعت كسره الكرج بدا له من ذلك، فأنفذ إلى ولده سليمان، و كان خفيفا، و قال له: «أظهر أنك قد عصيت علىّ حتى يبطل ما بينى و بين دبيس». فحمله الجهل على أن عصى و نابذ أباه، و وافقه مكىّ بن قرناص و الحاجب ناصر، و هو شحنه حلب و غيرهما.

و قبض سليمان حجّاب أبيه فصفعهم و حلق لحاهم، و مدّ يده إلى أموال النّاس و ظلمهم، فطمع الفرنج و قرّبهم سليمان، فنزلوا زردنا و عمروها لابن صاحبها كليام بن الأبرص.

---

۱- أوسع التفاصيل حول هذه الواقعه عند ابن الأزرق الفارقى انظر الموسوعه الشاميه فى تاريخ الحروب الصليبيه ص ۵۲۳۰- ۵۲۳۳.

ثم سار الفرنج إلى باب حلب، فكبسوا فى طريقهم حاضر طىّ ء و غيرها، فخرج إليهم الحاجب ناصر و العسكر فكسروهم و قتلوا منهم جماعه.

و خرج بغدوين فى جمادى الآخره، فنازل خناصره، و أخذها و خرّبها، و حمل باب حصنها إلى أنطاكيه، و نزل برج سينا ففعل به كذلك، و كذلك فعل بغيرهما من حصون النّقره و الأحصّ، و سبى و أحرق و نهب.

و عاد فنزل صلدع- على نهر قويق- و خرج إليه اتزز بن ترك طالبا منه الصّلح مع سليمان، فقال: «على شرط أن يعطينى سليمان الأثارب حتى أحفظه، و أنا أذبّ عنه و أقاتل دونه»، فقال له: «ما يجوز أن يسلّم ثغرا من ثغور حلب فى بدوّ مملكته، بل التمس غير هذا ممّا يمكن ليوافقك عليه» فقال له: «الأثارب لا يقدر صاحب حلب على حفظها، فانّى قد عمرت عليها الحصون بما دارت، و أنا أعلمكم أنّها اليوم تشبه فرسا لفارس قد عطبت يداها، و للفارس هرى شعير(۱)، يعلفها رجاء أن تبرأ و يكسب عليها، فنفد هرى الشّعير، و عطبت الفرس، و فاته الكسب». ثمّ رحل نحوها، فحصرها ثلاثه أيّام، و اتّصل به ما أوجب رحيله إلى أنطاكيه.

و لما بلغ إيلغازى إصرار ولده على العصيان ضاقت عليه الأرض، و أعمل فى الوصول إليه و أخذ حلب منه، فكاتبه أقوام و عرفوه أن ما بحلب من يدفعه عنها، فسار حتى وصل إلى قلعه جعبر فضعفت نفس ابنه سليمان

---

۱- الهرى بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان. القاموس.

عن العصيان على أبيه، فأنفذ إليه من استحلفه على الصّفح عنه و الاحسان إليه و إلى من حسّن له العصيان مثل ابن قرناص و ناصر الحاجب، و أكّد الأيمان على ذلك.

و دخل حلب فى أول شهر رمضان فخرج الناس للقائه، و دخل إلى القصر، و أحسن إلى أهل حلب، و سامحهم بشى ء من المكوس، و صرف الشّحنه الّذى كان يؤذى الناس فى البلد.

و قبض على الرّئيس مكى بن قرناص و على أهله، و شقّ لسانه و كحله و أخذ ما وجد له، و سلّم أخاه إلى من يعذّبه و يستصفى ماله.

و كحل ناصر الحاجب، فعنى به من تولّى أمره فسلمت إحدى عينيه، و عرقب طاهر بن الزائر، و كان من أعوان الرئيس مكى.

و أعاد الملوك أولاد رضوان من قلعه جعبر إلى حلب، و خطب بنت الملك رضوان، و تزوّج بها، و دخل بها بحلب، و ولّى رئاسه حلب سلمان بن عبد الرزّاق العجلانى البالسى، و ولّى ابن أخيه بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبار نيابته فى حلب، و صالح الفرنج مدّه سنه كامله، و أعطاهم من الضياع ما كان فى أيديهم أيّام مملكتهم الأثارب و زردنا.

و سار فى محرّم من سنه ستّ عشره و خمسمائه إلى الشرق ليجمع العساكر، فمات وزيره بحلب أبو الفضل بن الموصول فى صفر و ولى الوزاره أبو الرجاء بن السرطان.

و عبر إيلغازى و بلك فى سابع عشر شهر ربيع الآخر الفرات- و كان بلك غازى ابن أخيه بهرام بن أرتق، و استدعاه من أعمال الرّوم و بيده عده قلاع بالقرب من ملطيه- و صحبتهما عدّه من التّركمان دون ما جرت عادته باستصحابه، فعزل أبا الرجاء بن السرطان عن الوزاره، و قبض عليه لسعايه سعى به إليه عليه.

و نزل إيلغازى زردنا، نزل عليها فى العشرين من جمادى الأولى، و حصرها أياما و أخذ حوشها، و كان صاحبها قد سمع حين عبر إيلغازى الفرات أنه ينزلها، فجمع أصحابه و استحلفهم على المصابره من وقت نزولهم على مدّه خمسه عشر يوما، و حلف هو لهم على أن ينجدهم، و مضى على أن يستجيش، فان جازت هذه المدّه و لم يصلهم فإنّه يبتاع دماءهم بكلّ ما يملكه، و قال لهم: «و اللّه لكم علىّ من الشاهدين، لئن لم يخلصكم إلا إسلامى إن قبله أسلمت على يديه لخلاصكم».

و خرج حتى وصل إلى بغدوين صاحب أنطاكيه، و هو بأكناف طرابلس فى حكومه بينه و بين صاحبها، فأخبره بعبور إيلغازى و بما بلغه من قصده زردنا، فقال: «مذ حلفنا له و حلف لنا ما نكثنا، و حفظنا بلده فى غيبته و نحن شيوخ، و ما أظنه يغدر، بل ربّما قصد طرابلس أو قصدنى فى القدس، لأننى ما صالحته إلّا على أنطاكيه و أعمالها، بل يجب أن تعود إلى أفاميه و كفرطاب و تكشف ما يتجدد». فعاد و كشف الأمر.

و سيّر إلى بغدوين فأعلمه بنزوله إلى زردنا، فصالح صاحب

طرابلس، و شرط عليه الوصول إليه. و وصل أنطاكيه، و استدعى جوسلين، و نصب المسلمون مجانيق أربعه على زردنا، و أخذوا الفصيل الأوّل، فوصل الفرنج بعد أربعه عشر يوما من منازله المسلمين لها، فنزلوا تحت الدّير.

و بلغ الخبر إيلغازى، فترك زردنا و توجّه نحوهم، فنزل نواز، و طلب أن يخرج الفرنج من المضيق إلى السّعه فلم يخرجوا، فرجل إلى تلّ السّلطان، و أتابك طغتكين فى صحبته، فخرج الفرنج فنزلوا على نواز و هجموا ربض الأثارب و أحرقوا البيدر و الجدار.

و دخل صاحبها يوسف بن ميرخان قلعتها، و نزلوا أبين، و رحلوا منها فنزلوا دانيث، و أقاموا عليها فلم يصلهم أحد، فعادوا إلى بلادهم، فعاد إيلغازى فنزل زردنا، و هجم الحوش الثّانى، و قتل جماعه من الفرنج.

فعاد الفرنج و نزلوا تحت الدّير، فرحل إيلغازى إلى نواز، و أقام ثلاثه أيام يزاحف الفرنج و هم لا يخرجون إلى الصّحراء، فاتّفق أن أكل إيلغازى لحم قديد كثيرا و جوزا أخضر و بطيخا و فواكه، فانتفخ جوفه و ضاق نفسه، و اشتدّ به الأمر، فرحل إلى حلب، و تزايد به المرض، فسار طغتكين إلى دمشق و بلك غازى إلى بلاده.

و دخل إيلغازى ليتداوى بحلب، فنزل القصر، و لم يخلص من علّته، و خرج عسكر حلب فى ألف فارس إلى نبل(۱) من عمل عزاز، و معهم

---

۱- نبل من قرى أعزاز فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۲۲ كم.

أمراء منهم دولت بن قتلمش، فنهبوا و عادوا؛ فوقع عليهم عند حربل(۱) كليام فی أربعين فارسا، فانهزم المسلمون و قتل منهم جماعه.

و فی شهر رجب من هذه السنه، ظفر بلك غازی باللّعين جوسلين و ابن خالته قلران(۲) بالقرب من سروج، فأسرهما و أسر ابن أخت طنكريد، و قد كان أسره فی وقعه ليلون، و اشتری نفسه بألف دينار و أسر ستّين فارسا.

و طلب جوسلين و قلران أن يسلّما ما بأيديهما من المعاقل فلم يفعلا، و قالا: «نحن و البلاد كالجمال و الحدج، متی عقر بعير حوّل رحله إلی آخر؛ و الذی بأيدينا قد صار بيد غيرنا». فأخذهما و مضی إلی بلده.

و وصل الفرنج بعد ذلك من تلّ باشر فی شعبان، و كبسوا تلّ قبّاسين(۳) فخرج النائب ببزاعا مع أهلها فالتقوا، و انهزم المسلمون و قتل منهم تسعون رجلا.

و أمّا إيلغازی فأقام أياما، و صلح من مرضه، و سار إلی ماردين، ثم خرج منها يريد ميّافارقين، فاشتدّ مرضه فی الطّريق، و توفّی بالقرب من ميّافارقين بقريه يقال لها «عجولين»، فی أول شهر رمضان من سنه ستّ عشره و خمسمائه.

---

۱- حربل من قری منطقه أعزاز فی محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۲۰ كم.

۲- أو فی التفاصيل حول هذا الموضوع فی نص السريانی المجهول، انظر كتابی الحروب الصليبيه ص ۴۸۴- ۴۸۹.

۳- تل قباسين من قری العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان.

و ملک ابنه سلیمان میّافارقین، و ابنه تمرتاش ماردین، و ابن أخیه بدر الدّوله سلیمان بن عبد الجبار بن أرتق حلب، و لما سمع صاحب أنطاکیه بوفاته حشد عسکره و جماعه من الأرمن، و نزل وادی بزاعا، و عاث فیه و أفسد ما قدر علیه، و حمل إلیه أهل «الباب» من الوادی مالا و خدموه.

فرحل إلی بالس و قاتلها بالمنجنیقات، و قرّروا علی بالس مع ابن مالک مالا یحمل إلیه، فأسرف فی الطلب و کان ببالس جماعه من الترکمان و من خیل حلب، فخرج أهلها و الخیل التی عندهم و اقتتلوا، فقتل من الفرنج جماعه من المقدّمین، و ظفر المسلمون أحسن ظفر.

فرحل بغدوین إلی الوادی و قد وصل [سلیمان بن] إیلغازی فحصر البیره(۱) و تسلّم حصنها علی أن یؤمّن أهلها علی أنفسهم فأخذهم و سار بهم إلی أنطاکیه، و تتابعت غارات الفرنج حول حلب إلی آخر سنه ستّ عشره و خمسمائه.

و ولّی بدر الدّوله سلیمان الوزاره بحلب أبا الرّجاء سعد اللّه بن هبه اللّه بن السّرطان، فی صفر، بعدما قبض علیه إیلغازی- کما تقدم ذکره-

و جدّد بدر الدّوله المدرسه الّتی بالزّجاجین بحلب، المعروفه ببنی

---

۱- البیره بلده فی ترکیه الآن- اسمها بیره جک- علی الفرات قرب سمیساط. الأعلاق الخطیره- قسم الجزیره- ج ۲ ص ۷۶۹.

العجمی(۱)، بإشاره أبی طالب بن العجمی. و ذكر لی أنّه عزم علی أن یقفها علی الفرق الأربع، و نقل آلتها من كنیسه داثره كانت بالطّحّانین بحلب.

و فی العاشر من شهر صفر من سنه سبع عشره و خمسمائه، استقر الصّلح بین بدر الدّوله صاحب حلب و بین بغدوین صاحب أنطاكیه، و علی أن یسلّم بدر الدوله إلیه قلعه الأثارب فتسلموها، و صارت لصاحبها أولا سیر ألان دمسخین، و بقیت فی یده إلی أن مات، و كانت فی ید الحاجب جبریل بن برق، فعوّضه بدر الدّوله عنها شحنكیه حلب.

و فی یوم الأربعاء تاسع عشر صفر، سار بغدوین صاحب أنطاكیه لیقاتل نور الدّوله بلك بن بهرام بن أرتق، و كان محاصرا قلعه كركر(۲)، فالتقیا علی موضع اسمه «اروش» بالقرب من قنطره سنجه، فكسره نور الدّوله بلك، و أسره، و قتل معظم عسكره و مقدّمیه و نهب [خیمه]، و فتح [كركر] بعد جمعه؛ و كان فی دون عدّه الفرنج، و جعل بغدوین فی خرتبرت(۳) مع جوسلین و قلران.

ثمّ إنّ نور الدوله بلك عبر الفرات و نزل علی حلب و ضایقها، و نزل

---

۱- تسمی الآن مجامع أبی ذر فی محله الجبیله. الآثار الإسلامیه و التاریخیه فی حلب ص ۱۹۲.

۲- كركر أو جرجر: حصن و بلده قرب ملطیه بین سمیساط و حصن زیاد( خرتبرت) غربی الفرات تولاها الخراب. اللؤلؤ المنثور ص ۵۱۸.

۳- و یعرف أیضا باسم حصن زیاد بأرض أرمینیه بین آمد و ملطیه. اللؤلؤ المنثور ص ۵۰۶. و من أجل الأسری انظر ولیم الصوری ص ۵۹۰- ۵۹۱. مع نص السریانی المجهول.

من قبليّها، ثم انتقل إلى بانقوسا(۱) و أقام أيّاما، و رحل إلى أرض النيرب، و جبرين(۲) و أمر بحرق الغلّه و أخذ الدّواب.

و مضى قطعه من عسكره إلى حدادين(۳)، فأخذ أحدهم عنزا، فرماه بعض فلّاحى الضيعه بسهم فقتله فحصرت مغارتها و أخذت بعد أن أمتنع أهلها من التسليم، فدخّنوا على المغاره فاختنق بها مائه و خمسون.

و خنق فى مغاره تلّ عبّود و تعجين جماعه و سبوا نساء عقر بوز(۴) و أولادها و باعوا بعضهم و استعبدوا بعضا و أخذ لاهل حلب جشير(۵) خيل ثلاثمائه رأس، و كان حريق الزرع من رهقات بلك و كان سببا للغلاء العظيم.

و فى صباح يوم الثلاثاء، غره جمادى الأولى من سنه سبع عشره و خمسمائه، تسلّم مدينه حلب سلّمها إليه مقلّد بن سقويق بالأمان و مفرّج بن الفضل، و نودى بشعار بلك من عدّه جهات، و كسر باب أنطاكيه، و أخربت ثلمه من غربى باب اليهود.

و فى يوم الجمعه رابع الشهر تسلّم القلعه و جلس بها بعدما نزل بدر الدّوله منها بيوم؛ و قرر حالها، و أخرج سلطان شاه بن رضوان، و سيّره إلى حرّان، و كان قد فتحها فى شهر ربيع الآخر خوفا منه.

---

۱- بانقوسا: جبل فى ظاهر حلب من جهه الشمال. معجم البلدان.

۲- جبرين: قريه على باب حلب. معجم البلدان.

۳- حدادين من قرى منطقه جبل سمعان فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۱۶ كم.

۴- عقربوز من قرى منطقه جبل سمعان فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۳۶ كم.

۵- الجشير: المواشى على أنواعها.

ثم أنّه سار إلى الباره و هجمها، و أسر الأسقف الّذى بها و قيّده، و وكّل به(۱)، و رحل إلى كفرطاب فغفل الموكّل به فهرب إلى كفرطاب، فعزم على قتال حصنها و استرجاع الأسقف فى يوم الثلاثاء الثانى عشره من جمادى الآخره.

فوصله من أخبره أن بغدوين الرّويس و جوسلين و قلران و ابن اخت طنكريد و ابن أخت بغدوين و غيرهم من الأسرى الّذين كانوا مسجونين بجب خرتبرت عاملوا قوما من أهل حصن خرتبرت فأطلقوهم، و وثبوا على الحصن فملكوه، و أخذوا كلّ ما كان لنور الدّوله فيه و كان جمله عظيمه، فقال جوسلين: «كنا قد أشرفنا على الهلاك و الآن فقد خلصنا، و الصواب أن نمضى و نحمل ما قدرنا عليه». فما سمحت نفس بغدوين بترك الحصن و الخروج منه(۲).

فاتّفق رأيهم على خروج جوسلين، و حلّفوه على أنّه لا يغيّر ثيابه و لا يأكل لحما و لا يشرب إلّا وقت القربان إلى أن يجمع جموع الفرنجه و يصل بهم إلى خرتبرت و يخلّصهم.

و أما بلك فإنّه سار حتّى نزل على خرتبرت ففتحه بالسّيف فى ثالث و عشرين من رجب، و قتل كل من كان به من أصحابه الّذين كفروا نعمته

---

۱- قارن و استفد من السريانى المجهول.

۲- مع نص السريانى المجهول انظر وليم الصورى ص ۵۹۱- ۵۹۵.

و من كان فيه من الفرنج، و لم يستبق سوى بغدوين الملك و قلران و ابن أخت بغدوين، و سيّرهم إلى حرّان و حبسهم بها.

و أما جوسلين فمضى إلى القدس، و استنجد بالفرنج، و وصلوا تلّ باشر، فسمعوا خبر فتح خرتبرت بالسّيف فسار إلى الوادى و قاتل بزاعا و أحرق بعض جدارها ثم أحرق الباب و قطع شجره، و أحرق ما سواه من الوادى.

ثم نزل حيلان(۱) ثم حلب من ناحيه «مشهد الجفّ» من الشمال؛ و خرّب المشاهد و البساتين، و كسر الناس عند «مشهد طرود» بالقرب من بستان النقره؛ و قتل و سبى مقدار عشرين نفرا.

ثمّ رحل و نزل الجانب الغربى فى البقعه السوداء، و خرب مشاهد الجانب القبلى و بساتينه، و نبش الضريح الذى ب «مشهد الدكّه»(۲) فلم يجد فيه شيئا فألقى فيه النار، و الحلبيّون فى كل يوم يقاتلونه أشدّ قتال، و يخسر معهم فى كلّ حركه.

ثم رحل يوم الثلاثاء مستهلّ شهر رمضان، و نزل السعدى(۳)، و قطع شجره، و افترقوا منه و سار كلّ إلى بلده، و وجد فى منازلهم التى نزلوها نيف و أربعون حصانا موتى، و نبش النّاس منهم موتى جماعه.

---

۱- حيلان: قريه قرب حلب تخرج منها عين فواره كثيره الماء سيقت إلى حلب. معجم البلدان.

۲- اسمه الآن الشيخ محسّن. الآثار الإسلاميه ص ۵۶- ۵۸.

۳- انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۱ ص ۳۷۱- ۳۹۹.

فأمر القاضی ابن الخشّاب بموافقه من مقدّمی حلب أن تهدم محاریب الکنائس الّتی للنصاری بحلب، و أن یعمل لها محاریب إلی جهه القبله و تغیّر أبوابها، و تتّخذ مساجد: ففعل ذلک بکنیستهم العظمی، و سمّی مسجد السرّاجین(۱): و هو مدرسه الحلاویین الآن. و کنیسه الحدادین: و هی مدرسه الحدادین(۲) الآن؛ و کنیسه بدرب الحراف: و هی مکان مدرسه ابن المقدّم(۳). و لم یترک للنّصاری بحلب سوی کنیستین لا غیر، و هی الآن باقیه.

هذا کلّه و نور الدّوله بلک غائب عن مدینه حلب فی بلاده.

ثم إنّ جوسلین خرج فی تاسع عشر شهر رمضان إلی الوادی و النّقره و الأحصّ، و أخذ ما یزید عن خمسمائه فرس کانت فی العزیب(۴)، حتّی لم یبق بحلب من الخیّاله خمسون فارسا لهم خیل، و أخذ من الدّواب البقر و الغنم و الجمال ما لا یحصی، و قتل و سبی و خرب ما أمکنه و عاد إلی تل باشر.

و خرج سیر ألان فی عسکر أنطاکیه من الأثارب حتی وصل الحانوته(۵) و حلفا، و أخذ ما کان بقی من خیل فی العزیب فی الجانب القبلیّ، و ذلک مقدار ثلاثمائه فرس؛ و أخذ قافله کانت واصله من شیزر بغلّه.

---

۱- هو الآن المدرسه الحلویه. الآثار الإسلامیه ص ۵۲- ۶۲.

۲- انظر الأثار الإسلامیه ص ۲۵۲.

۳- هی فی محله الجلوم. انظر الآثار الإسلامیه ص ۶۷- ۶۸.

۴- العزیب من الإبل و الشاء التی عزب عن أهلها فی المرعی، و إبل عزیب لا تروح علی الحی. القاموس.

۵- الحانوته الآن اسمها تل الحواصید، و تبعد عن حلب مسافه ۶۰ کم.

ثم عبر جوسلين من الفرات إلى شبختان و أغار على تركمان و أكراد، فأخذ من الغنم و الخيل ما يزيد على عشره آلاف و سبى و قتل، و من سلم له فرس من عسكر حلب يخرجون مع الحراميّه و لا يقطعون الغارات على بلادهم، و يحضرون الأسارى مرّه بعد أخرى.

ثم أغار جوسلين على الجبّول، و ما حولها، و أخذ دوابّ كثيره و توجّه إلى دير حافر، فخنق أهلها بالدّخان فى المغاير، و فتح المقابر، و سلب الموتى أكفانهم.

و فى يوم الأربعاء سادس عشرين من ذى القعده، عبر بلك إلى الشّام و قبض على نائب بهرام داعى الباطنيه بحلب، و أمر بإخراجهم من حلب فباعوا أموالهم و رحالهم و خرجوا منها.

ثم إنّ الأمير نور الدّوله بلك جمع العساكر، و وصله أتابك طغتكين بعسكر دمشق و عسكر أق سنقر البرسقىّ، و عبروا حتى نزلوا على عزاز، و ضايقوها بالحصار، و أخذوا عليها نقوبا إلى أن سهل أمرها، فتجمّع الفرنج و قصدوا ترحيل المسلمين عنها فالتقى الجيشان، و هزم المسلمون، و تفرّقوا بعد قتل من قتل و أسر من أسر.

و عمّر بلك حصن الناعوره بالنّقره و حصن المغاره- على شطّ الفرات- و تزوّج بالخاتون فرخنده خاتون بنت رضوان، و عرّس بها فى ثالث و عشرين ذى الحجّه من سنه سبع عشره و خمسمائه.

و فى المحرّم من سنه ثمانى عشره و خمسمائه، تنكّر بلك على رئيس حلب

سلمان العجلانی و جعل علیها رجلا من أهل حرّان اسمه محمد بن سعدان، و یعرف بابن سعدانه، و کثر الأمن من الذّعّار و قطّاع الطریق عند قدوم بلک حلب؛ و أقام الهیبه العظیمه؛ و تقدّم بفتح أبواب حلب لیلا و نهارا، و حسم مادّه أرباب الفساد. و قال للحارس: «إنّ عدت سمعتک تصیح ضربت عنقک!».

و نقل بغدوین و من کان معه من حبس حرّان، فحبسه فی قلعه حلب.

و توّجه فی شهر صفر فرقه من أصحابه الأتراک إلی ناحیه عزاز فوقع بینهم و بین الفرنج وقعه عند مشحلا(۱)، و ظفر بهم الأتراک، و قتلوا منهم أربعین رجلا من الخیّاله و الرجّاله و أخذوا أسلابهم، و وصل الباقون عزاز و ما فیهم إلّا من جرح جراحا عدّه.

و انقطع المطر فی کانونین و نصف شباط، ثم تدارک فأخصب الزرع و استغلّ الناس، و کان بحلب غلاء شدید.

و فی صفر من سنه ثمانی عشره و خمسمائه، تنکّر نور الدوله بلک علی حسّان بن کمشتکین صاحب منبج لشی ء بلغه عنه، فأنفذ قطعه من عسکره مع ابن عمه تمرتاش بن إیلغازی بن أرتق، و تقدّم إلیهم أن یمروا علی منبج، و یطلبوا من حسّان أن یخرج معهم للإغاره علی تلّ باشر فإذا خرج

---

۱- مشحلا: قریه من نواحی اعزاز من أعمال حلب. معجم البلدان.

قبضوه، ففعلوا ذلک، و دخلوا منبج، و عصی علیهم الحصن و دخله عیسی أخو حسان.

و سیر حسان فحبس فی حصن بالو(۱) بعد أن عوقب و عرّی، و سحب علی الشوک فلم یسلّمها أخوه.

و کتب عیسی إلی جوسلین: «إن وصلتنی و کشفت عنی عسکر بلک سلّمت إلیک منبج». و قیل: إنه نادی بشعار جوسلین بمنبج، فمضی إلی بیت المقدس و طرابلس و جمیع بلاد الفرنج، و حشد ما یزید علی عشره آلاف فارس و راجل، و وصل نحو منبج لیرحل بلک عن منبج.

فسار إلیه بلک لمّا قرب من منبج، و التقیا یوم الاثنین ثامن عشر شهر ربیع الأوّل، و اقتتل العسکران، و انهزم الفرنج، و تبعهم المسلمون یقتلون و یأسرون إلی آخر النهار.

و حمل فیهم بلک ذلک الیوم خمسین حمله یفتک فیهم و یخرج سالما، یضرب بالسیوف و یطعن بالرماح و لا یکلم، و عاد إلی منبج فبات مصلّیا مبتهلا إلی اللّه تعالی لما جدده علی یده من الظفر بالفرنج.

و أصبح یوم الثلاثاء تاسع عشر ربیع الأول قتل کلّ أسیر أسره فی الوقعه، ثم زحف نحو الحصن لیختار موضعا ینصب فیه المنجنیق، و علیه بیضه و بیده ترس.

---

۱- بالو: قلعه حصینه و بلده من نواحی أرمینیه بین أرزن الروم و خلاط. معجم البلدان.

و كان قد عزم على أن يستخلف ابن عمه تمرتاش بن إيلغازى على حصار منبج، و يطلع منجدا لأهل صور، فإنّ الفرنج كانوا فى مضايقتها(۱)، و فى تلك المضايقه أخذوها، فبينا كان بلك قائما يأمر و ينهى إذ جاءه سهم من الحصن، و قيل: إنّه كان من يد عيسى فوقع فى ترقوته اليسرى فانتزعه و بصق عليه، و قال: «هذا قتل المسلمين كلهم»، و مات لوقته.

و قيل: بقى ساعات و قضى نحبه- رحمه اللّه- و حمل إلى حلب، و دفن بها قبليّ مقام ابراهيم(۲)- عليه السّلام-.

و وصل حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى إلى حلب يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الأوّل، و دخل القلعه و نصب علمه، و نادى الناس بشعاره.

و سار سليمان بن إيلغازى من ميّافارقين إلى خرتبرت و حصون بلك، و هى نيّف و خمسون موضعا فتسلّمها.

و سار داود بن سكمان، فأخذ حصن بالو و أطلق حسّان بن كمشتكين فعاد إلى منبج.

فأمّا تمرتاش فإنّه لمّا ملك حلب ألهاه الصّبى و اللعب عن التشمير و الجدّ و النظر فى أمور الملك، ففسدت الأحوال، و ضعف أمر المسلمين بذلك،

---

۱- انظر ابن القلانسى ص ۳۳۶- ۳۳۷.

۲- اسمه الآن مقام الصالحين. الآثار الإسلاميه ص ۵۲- ۵۳.

و استوزر أبا محمّد بن الموصول، ثم عزله و صادره فی رجب من سنه ثمانی عشره و استوزر أبا الرّجاء بن السّرطان، و ولی الرئاسه بحلب فضائل بن صاعد بن بدیع.

و سیّر إلی حرّان فحمل منها سلطان شاه بن رضوان، و کان بلک أسکنه بها؛ فاعتقله فی دار بقلعه ماردین و کان فیها طاقه فتدلّی منها بحبل و هرب إلی دارا، ثم رحل منها إلی حصن(۱) کیفا إلی داود بن سکمان.

و فی العشر الأواخر من ربیع الأول سار نائب جوسلین من الرها و أغار علی ناحیه شبختان و نهبها فسار إلیه نائب تمرتاش عمر الخاص و کان نائبه و ربیب أبیه إیلغازی و رکب خلفه فی ثلاثمائه فارس فلحقه علی مرج اکساس، فقاتله و هزمه و قتله، و قتل أکثر من کان معه من الفرنج، و عاد غانما، و أنفذ رؤوسهم و ما غنمه إلی تمرتاش إلی حلب.

و ولّاه تمرتاش شحنکیه حلب، و هو المدفون فی القبّه التی مقابل باب مشهد ابراهیم- علیه السلام- و اسمه مکتوب علی جهاتها الأربع.

و ولّی قلعه حلب رجلا یقال له عبد الکریم.

و فی غره جمادی الأولی من هذه السنه استقرّ الأمر بین الملک بغدوین صاحب أنطاکیه- و کان فی سجن بلک بحلب- و بین تمرتاش بن إیلغازی علی تسلیم الأثارب و زردنا و الجزر و کفرطاب، و علی تسلیم عزاز و ثمانین ألف دینار، و قدّم منها عشرین ألف دینار.

---

۱- بلده عظیمه مشرفه علی دجله بین آمد و جزیره ابن عمر. اللؤلؤ المنثور ص ۵۰۷.

و حلف على ذلک و على أن يخرج دبيس بن صدقه(۱) من النّاس، و كان قد وصل دبيس منهزما من المسترشد بعد أن كسره المسترشد، و قتل خلقا من عسكره فترک بلاده، و حمل ما قدر عليه من العين و العروض على ظهور المطايا؛ و وفد على ابن سالم بن مالک بن بدران إلى قلعه دوسر، و استجار به فأجاره، و غاضب المسترشد و السلطان محمودا فى أمره.

و كاتب دبيس قوما من أهل حلب؛ و أنفذ لهم جمله دنانير، و سامهم تسليمها إليه، و كشف ذلک رئيسها فضائل بن صاعد بن بديع، فأطلع على ذلک تمرتاش بن إيلغازى، فأخذهم و عذّبهم و شنق بعضهم، و صادر بعضا، و أحرق بعضا.

و كان المتوسّط حديث بغدوين مع تمرتاش الأمير أبو العساكر سلطان بن منقذ، و سيّر أولاده و أولاد إخوته رهنا عن بغدوين إلى حلب.

و فكّت قيود بغدوين و أحضر إلى مجلس تمرتاش، و تواكلا و تشاربا و خلع عليه قبآء ملكيا و قلنسوه ذهب و خفافا ورانا(۲)؛ و أعيد عليه الحصان الذى كان أخذه منه بلک يوم أسره، فركبه، و سار إلى شيزر يوم الأربعاء رابع جمادى، فبقى عند أبى العساكر حتى أحضر جماعه رهنا على الوفاء بما شرطه لتمرتاش و هم: ابنته، و ابن جوسلين، و غيرهما من أولاد الفرنج، و عدّتهم اثنا عشر نفرا، و حمل العشرين ألف دينار التى عجّلها.

---

۱- لدبيس ترجمه مفيده فى بغيه الطلب ص ۳۴۷۸- ۳۴۹۳.

۲- ما يشد حول الساق.

و قبض صاحب شيزر الرّهائن، و أطلق بغدوين من سجن شيزر، فى يوم الجمعه سابع عشر شهر رجب، فخرج- لعنه اللّه- و غدر بتمرتاش و أنفذ إليه يقول: «البطريک الذى لا يمكن خلافه سألنى عما بذلت، و ما الذى استقرّ، فحين سمع حديث عزاز و تسليم حصنها منّى أبى، و أمرنى بالدفع عنها و قال: إنّ خطيئتک تلزمنى، و لا أقدر على خلافه». فتردّدت الرسل بينهما فلم يستقرّ على قاعده.

و خالط دبيس جوسلين و بغدوين، و صافاهم و صافوه بوساطه الأمير مالك بن سالم صاحب قلعه جعبر، و اتّفق دبيس و الفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها أن تكون حلب لدبيس و الأموال و الأرواح للفرنج مع مواضع من بلد حلب تكون للفرنج؛ و تقدّم دبيس إلى مرج دابق فخرج إليه حسام الدّين تمرتاش فكسره.

و سار تمرتاش من حلب عندما علم بغدر الفرنج به إلى ماردين، فى الخامس و العشرين من شهر رجب، ليستنجد بأخيه سليمان بن إيلغازى و بجمع العساكر، و بقى بنو منقذ رهائن بقلعه حلب عند تمرتاش، و أولاد الفرنج رهائن عند أبى العساكر بن منقذ بشيزر.

و الرسل مع هذا تتردّد بين تمرتاش و بغدوين إلى أن عادت الرسل فى ثامن عشر شعبان مخبره بنقض الهدنه، و بخروج بغدوين إلى أرتاح قاصدا النزول على حلب.

و رحل بغدوين من أرتاح حتى نزل على نهر قويق و أفسد كلّ ما كان

عليه، ثمّ رحل فنزل على باب حلب، فى يوم الاثنين السادس و العشرين من شعبان، و هو السادس من تشرين الأوّل.

و خرج دبيس و جوسلين من تلّ باشر، و قصدا ناحيه الوادى، و أفسدا القطن و الدخن، و سائر ما كان به وقوّم ذلك بمائه ألف دينار، و رحلا و نزلا مع بغدوين على حلب، و وصل إليهم الملك سلطان شاه بن رضوان.

و نزل بغدوين مقدّم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبه، و نزل جوسلين على طريق عزاز و ما يجاوره يمنه و يسره. و نزل دبيس و سلطان شاه بن رضوان ممايلى جوسلين من الشّرق؛ و فى صحبه دبيس عيسى بن سالم بن مالك.

و نزل يغى سيان بن عبد الجبّار بن أرتق صاحب بالس ممايلى دبيس من الشّرق، و كانت عدّه الخيم ثلاثمائه: للفرنج مائتا خيمه، و للمسلمين مائه خيمه.

و أقاموا على حلب يزاحفونها، و قطعوا الشجر و خربوا مشاهد كثيره، و نبشوا قبور موتى المسلمين، و أخذوا توابيتهم إلى الخيم و جعلوها أوعيه لطعامهم، و سلبوا الأكفان، و عمدوا إلى من كان من الموتى لم تنقطع أوصاله، فربطوا فى أرجلهم الحبال، و سحبوهم مقابل المسلمين.

و جعلوا يقولون: «هذا نبيّكم محمد» و آخر يقول: «هذا عليّكم» و أخذوا مصحفا من بعض المشاهد بظاهر حلب و قالوا: «يا مسلم أبصر

كتابكم». و ثقبه الفرنجى بيده، و شدّه بخيطين، و عمله ثفرا(۱) لبرذونه؛ فظل البرذون يروث عليه، و كلّما أبصر الروث على المصحف صفّق بيديه و ضحك عجبا و زهوا.

و أقاموا كلّما ظفروا بمسلم قطعوا يديه و مذاكيره و دفعوه إلى المسلمين؛ و المسلمون يفعلون بمن يأسرونه من الفرنج كذلك.

و ربّما شنق المسلمون بعضهم، و يخرج الغزاه من باب العراق، و يسرقونهم من المخيم، و يقطعون عليهم الطّرق، و يقتلون و يأسرون.

و يصيح المسلمون على دبيس من الأسوار: «دبيس، يا نحيس». و الرسل تتردد بينهم فى الصّلح، و لا يستتب إلى أن ضاق الأمر بالمسلمين جدّا.

و كان بحلب بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبّار و الحاجب عمر الخاص، و معهما مقدار خمسمائه فارس، و الذى يتولّى تدبيرها و هو فى مقام الرئاسه القاضى أبو الفضل بن الخشّاب، و تولّى حفظ المكان و بذل المال و الغلال.

فاتفقوا على أن سيّروا جدّ أبى قاضى حلب القاضى أبا غانم محمد بن هبه اللّه بن أبى جراده و نقيب الأشراف و أبا عبد اللّه بن الجلى فخرجوا ليلا، و مضوا إلى تمرتاش إلى ماردين مستصرخين إليه و مستغيثين به فوجدوه و قد مات أخوه سليمان بن إيلغازى صاحب ميافارقين فى شهر رمضان، و سار تمرتاش إلى بلاده ليملكها، و اشتغل بملك تلك البلاد عن حلب.

---

۱- الثفر: الجلده التى توضع تحت الذيل و يربط بها حلس الدابه.

و كـانت الرسل متردده بينه و بين أق سـنقر البرسـقىّ صاحب الموصل فى اتّفاق الكلمه على قصـد الفرنـج و كشـفهم عن حلب؛ فاشتغل بهذا الأمر عن هذا التقرير، و الحلبيون عنده يمنّيهم و يمطلهم.

و لمـا خرج الحلـبيّون من حلب بلغ الفرنـج ذلـك فسـيّروا خلفهم من يلحقهم، فلم يـدركهم و أصـبحوا فى صـباح تلـك اللّيله و صاحوا إلى أهل حلب: «أين قاضيكم؟ و أين شريفكم؟» فأسقط فى أيديهم إلى أن وصل منهم كتاب بخبر سلامتهم.

و بقى الحلـبيّون عنـد تمرتـاش يحثّونه على التّوجّه إلى حلب، و هو يعـدهم و لاـ يفعـل، و هم يقولون له: «نريـد منـك أن تصـل بنفسك، و الحلبيون يكفونك أمرهم».

فضاق الأمر بالحلبيّين إلى حدّ أكلوا فيه الكلاب و الميتات، و قلّت الأقوات، و نفد ما عندهم، و فشا المرض فيهم، فكان المرضى يئنّون لشـدّه المرض، فإذا ضـرب البوق لزحف الفرنـج قام المرضـى كأنما أنشـطوا من عقال، و زحفوا إلى الفرنـج و ردّوهم إلى خيامهم، ثم يعودون إلى مضاجعهم.

فكتب جـدّى أبو الفضل هبه اللّه بن القاضـى أبى غانم كتابا إلى والده يخبره بما آل أمر حلب إليه من الجوع، و أكل الميتات، و المرض؛ فوقع كتابه فى يـد تمرتاش فغضب و قال: «انظروا إلى هؤلاء يتجلّدون علىّ، و يقولون إذا وصلت فأهل حلب يكفونك أمرهم، و يغرّرون بى حتى أصل فى قلّه، و قد

بلغ بهم الضعف إلى هذه الحاله».

ثمّ أمر بالتّوكيل و التّضيق عليهم، فشرعوا فى إعمال الحيله و الهرب إلى أق سنقر البرسقىّ، ليستصرخوا به فاحتالوا على الموكّلين بهم، حتى ناموا و خرجوا هاربين، فأصبحوا بدارا(۱).

و ساروا حتى أتو الموصل، فوجدوا البرسقى مريضا مدنفا، و الناس قد منعوا من الدّخول عليه إلّا الأطبّاء، و الفرّوج يدقّ له لشدّه الضعف، و وصل إلى دبيس من أخبره بذلك، فضرب البشاره فى عسكره، و ارتفع عنده التكبير و التهليل، و نادى بعض أصحابه أهل حلب: قد مات من أمّلتم نصره، فكادت أنفس الحلبيّين تزهق.

و اسؤذن للحلبيّين على البرسقىّ فأذن لهم، فدخلوا إليه، و استغاثوا به، و ذكروا له ما أهل حلب فيه من الضرّ، فأكرمهم- رحمه اللّه- و قال لهم: «ترون ما أنا فيه الآن من المرض، و لكن قد جعلت للّه على نذرا إن عافانى من مرضى هذا لأبذلنّ جهدى فى أمركم، و الذبّ عن بلدكم، و قتال أعدائكم».

قال القاضى أبو غانم قاضى حلب: فما مضى ثلاثه أيام بعد ذلك حتى فارقته الحمى، فأخرج خيمته، و نادى فى العساكر بالتأهب للجهاد إلى حلب.

---

۱- مدينه الآن بتركيه هى فى لحف جبل بين نصيبين و ماردين. معجم البلدان.

و بقى أياما و عمل العسكر أشغاله و خرج- رحمه اللّه- فى عسكر قوىّ، فوصل إلى الرّحبه، و كاتب أتابک طغتكين صاحب دمشق، و صمصام الدّين خير خان بن قراجا صاحب حمص.

و رحل إلى بالس، و سار منها إلى حلب فوصلها يوم الخميس لثمان بقين من ذى الحجه من سنه ثمانى عشره.

و لما قرب من حلب رحل دبيس ناشرا أعلامه البيض إلى الفرنج عند قربه من حلب، و تحوّلوا إلى جبل جوشن كلّهم، و خرج الحلبيّون إلى خيامهم فنهبوها و نالوا منها ما أرادوا.

و خرج أهل حلب و التقوا قسيم الدوله عند وصوله، و سار نحو الفرنج فانهزموا بين يديه من جبل جوشن، و هو يسير وراءهم على مهل حتى أبعدوا عن البلد.

فأرسل الشالشيه(۱)، و أمرهم أن يردّوا العسكر، فجعل القاضى ابن الخشّاب يقول له: «يا مولانا لو ساق العسكر خلفهم أخذناهم، فانهم منهزمون و العسكر محيطه بهم». فقال له: «يا قاضى تعلم أنّ فى بلدكم ما يقوم بكم و بعسكرى لو قدّر علينا- و العياذ باللّه- كسره؟» فقال: «لا».

فقال: «ما يؤمننا أن يرجعوا علينا و يكسرونا، و يهلك المسلمون، و لكن قد كفى اللّه شرّهم و ندخل إلى البلد و نقوّيه و ننظر فى مصالحه، و نجمع لهم إن شاء اللّه، و نخرج إليهم بعد ذلك»(۲).

---

۱- حمله شارات و أعلام كانوا يقومون بوظيفه مراقبه أمن الجيش و نظامه.

۲- لمزيد من التفاصيل انظر ترجمه آق سنقر البرسقى فى بغيه الطلب ص ۱۹۶۳- ۱۹۷۰.

و رجع و دخل البلد و تسلّم قلعتها، و نظر فى مصالح البلد و قوّاه، و أزال الظلم و المكوس و عدل فيهم عدلا شاملا و أحسن إليهم إحسانا كاملا.

و كتب لأهل حلب توقيعا باطلاق المظالم و المكوس، نسخته موجوده، بعدما كان الحلبيّون منوا به من الظّلم و المصادره من عبد الكريم والى القلعه، و عمر الخاص والى البلد، و تسليطهما الجند و الأتراك على مصادره الناس بحيث أنهم استصفوا أموالهم من الأكابر و الصدور و غيرهم فى حاله الحصار.

و أما الفرنج فانهم توجّهوا إلى الأثارب و دخلوا أنطاكيه.

و شرع النّاس فى الزّرع ببلد حلب فى الثّانى عشر من شباط و جعلوا يبلّوا الغلّه بالماء، و يزرعونها فنبتت و تداركت عليها الأمطار فأخصبت، و جاءت الغلّه من أجود الغلال و أزكاها.

و أطلق البرسقىّ بنى منقذ من الاعتقال بقلعه حلب، و رحل إلى تلّ السّلطان فى سنه تسع عشره و خمسمائه، فى أواخر المحرّم، و أقام به ثلاثه أيام، و رحل إلى أن وصل إلى شيزر فى سابع صفر، و تسلّم أولاد الفرنج من ابن منقذ، و باعهم بثمانين ألف دينار حملت إليه.

و أقام بأرض حماه أياما حتى وصل إليه أتابک طغتكين، فرحل فى عساكره التى لا تحدّ كثره، و نزل كفرطاب فسلّمت إليه يوم الجمعه ثالث شهر ربيع الآخر، و سلّمها إلى صمصام الدين خيرخان بن قراجا، و كان قد

وصل إليه من حمص و التقاه بتلّ السلطان.

و سار إلى عزاز و قاتلها، و نقبت قلعتها فقصدهم الفرنج، فالتقوا سادس عشر ربيع الآخر، و كسر البرسقى كسر عظيمه، و استشهد جماعه من المسلمين من السّوقه و العامه، و لم يقتل من الأمراء و المقدّمين أحد.

و وصل أق سنقر البرسقى سالما إلى حلب، و أقام على قنّسرين أياما، و تفرّقت العساكر إلى بلادهم، و وصل أمير حاجب صارم الدّين بابك بن طلماس، فولّاه البرسقى حلب و بلدها، و عزل عنها سوتكين واليا كان ولّاه.

و وقعت الهدنه بين البرسقىّ و الفرنج على أن يناصفهم فى جبل السّماق و غيره مما كان بأيدى الفرنج، و سار البرسقىّ إلى الموصل فلم يزل الفرنج يعلّلون الشحن و المقطعين بالمحال فى مغلّ ما وقعت الهدنه عليه إلى العشرين من شعبان من السّنه.

و سار بغدوين إلى بيت المقدس و الرسول خلفه يعلمه بأن الفرنج لا يمكنون أحدا من رفع شى ء من الضّيافى؛ و أخذ بعض متصرفى المسلمين بعض الارتفاع من بعض الأماكن و الهدنه على حالها، فتجمّع الفرنج و نزلوا رفنيه.

و خرج شمس الخواص صاحبها طالبا أق سنقر البرسقىّ مستصرخا به، و سلّمها إليهم ولده المستخلف فيها فى آخر صفر من سنه عشرين و خمسمائه، و قصدوا بلد حمص فشعّثوه.

فجمع البرسقیّ العساکر و حشد، و سار نحو الشّام لحربهم حتی وصل الرّقه فی أواخر شهر ربیع الآخر، و سار إلی أن نزل بالنّقره علی النّاعوره فی الشهر المذکور، و أقام به أیّاما و الفرنج یراسلونه، فراسله جوسلین علی أن تکون الضّیاع ما بین عزاز و حلب مناصفه و أن یکون الحرب بینهما علی غیر ذلک، فاستقرّ هذا الأمر.

و کان بدر الدّوله سلیمان بن عبد الجبّار و شهریار بک ابن عمه، قد توجّها مع جماعه من الترکمان إلی المعرّه فأوقعوا بعسکر الفرنج، و قتل المسلمون منهم مائه و خمسین، و أسروا جفری بلنک، صاحب بسرفوث، من جبل بنی علیم، و أودع فی سجن حلب.

و کان قد سیّر البرسقیّ ولده عزّ الدین مسعودا منجدا لصاحب حمص، فاندفع الفرنج عنها فعاد عزّ الدین إلی والده، فترکه بحلب، و عزل بابک عن ولایتها و ولّاها کافور الخادم إلی أن ینظر فیمن یولیه إیاها ولایه مستقله.

و رحل قسیم الدوله إلی الأثارب فی الثامن من جمادی الآخره من سنه عشرین، و سیّر بابک بن طلماس فی جماعه من العسکر و النقّابین إلی حصن الدیر المجدّد فوق سرمدا ففتحه سلما.

و قتل من الخیّاله بعد ذلک خمسون فارسا، و نهب العساکر الغلال و الفلاحین فی سائر البلد الذی وصلت الغارات إلیه، و رفعوا الغلّه جمیعها إلی حلب، و زحفوا إلی قلعه الأثارب، و خربوا الحوشین، و لم یتیسر فتحها.

و وصل بغدوين من القدس فى جموع الفرنج، و وصل إليه جوسلين، و نزلوا عم(۱) و أرتاح، و سيّروا إلى البرسقىّ: «ترحل عن هذا الموضع، و نتّفق على ما كنّا عليه فى العام الخالى، و نعيد رفنيه عليك»، فتجنّب الحرب، و خشى أن يتم على المسلمين ما تمّ على عزاز فصالحهم إلى أن فرّج الخناق عن الأثارب، و خرج صاحبها بماله و رجاله.

فغدر الفرنج و قالوا: «ما نصالح إلّا على أن تكون الأماكن التى ناصفنا فيها فى العام الماضى لنا دون المسلمين». فامتنع من ذلك و أقام على حلب أياما و الرسل تتردد بينهم، فلما لم تتفق حال عاد أق سنقر، و نزل قنسرين، و رحل إلى سرمين، و امتدت العساكر إلى الفوعه و دانيث.

و نزل الفرنج على حوش معرّه مصرين، فأقاموا كذلك إلى نصف رجب، و نفدت أزواد الفرنج، فعادوا إلى بلادهم، ثم عاد البرسقى و فى صحبته أتابك طغتكين، و كان وصل اليه و هو على قنسرين فدخلوا من العسكر و نزلوا باب حلب.

و مرض أتابك فعملت له المحفّات، و أوصى إلى البرسقى، و توجه إلى دمشق، و سلّم البرسقى حلب و تدبيرها إلى ولده عزّ الدين مسعود، فدخل حلب، و أجمل السيره و تحلّى بفعل الخير.

و سار أبوه إلى الموصل، فدخلها فى ذى القعده سنه عشرين

---

۱- عمّ: قريه غناء ذات عيون جاريه و أشجار متدانيه بين حلب و أنطاكيه- معجم البلدان.

و خمسمائه، و قصد الجامع بها ليصلّى فيه يوم الجمعه تاسع ذى القعده، و قصد المنبر، فلما قرب منه وثب عليه ثمانيه نفر فى زىّ الزّهاد، فاخترطوا خناجر و قصدوه و عليه درع من الحديد، و حوله جمع عظيم و هو متحفظ منهم، فسبقوا أصحابه إليه، فضربوه حتى أثخنوه و حمل جريحا فمات من يومه.

و قتل من كان وثب عليه من الباطنيّه غير شاب واحد كان من كفرناصح(۱)- ضيعه من عمل عزاز- فإنّه سلم، و كان له أم عجوز فلما سمعت بقتل البرسقى و قتل من وثب عليه و كانت قد علمت أنّ ابنها معهم فرحت و اكتحلت و جلست مسروره فوصلها ابنها بعد أيام سالما فأحزنها ذلك، و جزّت شعرها و سوّدت وجهها.

و قيل: إنّ البرسقى قتل بيده منهم ثلاثه، و كان البرسقى- رحمه اللّه- قد رأى تلك الليله فى منامه عدّه من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها، و نال منه الباقون أذى شديدا، فقصّ رؤياه على أصحابه، فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدّه أيام، فقال: «لا أترك الجمعه لشى ء أبدا»، و كان من عادته أن يحضر الجمعه مع العامه- رحمه اللّه- و كان وزير البرسقىّ المؤيد بن عبد الخالق، و كان قدم معه حلب حين قدمها.

و ملك عزّ الدين مسعود حلب عند ورود الخبر عليه بقتل أبيه فى سنه

---

۱- ما تزال كفر ناصح تحمل الاسم نفسه و هى فى منطقه جبل سمعان- محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۳۳ كم. انظر بغيه الطلب ۱۹۶۸- ۱۹۷۰ حيث المزيد من التفاصيل.

عشرين، و استوزر المؤيد وزير أبيه و ولّى فيها من قبله الأمير تومان.

و سار من حلب فى سنه إحدى و عشرين و خمسمائه إلى السلطان محمود و هو ببغداد، فسأله أن ينعم عليه ببلاد أبيه، فكتب له منشورا بذلك، فوصل إلى الموصل و ملكها، ثم نزل إلى الرّحبه قاصدا إلى الشام؛ و كان يظن أنّ قاتل أبيه قوم من أهل حماه، فأضمر للشّام و أهله شرّا عظيما.

و رجع عما كان عليه من الأفعال المحموده و الإقبال على مجاهده الفرنج، و بلغ طغتكين عنه أنّه يقصده، فتأهّب له فلمّا نزل بظاهر الرّحبه امتنع واليها من تسليمها، فحاصرها أيّاما فسلمها الوالى إليه، و نزل فوجده قد مات فجأه، و قيل: سقى سما فمات.

و ندم الوالى على تسليم الرّحبه، و كان قد وصلت قطعه من العسكر لتقويه حلب فمنعهم تومان من الدّخول إليها، فوقع الشرّ بينه و بين رئيس حلب فضائل بن بديع، و داخلهم إلى حلب.

فوصل إلى حلب ختلغ أبه(۱) السّلطانىّ غلام السّلطان محمود، و معه توقيع مسعود بن البرسقى بحلب، كتبه قبل وصوله إلى الرّحبه فلم يقبله تومان والى حلب فعاد ختلغ أبه إلى الرّحبه،- و قد جرى فيها ما ذكرناه من موت مسعود-.

فعاد ختلغ أبه على فوره إلى حلب فتسلّمها من يد تومان، آخر جمادى

---

۱- له ترجمه مفيده فى بغيه الطلب ص ۳۲۱۶- ۳۲۱۹.

الآخره، و صعد إلى قلعتها بطالع اختاره له المنجّمون، فأخذه الطّمع فى أموال النّاس، و صادر جماعه من أهل حلب، و اتّهمهم بودائع المجنّ الفوعى، رئيس حلب المقتول فى أيّام رضوان.

و قبض على شرف الدّين أبى طالب بن العجمى و عمّه أبى عبد اللّه، و اعتقلهما بحلب، و ثقب كعاب أبى طالب و صادره، فعاد فعله القبيح عليه بالبوار، و ضلّ رأى منجّمه فى ذلك الاختيار.

و قام أهل حلب عليه فحصروه، و قدّموا عليهم بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبّار، و نادى أهل حلب بشعار بدر الدّوله، و ساعده على ذلك رئيس حلب فضائل بن صاعد بن بديع، و قبض على أصحاب ختلغ أبه، و ذلك فى الثانى من شوّال.

و قصد حلب فى تلك الحال ملك أنطاكيه و جوسلين فصانعوه على مال حتّى رحل(١)؛ و ضايقوا القلعه و أحرقوا القصر، و دخل إليهم إلى المدينه الملك ابراهيم بن رضوان؛ و وصل اليهم حسّان صاحب منبج، و صاحب بزاعا؛ و دام الحصار إلى النّصف من ذى الحجّه.

و كان أتابك عماد الدّين زنكى بن قسيم الدّوله أق سنقر قد ملك الموصل بتواقيع السّلطان محمود، فسيّر إليه شهاب الدّين مالك بن سالم صاحب قلعه جعبر، و أعلمه بأحوال حلب و حصارها؛ فسيّر أتابك إليها

---

١- انظر بغيه الطلب ص ٣٢١٨.

عسکرا مع الأمیر سنقر دراز و الأمیر الحاجب صلاح الدّین حسن(۱).

و دخل الأمیر صلاح الدّین فأصلح الحال، و وفّق بینهما علی أن استدعیا أتابک زنکی من الموصل، فتوجّه بالجیوش إلی حلب، و قیل: إنّ بدر الدّوله و ختلغ سارا إلیه.

---

۱- کذا بالأصل و هذه الروایه مشوشه صوابها ما رواه ابن العدیم نفسه فی بغیه الطلب ص ۳۲۱۸- ۳۲۱۹:« نصف ذی الحجه وصل الأمیر سنقر دراز و الأمیر حسن قراقش و جماعه أمراء فی عسکر قوی إلی باب حلب و اتفق الأمر علی یسیر بدر الدوله و خطلبا إلی باب الموصل إلی المولی الاصفهسلار الملک عماد الدین قسیم الدوله زنکی بن قسیم الدوله آق سنقر إلی الموصل، فلمن ولی عاد إلی منصبه، و أقام بحلب الأمیر حسن قراقش مع الأمیر الحاجب صلاح الدین العمادی، فوصل إلی حلب، و أطلع إلی القلعه والیا من قبله، و رتب الأمور».

## تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ( (sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.